

خلافة الرسول

بين الفاضل والمفضول



السيد الإدريسي الجزائري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- سرشناسه : جزائري، سيد ادريسى، ١٩٨٧ - م.
 عنوان و نام پديدآور : خلافة الرسول بين الفاضل والمفضل / الادريسي الجزائري.
 مشخصات نشر : قم: عطر عترة، ١٤٤١ق. = ١٣٩٩.
 مشخصات ظاهري : ١٦٨ص.
 شابك : ٩٧٨-٦٠٠-٢٤٣٢٣٨-٤
 وضعیت فهرست نویسی : فیبا
 یادداشت : عربی.
 موضوع : علی بن ابی طالب (ع) ، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ٤٠ق -- اثبات خلافت
 Ali ibn Abi-talib, Imam I, ٦٠٠-٦٦١ -- *Proof of caliphate* موضوع
 موضوع : علی بن ابی طالب (ع) ، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت ٤٠ق -- اثبات خلافت -- جنبه های قرآنی
 Ali ibn Abi-Talib, Imam I, ٦٠٠-٦٦١ -- *Proof of caliphate -- Qur'anic teaching* موضوع
 موضوع : علی بن ابی طالب (ع) ، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ٤٠ق -- اثبات خلافت -- احادیث
 Ali ibn Abi-talib, Imam I, ٦٠٠-٦٦١ -- *Proof of caliphate -- Hadiths* موضوع
 موضوع : امامت
 Imamate موضوع
 موضوع : امامت -- جنبه های قرآنی
 Imamate -- Qur'anic teaching موضوع
 موضوع : خلافت
 Caliphate موضوع
 موضوع : خلافت -- احادیث
 Caliphate-- Hadiths موضوع
 رده بندی کنگره : BP٢٢٣/٥٢
 رده بندی دیویی : ٢٩٧/٤٥٢
 شماره کتابشناسی ملی : ٦١٥٦٦٣٤

هوية الكتاب

اسم الكتاب:	خلافة الرسول بين الفاضل والمفضل
المؤلف:	السيد الإدريسي الجزائري
الناشر:	عطر عترة
الطبعة:	الاولى
الكمية:	١١٠٠ نسخة
تاريخ النشر:	١٣٩٩

خلافة الرسول بين الفاضل والمفضول



السيد الإدريسي الجزائري

فهرس الموضوعات

٩	مقدمة
١١	بعض التعريفات اللازمة للبحث
١١	معنى الخلافة
١٢	معنى الإمامة
١٣	معنى الولاية والولاية
١٤	شروط الخلافة الإسلامية
١٩	عدالة أبي بكر
٢٩	شجاعة أبي بكر
٣٣	علم أبي بكر
٣٥	السنة تُعارضُ خلافة أبي بكر
٣٩	إنَّ بيعة أبي بكر كانت فلتة
٥٧	قضية صلاة أبي بكر
٦٥	عليٌّ عليه السلام خليفة رسول الله
٦٥	خلافة عليٍّ عليه السلام عقلاً
٦٧	إيمان عليٍّ عليه السلام
٦٩	شجاعته عليه السلام
٨١	الثابتون مع النبي من النساء

- ٨٣ الثابتون مع النَّبي من الرجال
- ٨٥ قدرة علي عليه السلام على تحمّل المسؤوليات
- ٨٩ إبلاغ سورة براءة
- ٩٥ علم الإمام علي عليه السلام
- ١٠٣ علي عليه السلام باب مدينة علم الرسول
- ١٠٧ زهده عليه السلام
- ١٠٩ عصمة علي عليه السلام
- ١٠٩ الأدلة العقلية على وجوب كون الخليفة معصوماً
- ١١٠ الأدلة النقلية على عصمة الإمام عليه السلام
- ١١٠ آية التطهير:
- ١١٠ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.
- ١١٥ من أطاع علياً فقد أطاعني
- ١١٧ الحق مع علي
- ١١٩ علي مع القرآن والقرآن مع علي
- ١٢١ إمامة علي عليه السلام في القرآن
- ١٢١ الإمامة العامة
- ١٢٤ الإمامة الخاصة
- ١٢٦ أولاً: ﴿يَا أَيُّهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...﴾.
- ١٢٧ ثانياً: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ...﴾.
- ١٣٥ ثالثاً: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ...﴾.
- ١٣٦ رابعاً: قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...﴾.
- ١٤٣ خلافة علي عليه السلام في السنة
- ١٤٣ حديث المنزلة
- ١٤٧ لا يؤذي عني إلا أنا أو علي
- ١٤٧ حديث خاصف النعل
- ١٤٨ من كنت مولاه فعلي مولاه
- ١٥٤ مبايعة عمر بن الخطاب لعلي عليه السلام
- ١٥٦ استشهاد الإمام علي عليه السلام بحديث: "من كنت مولاه"

١٥٨

أنت وليُّ كلِّ مؤمنٍ بعدي

١٦١

لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي

١٦٢

عليٍّ وصيِّ ووارثي

١٦٢

قول الإمام الحسين عليه السلام لعمر: إنزل عن منبر أبي

١٦٧

مصادر المراجع

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين وسيد الأولين والآخرين مُحَمَّدٍ وعلى آل بيته الطَّيِّبين الطَّاهرين.

اللهم أرنا الحقَّ حقًّا وارزُقنا اتِّباعه، وأرنا الباطلَ باطلاً وارزُقنا اجتنابه.

إنَّ أوَّلَ خلافٍ عظيم نَجَم بين المسلمين بعد ارتحال الرِّسول الأكرم ﷺ، هو الاختلاف في مسألة الإمامة والخلافة، حتَّى صارت الأُمَّة بذلك فِرقتين، فرقةٌ تُشايِع علياً ﷺ، وفرقةٌ تُشايِع غيره من أصحاب السقيفة.

ويبحثُ الإمامة من الأمور التي قد أسالت الحبرَ كثيراً، ويا ليتها توقَّفت عند ذلك، بل تعدَّت إلى سيلان الدَّم وقتل النَّفس المُحترمة، لا لشيء إلا لأنَّ قاتلَ الحقِّ لا بُدَّ مِن قتله في منطق الظلمة الذين أصبحوا لا يُفرِّقون في قتلهم بين الرَّجُل والمرأة وبين الكبير والصَّغير. والسَّببُ في ذلك يعود إلى أهميَّة هذا الموضوع وحساسيتِه، حيث كان ولا يزال محلَّ خلافٍ بين المسلمين في تحديد هويَّة خليفة رسول الله ﷺ الشرعي، ومن عيَّنهُ الشارِعُ لقيادة الأُمَّة بعد النَّبي ﷺ. ولذلك نرى المسلمين اليوم قد انقسموا إلى مذاهبَ وطوائفَ، كلٌّ منها يدَّعي الحقَّ ويرى غيره على باطل.

وليس العيب في كون الرجل مُعتقداً أنَّه على حقٍّ، إنَّما العيب في اعتقاده أنَّ غيره كافرٌ ويجب قتله، وهذا ما ينتهجه الفكرُ التكفيري اليوم في غياب الوعي والفكر ومنطق تقبُّل الآخر.

علينا أن نعلم دائماً أنَّ هناك الكثير من النَّاس من هم قاصرون ومستضعفون، أي لم يصلوا إلى الدليل، بالتَّالي لا يحقُّ لأحدٍ رميهم بالضلالة والكفر.... الخ.

واجبنا اليوم أن نُعلِّمَ النَّاسَ ونُبَيِّنَ لهم ما يجهلون، لكن بالتي هي أحسن وبمنطق الفكر والدليل لا منطق القوة والسيف. قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

ولأهمية هذا الموضوع ومدى تأثيره على حياة المسلم الدينية والدنيوية وددتُ كتابة بعض الحقائق المغيبة عن الناس ونشر تعاليم الإسلام المحمّدي الذي لطالما أمرنا باتباع الدليل والأخذ به ولو كان مُراً.

ولحساسية موضوع الإمامة وأثره في عقيدة المسلم قرّرتُ وبالتوكل على الله الخوض في هذا البحث القيم سائلاً المولى عزّ وجلّ التوفيق والرحمة.

ونعُدُّ القارئ الكريم أن تكون كلُّ أدلّتنا في هذا البحث إن شاء الله تعالى من القرآن وكتب السنّة، وسنتطرقُ إلى تشخيص مَنْ نصَّ عليه الشارع ليكون خليفة رسول الله ﷺ ووصيه وإمام المسلمين ووليّ المؤمنين، ومن الله نسأل التوفيق والتسديد، إنّه وليّ قدير. قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٢).

فأرجو من الله تعالى أن يجعل عملي هذا تقرباً إليه ومودةً في أهل بيت رسوله ﷺ.

بعض التعريفات اللازمة للبحث

وقبل الخوض في الأدلة، علينا أولاً التّطرقُ لمفهوم الخلافة والإمامة والولاية وبيان الفرق بين هذه التّصورات الثلاثة.

معنى الخلافة

الخلافة لغةً: تُشتَقُّ من (خَلَفَ)، وَخَلَفَ رَفِيقَهُ: أَي صَارَ خَلْفَهُ وَنَابَ مَكَانَهُ، والخلافة هي ما يَجيءُ مِن بَعْدِ، يُقال: خَلَفَهُ خِلافةً. أمّا اصطلاحاً: فقد عرّفها التّفتازاني صاحب «المقاصد» بأنّها: رِياسةُ عامّة في الدّين والدُّنيا، خلافةً عن النّبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾^(١).

إذا فالخلافة لغةً هي مَجيءُ شَخْصٍ بَعْدَ شَخْصٍ، وهنا يجب التّنبيه على نقطتين أساسيتين: الأولى: أنّه قد يَخْلُفُ شَخْصٌ شَخْصاً ما لَكن بِطَرِيقَةٍ غير شرعيّة، لأنّ مُجرّد مَجيئِهِ بَعْدَهُ فِهَذَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ أنّه خَلِيفَةٌ لُغَةً، سِوَاءٍ كان ذلك عن طريق التّنصيب والتّعيين مِن قِبَلِ مَنْ كان قَبْلَهُ، أو عن طريق القُوّة وإجبار الآخرين على قَبُولِهِ، (وهذا بالضّبط ما حصل بَعْدَ وفاة النّبي ﷺ).

وبالنّال لا يَحِقُّ لِقائِلٍ أن يقول إنّ فلاناً هو خَلِيفَةُ رسول الله ﷺ بمجرّد أنّه قد جلس على كُرْسِيِّ الخِلافة، ولو كان ذلك عن طريق القُوّة والإجبار وقتل المُعارضين لَهُ، لأنّ هذا دين الغابة وليس دين الإسلام.

الثانية: الخلافة لا تكون إلا من تعيين الله عز وجل وجعله، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١).

بالتالي لا يحق لأي شخص أن يدعي أنه خليفة رسول الله إلا إذا كانت خلافته من جعل الله أو جعل رسوله ﷺ.

معنى الإمامة

عرّف الإيجي الشافعي الإمامة بأنها رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا^(٢). وقال إنها خلافة الرسول في إقامة الدين، بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة^(٣). أما ابن خلدون فقال إنها نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا^(٤). أما الماوردي فقد قال: الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا^(٥).

جاء في لسان العرب: يُقال إمامُ القوم، معناه هو المتقدّم لهم، ويكون الإمامُ رئيساً، كقولك: إمام المسلمين^(٦).

والإمامة أيضاً لا تكون إلا من جعل الله تعالى، فكما أن النبوة من الله، كذلك الإمامة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا تَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٧).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(٨).

وبالتالي، فإنه لا يحق لأي شخص أن يعتبر نفسه إماماً للمسلمين إلا أن يكون جعله من الله أو من رسوله ﷺ.

١. البقرة: ٣٠.

٢. المواقف للإيجي ص ٣٤٥.

٣. نفس المصدر السابق.

٤. مقدّم ابن خلدون، ص ١٩١.

٥. الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٥.

٦. لسان العرب ج ١٢/ ص ٢٦.

٧. سورة البقرة: ١٢٤.

٨. سورة الأنبياء: ٧٣.

أما الولاية لغة^(١) فلها عدة معان، من بينها: القربة والإمرة والسلطة وولاية الإمامة أي: تولي أمرها ومهامها، والحكم والنصرة والمحبة.

وتولي اليتيم: الذي يلي أمره، ويقوم بكفانيته.

أما الولاية لغة: القربة، هم على ولاية: أي يد واحدة.

أما اصطلاحاً فقد وردت عدة تعاريف للولاية، نذكر بعضها:

الولاية: تنفيذ القول على الغير شاء أو أبى^(٢).

الولاية: هي سلطة تجعل لمن تثبت له القدرة على إنشاء التصرفات والعقود وتنفيذها. الولاية: سلطة شرعية.

الولاية: سلطة يثبتها الشرع لإنسان معين، تمكن من رعاية المولى عليه من نفس ومال، وحفظه وتنميته بالطرق المشروعة^(٣).

ولاية أمر المسلمين لا تكون إلا بجعل من الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤). فالله هو من أمرنا بطاعة أولي الأمر وبذلك لزم كونهم معينين بأسمائهم، لأنه ليس من العدل أن يأمرنا الله بطاعة أشخاص لا نعرفهم بأسمائهم، والله هو العادل الرحمن، الرحيم بعباده.

فإذا لا يحق لأي شخص تسمية نفسه بولي الله أو ولي رسوله، إلا إذا كان ذلك بجعل من الله ورسوله ﷺ.

والآن وبعدما بينا الفرق بين هذه التعريفات الثلاثة يمكننا قول مايلي:

أن النسبة بين الخلافة لغة والإمامة هي العموم والخصوص من وجه، فليس كل خليفة إماماً، وليس كل إمام خليفة (بالمعنى اللغوي طبعاً)، وقد يكون الشخص الواحد إماماً وخليفة في نفس الوقت.

فأبو بكر كان خليفة (بالمعنى اللغوي، أي أنه جلس على كرسي الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ)، لكنه لم يكن إماماً.

وعلي ﷺ لم يكن خليفة (بالمعنى اللغوي، أي أنه لم يحكم سياسياً ولم يجلس على كرسي الخلافة مباشرة بعد رحيل النبي ﷺ)، لكنه كان إماماً لأنه مجعول من الله ورسوله ﷺ.

١. لسان العرب لابن منظور ٨ / ٤٩٢٠.

٢. التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، ص ٣١٠.

٣. الولاية على النفس، الدكتور حسن الشاذلي ص ٥، القاهرة، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.

٤. سورة النساء: ٥٩.

ونفس الأمر يُمكنُ قولُه بين الخلافة والولاية، فإنَّه ليس كلُّ خليفة (بالمعنى اللُّغوي) وَلِيّاً، وليس كلُّ وَلِيٍّ خليفة (بالمعنى اللُّغوي) بالضرورة. أمَّا التَّسْبِية بين الإمامة والولاية فهي نسبة التَّساوي، أي أَنَّ كلَّ إمامٍ وَلِيٌّ، وكلَّ وَلِيٍّ إمامٌ. ولأهمية الولاية والإمامة نرى ابن تيمية يقول: «ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا تمام للدين والدنيا إلا بها»^(١).

شروط الخلافة الإسلامية

إنَّ للخلافة الإسلامية شروطاً يجب توفُّرها في خليفة المسلمين حتَّى يصحَّ كونه حاكماً وإماماً لهم، لأنَّ منصب الخليفة أو أمير المؤمنين أو رئيس الدولة، من أهمِّ المناصب على الإطلاق، فيه تقوم حراسة الدِّين وسياسة الدُّنيا»^(٢).

وقد اختلف اتباع مدرسة الصحابة في تحديد هذه الشروط، واختلافهم هذا لغير دليل على بطلان ما ذهبوا إليه من القول بخلافة فلان وفلان، حيث إن قولهم هذا يلزم منه كون النبي ﷺ ظالماً وحاشاه طبعاً إذ كيف يُعقل لسيد الخلق ومن بُعث رحمةً للعالمين أن يرحل من هذه الدنيا بدون أن يستخلف أحداً، بل حتَّى أنه لا يبيِّن للناس شروط وصفات الخليفة من بعده وهذا ما سوف يجعل الأمة ضالَّةً ضائعةً.

هذا وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة..»^(٣).

فهل يُعقل أن النبي ﷺ يأمرنا باتِّباع أناس غير معيَّنين؟

وهل يُعقل أنه لم يَقم أحدٌ من الصحابة ليسأل النبي ﷺ حينها: من هم هؤلاء الخلفاء الإثنا عشر الذين يكون الإسلام بهم عزيزاً منيعاً حتَّى تتمسك بهم؟

أم بالنسبة لاتباع مدرسة الصحابة فقد وقعوا في حيص بيص حينما أرادوا تعيين هؤلاء الخلفاء الإثني عشر، فقد حاول ابنُ تيمية تعيينهم حينما قال:

فكان الخلفاء: أبو بكر وعمر، وعثمان، وعليّ، ثم تولَّى من اجتمع الناس عليه وصار له عزٌّ ومنعة: معاوية، وابنه يزيد، ثم عبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز»^(٤).

أمَّا السؤال الأول الذي يُطرح على ابن تيمية: هل كان تعيينك لأسماء هؤلاء الخلفاء الإثني عشر إستناداً إلى آية أو حديث نبويّ، أو أنك قد جئت بها من كيسك الخاص؟

١. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية، تحقيق علي بن محمد العمران ص ٢٣٢. دار عالم الفوائد.

٢. الأحكام السلطانية للمهاوردي، ص ٣.

٣. صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٤٥٣.

٤. منهاج السنة النبوية لابن تيمية بتحقيق محمد رشاد سالم ج ٨/ ص ٢٣٨ طبعة ١٤٠٦.

ثم كيف يجراً على القول بأن معاوية صار له عزٌّ ومنعة؟ وهل يكون العزُّ والمنعة بسبب رسول الله أم بقتال أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين وخليفة المسلمين عليٍّ عليه السلام؟ وكيف يكون يزيدُ شاربُ الخمر وقاتل الصحابة ومُحرق الكعبة وهاتك أعراض الصحابيَّات وبناتهنَّ في المدينة خليفة المسلمين؟ وهل يكون الإسلام عزيزاً بقتل أهل البيت عليهم السلام، أم بسبي نساءهنَّ؟

ثم كيف أدخل يزيدُ بن معاوية في هؤلاء الخلفاء وأخرج سيّدَيْ شباب أهل الجنة، الحسن والحسين؟ إنه لعمرُ الله النصْبُ والعداءُ لأهل البيت ليس إلا. وهذا خير دليل على أن ابن تيمية يعتقد بأفضليَّة يزيد بن معاوية على سبطي رسول الله، وهذا ما لا يعتقده مسلم.

ومن الملفت للنظر أن كل علماء المسلمين عجزوا عن تحديد أسماء هؤلاء الخلفاء الإثني عشر إلا أتباع أهل البيت وهم الذين تمسَّكوا بالثقلين.

وتحديدهم ليس صعباً على من اتَّبَعَ الحق وترك التعصُّب. فالطريق الوحيد لمعرفة أسماء هؤلاء الخلفاء هو الجمع بين حديث الثقلين وبين هذا الحديث.

أما شروط الخلافة والإمامة، فقد ذكرها أبو الحسن عليُّ بن محمَّد الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) حيث قال:

وأما أهل الإمامة فالشُّروطُ المعتبرةُ فهمُ سبعةٌ:

أحدها: العدالة على شروطها الجامعة.

والثَّاني: العلم المؤدِّي إلى الإجتِهاد في التَّوَازُل والأحكام.

والثَّالث: سلامة الحواسِّ من السَّمْع والبصر واللِّسان، ليصحَّ معها مباشرة ما يُدرِك بها.

والرَّابع: سلامة الأعضاء من نقص يمنع عي استيفاء الحركة وسرعة التَّهَوُّس.

والخامس: الرُّأي المفضي إلى سياسة الرُّعيَّة وتدبير المصالح.

والسَّادس: الشَّجاعة والتَّجدة المؤدِّيَّة إلى حماية البيضة وجهاد العدو.

والسَّابع: النَّسب، وهو أن يكون من قُرَيش، لِوُرُود النَّصِّ فيه وانهقاد الإجماع عليه، ولا اعتبار بضرار حين شَدَّ فَجَوَّزها في جميع النَّاسِ، لأنَّ أبا بكر (الصِّدِّيق رضي الله عنه) احتجَّ يوم السَّقِيفة على الأنصار في دفعهم عن الخلافة لما بايعوا سعد بن عبادة عليها، بقول النَّبي صَلَّى الله عليه وسلَّم: «الأئمةُ مِن قُرَيش»^(١)، فأقلعوا عن التَّفَرُّد بها ورجعوا عي المشاركة فيها حين قالوا: منَّا أميرٌ ومنكم أمير، تسليماً لروايته وتصديقاً لخبره ورَّضوا بقوله: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وقال النَّبي صَلَّى الله عليه وسلَّم: «قَدِّمُوا

١. صحيح، رواه أحمد بن حنبل [١١٨٩٨]، وصحَّحه الشيخ الألباني في صحيح الجامع [٢٧٥٨].

قريباً ولا تَقْدَمُوهَا»^(١) أي ولا تَقْدَمُوهَا. وليس مع هذا النصّ المسلم شُبهة لمنازع فيه، ولا قول لمخالف له.

ثم أخذ الماوردي بشرح هذه الشروط والتعليق عليها حيث قال:

أما العدالة: فالمراد بها أن يكون صاحب استقامة في السيرة، وأن يكون متجنباً للأفعال والأحوال الموجبة للفسق والفجور، فكما لا يكون الظالم والغادر مُستحقّاً للخلافة، لا يكون المتَّصف بالتأمر والتحليل كمثل تسليم قطيع من الغنم للذئب وجعله راعياً لها. وأقوى برهان على ذلك قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، أي: لا يستحقونها ولا يصلون إليها، والقصد الأساسي من تنصيب الخليفة هو دفع الظلم عن الناس لا تسليط الظلم عليهم، فلذا لا يجوز عند علماء الإسلام كافّة انتخاب من هو بالظلم والبغي خليفة، كما أنّ الخليفة الذي ارتكب الظلم والطغيان أثناء خلافته يستحقّ العزل، بل إنّه عند قدماء الشافعية وعلى رأسهم الشافعي نفسه: ينعزل ولو لم تعزله الأمة^(٣).

ويستلزم أغلبية الفقهاء أن يكون الخليفة على درجة كبيرة من العلم، فلا يكفي أن يكون عالماً، بل يجب أن يبلغ مرتبة الإجتهد في الأصول والفروع على السواء، لكي يكون قادراً على تنفيذ شريعة الإسلام، ودفع الشبهات عن العقائد، وإعطاء فتاوى في المسائل التي تقتضيها، وإصدار الأحكام استناداً إلى النصوص أو إلى الاستنباط، لأنّ الغرض الأساسي للخلافة هو صيانة العقائد وحلّ المشاكل والفصل في المنازعات^(٤).

وقال: وينبغي أن يكون الإمام إلى جانب علمه بأحكام الإسلام مثقفاً ثقافة عالية، مُلمّاً بأطراف من علوم عصره، وياحِذاً لو كان متخصصاً في بعضها، ويكون على علم بتاريخ الدّول وأخبارها، وبالقوانين والمعاهدات الدولية، والعلاقات السياسية والتجارية والتاريخية.

وقد فرّق ابنُ خلدون في مقدّمته بين العيوب الجسميّة المطلقة التي تمنع الخليفة من أداء وظيفته، كأن يكون أعمى أو أخرس، أو أصمّ، أو مقطوع اليدين، أو الرجلين، ففي هذه الحالة لا يكون المرشّح أهلاً للخلافة، أمّا إن كان أعور أو أصمّ بإحدى أذنيه، أو مقطوعاً إحدى يديه، ففي هذه الحالة يبقى المرشّح أهلاً للرئاسة.

١. ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح، وقال: أخرجه عبد الرزّاق بإسناد صحيح، لكنّه مرسل وله شواهد، وصحّحه الشيخ الألباني في صحيح الجامع [٢٩٦٦].

٢. البقرة: ١٢٤.

٣. فقه الخلافة وتطوّرها، ص ٩١.

٤. فقه الخلافة وتطوّرها، ص ٩٢.

ثم قال: ويعبر بعض الفقهاء عن هذا الشرط بالحكمة، والحق أن هذه الحكمة غالباً ما تُكتسب بالخبرة والتجربة، لكن غاية ما ينبغي أن يتوفر في المرشح لمنصب الخليفة أن يكون قادراً على سياسة الأمور سياسةً دقيقة ناتجة عن حنكة وتجربة وفهم للواقع. وقال في موضوع الشجاعة: ذلك أن الخليفة هو قائد الجيوش الإسلامية، ولا يتسق أن يكون قائد جيوش المسلمين جبائناً أو متخاذلاً عن الدفاع عن قضايا الإسلام الكبرى. أما أبو يعلى الفراء فقد ذكر^(١) أربعة شروط وهي:

الأول: النسب القرشي.

الثاني: إحراز كل شروط القاضي مثل الحرية والبلوغ والعقل والعلم والعدالة.

الثالث: القدرة في إدارة الأمور من حرب وإجراء الحدود.

الرابع: أن تكون له الأفضلية والأعلمية في الدين.

فهذه الشروط جامعة يجب توفُّرها في خليفة المسلمين، فلو نقص منها شرط واحد لأخل ذلك في صحة خلافته، لأن الموجبة الكليّة تنقضها السالبة الجزئية.

ومن هنا سوف نتطرق إلى هذه الشروط، ونرى فيمن توفّرت وفيمن لم تتوفّر حتى يتسنى لنا معرفة خليفة رسول الله الشرعي.

أما فيما يخص النسب القرشي، فالسؤال المطروح هنا: ما هي الميزة التي اتّصفت بها قريش دون غيرها من القبائل والمناطق الأخرى حتى تصحّ فيها الخلافة؟ ولماذا لا يحقّ لرجل غير قرشي أن يكون خليفة للمسلمين؟

فإن قال قائل: لكون النبي ﷺ من قريش وجب كون خليفة من قريش أيضاً. نقول: إذا كان الأمر كذلك فصار الأولى أن نقول إن خليفة المسلمين يجب كونه من أهل بيت الرسول ﷺ لأنهم الأقرب إليه روحاً وجسداً. ولأنهم مطهرون من كل رجس وندس.

ثم إن كان هناك من يقول بوجوب كون الخليفة من قريش لانتساب النبي إليها، فلماذا لا يقول بوجوب كون خليفة النبي ﷺ من أهل بيته وعترته، مادام أنه ينتسب إلى النبي ﷺ؟

ولو استدللّ هذا القرشي على صحة خلافته بكونه من قريش، كان الأولى لغيره من بني هاشم أن يستدلّ على ذلك لأنه أضيّق دائرة من قريش، ولحقّ لأهل البيت عليهم السلام الاستدلال على ذلك بطريق أولى. لأن أهل بيت النبي ﷺ أخصّ وأضيّق دائرة من قريش بل ومن بني هاشم.

أما فيما يخص القدرة في إدارة الأمور من حرب وإجراء الحدود، فإن فاقده الشيء لا

يعطيه، ومن كان معروفاً بانتهامه وفراره من أرض المعركة كان أحوج لغيره في هذه الأمور على أقل التقادير.

وإن الخليفة الذي يجن أصحابه ويجنونه في ساحات القتال لغير صالح لأن يكون واحداً من الجنود فضلاً عن كونه قائداً لهم أو خليفة عليهم، وذلك لوجوب انتصاف الجندي بصفات الشجاعة وبت العزيمة وروح القتال في أصحابه لا العكس. وسيأتي الحديث مفصلاً في محله.

أما شرط الأعلمية والأفضلية في الدين، فليت شعري هل يُقاس أحدٌ بمن وُلد في الكعبة موخداً ولم يسجد لصنم قط، وأول من صلب مع النبي ﷺ، ومن تربى في حجر سيد الخلق وأخذ من علومه ومعارفه، وتزوج سيدة نساء العالمين...؟ وإن العاقل يكفيه قراءة ما رواه الحاكم في مستدركه حيث قال:

سمعت القاضي أبا الحسن علي بن الحسن الجراحي وأبا الحسين محمد بن المظفر يقولان سمعنا أبا حامد محمد بن هارون الحضرمي يقول: سمعت محمد بن منصور الطوسي يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ ما جاء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه^(١).

أما الأعلمية في الدين، فمن ذا الذي يقدم نفسه على باب مدينة علم الرسول ﷺ؟ ومن ذا الذي يسمح له ضميره أن يتقدم على قوم فهم من كان عالماً بكل آية في القرآن أين ومتى وعلى من نزلت؟ ومن ذا الذي يقايس نفسه برجلٍ كان كبار الصحابة يرجعون إليه في حلّ معضلاتهم ومشاكلهم الدينية والدنيوية، حتى قال قائلهم قولته المشهورة: «لولا علي لهلك عمر».

وسيأتي الكلام مفصلاً في محله إن شاء الله تعالى.

١. المستدرک علی الصحیحین ج ٣، ص ١٢٣. والإستیعاب لابن عبد البر ٣/ ١١١٥ والإصابة لابن حجر العسقلانی ٤/ ٤٦٥ وفتح الباری ٧/ ٧١.

عدالة أبي بكر

١٩

أما فيما يخصّ عدالة أبي بكر فيكفي في الحقيقة ذكر ما صنعه مع قبيلة تميم أو ما يُعرف بحروب الرِّدة التي قام فيها جيشُ خالد بن الوليد بقتل الصّحابة وعلى رأسهم الصّحابيُّ الجليل مالكُ بن نويرة سيّد قبيلة تميم وكان هذا بأمرٍ من أبي بكر. ويا ليت القصة توقّفت عند قتل الرّجال المسلمين وإنّما قام خالدُ بنُ الوليد أيضاً بالتزو على زوجة مالكٍ بالقوّة، ذلك بعدما قطع رأسه ووضعَه في قِدر وأكل منه هو وأصحابه. كن ذلك كان في ظلِّ خلافة أبي بكر.

روى الطّبري في تاريخه:

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن أبي بكر الصّديق، أنّ أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه: أن إذا غشيتم داراً من دور النّاس فسمعتُم فيها أذاناً للصّلاة، فأمسكوا عن أهلها حتّى تسألوهم ما الذي نعموا! وإن لم تسمعوا أذاناً، فشتّوا الغارة، فاقتلوا، وحرّقوا. وكان ممّن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربيعٍ أخو بني سلمة، وقد كان عاهد الله ألا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها، وكان يُحدّث أنّهم لما غشوا القوم راعوهم تحت اللّيل، فأخذ القوم السّلاح قال: فقلنا: إنّنا المسلمون، فقالوا: ونحن المسلمون، قلنا: فما بال السّلاح معكم؟! قالوا لنا: فما بال السّلاح معكم؟! قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السّلاح، قال: فوضعوها، ثم صلبّوا وصلّوا، وكان خالد يعتذر في قتله أنّه قال له وهو يراجعُه: ما أخال صاحبكم إلّا وقد كان يقول كذا وكذا، قال: أو ما تعدّه لك صاحباً؟! ثم قدّمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه، فلمّا بلغ قتله عمر بن الخطّاب، تكلم

فيه عند أبي بكر فأكثر، وقال: عدُّ الله (يقصد خالد بن الوليد) عدا على امرئ مسلم فقتله، ثم نزا^(١) على امرأته! وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتَّى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد، معترجاً بعمامة له، قد غرز في عمامته أسهماً، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطَّهما، ثم قال: أرثاء! قتلت امرأ مسلماً، ثم نزوت على امرأته؟! والله لأرجمنك بأحجارك- ولا يكلمه خالد بن الوليد، ولا يظنَّ إلا أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه- حتَّى دخل على أبي بكر، فلما أن دخل عليه أخبره الخير، واعتذر إليه فعذره أبو بكر، وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك، قال: فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر، وعمرُ جالس في المسجد، فقال هلمَّ إليَّ يا بن أمِّ شملة. قال: فعرف عمرُ أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه، ودخل بيته^(٢).

روى ابن حجر في «الإصابة»:

فقدم أخوه مُتَمِّمٌ بنُ نُويرة على أبي بكر، فأنشده مرثيةً أخيه، وناشده في دمه وفي سبيهم، فردَّ أبو بكر السَّبي. وذكر الزَّبير بن بكار أن أبا بكر أمر خالداً أن يُفارق امرأة مالك المذكورة، وأغلظ عمرُ لخالدٍ في أمر مالك، وأمَّا أبو بكر فعذره^(٣).
أمَّا سبب قتله للصَّحابي مالك بن نويرة رضي الله عنه فليخصها لنا ابن حجر في سطرين حيث قال:

وروى ثابت بن قاسم في «الدلائل» أن خالداً رأى امرأة مالك - وكانت فائقةً في الجمال فقال مالكٌ بعد ذلك لامرأته: قتلتي! يعني: سأقتل من أجلك^(٤).
فخالد بن الوليد كان يريد زوجة مالك لا غير، ولأجل هذا قام بقتله.
وخيرٌ دليل على إسلام مالكٍ رضي الله عنه هو ما ذكره ابن الأثير في «أسد الغابة»^(٥) حيث قال:

فقدم مُتَمِّمٌ (أخو مالك بن نويرة) على أبي بكر يطلب بدم أخيه، وأن يردَّ عليهم سبيهم، فأمر أبو بكر بردَّ السَّبي، ووَدَّى^(٦) مالكا من بيت المال.
ثم قال:

١. نزا الثور: وثب أُنثاه للسَّفاد.

٢. تاريخ الطَّبري، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم ج٣/ ص ٢٨٠. ومحمَّد بن جرير الطَّبري توفِّي سنة ٣١٠.
وانظر البداية والنهاية لابن كثير ج٩/ ص ٤٦٤ وأسَدُ الغابة لابن الأثير ج٤/ ص ٢٩٥ والكمال في التاريخ ج٢/ ص ٣٥٨.

٣. الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٥، ص ٧٥٥.

٤. الإصابة لابن حجر ج٥، ص ٧٥٥.

٥. أسَدُ الغابة لابن الأثير ج٥، ص ٤٩.

٦. وَدَّى: أي أعطى الدِّية.

فهذا جميعه ذكره الطبري وغيره من الأئمة، ويدلّ على أنّه لم يرتد، وقد ذكروا في الصحابة أبعد من هذا، فتركهم هذا عجب. وقد اختلف في ردتّه، وعمرُ يقول لخالد: قتلت امرأ مسلماً. وأبو قتادة يشهد أنّهم أدّنوا وصلّوا، وأبو بكر يردّ السي ويبيعي دية مالك في بيت المال. فهذا جميعه يدلّ على أنّه مسلم.

فلو كان مالك بن نويرة مرتدّاً لما أعطاهم أبو بكر دية، لأنّ المرتد لا دية له. والسؤال المطروح هنا: لماذا لم يُقم أبو بكر الحدّ على خالد؟ ولماذا رضي بفعلة؟ بل دافع عنه بقوله: تأوّل فأخطأ.

وللعلم، فإنّ أوّل من أسّس لقاعدة: «أَقْتُلْ تُوجَر» هو أبو بكر بن أبي قحافة. حيث يقول أنّ من قتل نفساً مؤمنة بغير حقّ ثمّ بان خطؤه فإنّ له أجراً واحداً، ولو أصاب فله أجران.

إذن من يقتل المؤمنين يؤجّر على ذلك عند أبي بكر. وهذا مخالفٌ لصريح القرآن الكريم الذي يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(١).

جاء في كثر العمال:

عن ابن أبي عون وغيره: أنّ خالد بن الوليد إدعى أنّ مالك بن نويرة ارتدّ بكلامٍ بلغه عنه، فأنكر مالك ذلك، وقال: أنا على الإسلام، ما غيّرْتُ ولا بدّلْتُ وشهد له بذلك أبو قتادة وعبد الله بن عمر، فقدمه خالدٌ وأمر ضرار بن الأزور الأسدي فضرب عنقه، وقبض خالدٌ امرأته، فقال عمرُ لأبي بكر: إنّهُ قد زنى فأرجمه، فقال أبو بكر: ما كنت لأرجمه، تأوّل فأخطأ، قال: فإنّه قد قتل مسلماً فاقتله، قال: ما كنت لأقتله تأوّل فأخطأ، قال: فاعزله، قال: ما كنتُ لأشيم^(٢) سيفاً سلّه الله عليهم أبداً^(٣).

إذن، من قتل صحابياً مسلماً وزنى بامرأته، يُعتبر سيفاً من سيوف الله في منطق أبي بكر.

هذا وبغضِ النظر عن جريمته بحقّ صحابيّ كبيرٍ مثل مالك، فكيف يحقّ له اغتصاب زوجة لم تنته عدتها بعد؟ والكلّ يعلم أنّ عدّة المتوفّي عنها زوجها أربعة أشهر وعشر؟! فكيف يدخل بها خالدٌ من دون استبراء؟

ولو سلّمنا جدلاً أنّ مالكاً قد ارتدّ، فما ذنب زوجته حتّى يُصنع بها هذا؟ فلا ملازمة بين ارتداد خالد وارتداد زوجته. ومع التسليم أيضاً بارتداد زوجته فلا يحقّ له اغتصابها.

١. النساء: ٩٣..

٢. أشيم: أغوي.

٣. كثر العمال للمتقي الهندي ج ٥، ص ٦١٩.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَزُرْ وَاوْرَثَةً لِّأَخِي﴾. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

جاء في تاريخ الإسلام:

قال خالد لضرار بن الأزور: إضرب عنقه، فالتفت مالك إلى زوجته وقال: هذه التي قتلتي، وكانت في غاية الجمال، قال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام، فقال: أنا على الإسلام، فقال: إضرب عنقه، فضرب عنقه وجعل رأسه أحد أثافي^(١) قدر طبخ فيها طعام، ثم تزوج خالد المرأة، فقال أبو زهير السعدي من أبيات:

قضى خالد بغياً عليه لغرسه وكان له فيها هوئ قبل ذلك^(٢).

فهذا أبو زهير السعدي يصرح أن خالداً قتل مالكا فقط لأجل زوجته.

وهذا هو مالك الصحابي الجليل يقر أنه على الإسلام وأنه لم يرتد.

ثم كيف يحق لخالد بن الوليد أن يُمَثَّلَ بصحابي مسلم بعد قتله؟ وقد نهى النبي الأكرم ﷺ عن المثلة ولو بالكلب العقور!

ثم حتى لو نزلنا مالكا منزلة الكلب العقور وحاشاه طبعاً هذا الصحابي الجليل فإنه لا يجوز التمثيل به.

لكن هذا الكلام لا يفهمه سوى العقلاء من البشر الذين يستحون بإنسانيتهم أن يعذبوا حيواناً، فضلاً عن تعذيب البشر، وأي بشر هو، إنه صاحب رسول الله ﷺ.

ولو قال قائل: إن خالداً هو من ارتكب هذا الخطأ وليس أبو بكر.

نقول: صحيح أن خالداً هو من ارتكب هذه الجريمة الشنعاء، لكنه كان مأموراً من قبل أبي بكر بمحاربة مانعي الزكاة (على زعمهم). وأبو بكر كان حاكماً على رقاب المسلمين، فهو الأمر والنهي.

ومثاله اليوم، أنا لورأينا منكرًا في بلد ما أو جريمة بحق شخص أو جماعة معينة، فإن كل العقلاء يوثقون ويذمّون حاكم ورئيس ذلك البلد، ولا يذمّون نفس الشرطي المباشر لتلك الجريمة، مع أنه هو أيضاً محاسب على فعله ومسؤول عنه ويستحق العقاب على ذلك عقلاً وشرعاً.

ولو سألنا أبا بكر لم فعلت كل هذا، وأمرت خالداً بقتل أولئك الأخيار من الصحابة؟ يقول ويكل بساطة: لأنهم امتنعوا عن دفع الزكاة.

فليت شعري، متى كان القتل من نصيب مانعي الزكاة (هذا إذا كان أبو بكر خليفة رسول الله الشرعي طبعاً)؟! والحديث الصحيح يقول إن النبي صلى الله عليه وآله أمر

١. أثافي: جمع أثفية وهي أحجار ثلاثة يوضع القدر عليها فوق الموقد.

٢. تاريخ الإسلام للذهبي، حوادث ووفيات سنة (١١ ٤٠ هـ) ص ٣٤.

بقتال النَّاسِ حَتَّى يَنْطَقُوا بِالشَّهَادَتَيْنِ.

وهذا ما اعترف به عمر لأبي بكر حينما أراد قتالهم. لكنَّ أبا بكر أصرَّ على قتالهم، فيكون قد خالف صريح قول النبي ﷺ.

روى مسلم في صحيحه:

قال عمر بن الخطَّاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصِمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ؟». فقال أبو بكر: والله لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ لِقَاتِلَتِهِمْ عَلَى مَنَعِهِ^(١).

وروى أيضاً:

عن سعيد بن المسيَّب أنَّ أبا هريرة أخبره، أنَّ رسول الله قال: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، عَصِمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»^(٢).

وجاء في صحيح سُنَنِ النَّسَائِي:

عن أنس بن مالك، عن النبي قال: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَإِذَا شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَلُّوا صَلَاتِنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبَلَتَنَا، وَأَكَلُوا ذَبَائِحَنَا، فَقَدْ حَرَمْتُ عَلَيْنَا دِمَاؤَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا»^(٣).

والسؤال هنا: كيف أراد أبو بكر منهم دفع الزَّكَاةِ وهم لم يُبَايِعُوهُ؟ بل بايعوا علياً عليه السلام في غدير خم.

وكيف يدفعون الزَّكَاةَ لمن ليس خليفَتُهُم وإمامُهُم؟

هذا كلُّهُ فيما يخص قتاله للصَّحابة الأَخْيَار. أمَّا الفاجعة الكبرى التي قام بها أبو بكر فهي هُجُومُهُ على دار فاطمة الزَّهراءِ بِنْتِ الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى ﷺ، هذه الدار التي كانت مَهْبِطاً لِلْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ، وكان النبي لا يدخلها حتى يَسْتَأْذِنَ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ الزَّهراءِ عليها السلام. قد يقول قائل: إِنَّ هَذَا لِهَيْئَتَانِ عَظِيمَتَانِ وَكَذَبَ عَلَى صَحَابِيٍّ كَبِيرٍ مِثْلِ أَبِي بَكْرٍ. فنقول: يا ليتَهُ كَانَ هَيْئَتَانِ وَكَذِباً.

١. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ص ٣١.

٢. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. ص ٣١.

٣. (١) صحيح سُنَنِ النَّسَائِي، المجلد الثالث، ص ٦٧. قال الألباني: صحيح.

هناك العديد من كتب السنّة التي ذكرت قصّة الهجوم على دار السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وبعض هذه المصادر صحيحة السند كما سيأتي.
جاء في العقد الفريد:

وبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطّاب وقال لهم: فإن أبوا فقاتلهم. وأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرهم عليهم التّار فلقيته فاطمة فقالت: يا ابن الخطّاب أجئت لتُحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمّة^(١).
روى الطبري في تاريخه:

فدعا بالحطب وقال: والله لنحرقنّ عليكم أولتخرجنّ إلى البيعة. أو لأحرقنّها على من فيها. فيُقال للرجل: إن فيها فاطمة فيقول: وإن!^(٢).

نعم، وإن كانت فيها فاطمة سيّدة نساء العالمين، لايهمّ. المهمّ هو الحصول على السلطة والحكم بأيّ طريقة كان.

روى ابن أبي شَيْبَة بسند صحيح:

حدّثنا محمد بن بشر حدّثنا عبّيد الله بن عمر حدّثنا زيد بن أسلم عن أبيه أسلم أنّه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله وكان عليّ والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله فيشاورونها ويرتجعون في أمرهم، فلمّا بلغ ذلك عمر بن الخطّاب خرج حتّى دخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله، والله ما من أحدٍ أحبّ إلينا من أبيك، وما من أحدٍ أحبّ إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء نفر عندك، أن أمرتهم أن يُحرقنّ عليهم البيت، قال: فلمّا خرج عمر جاؤوها فقالت: تعلمون أنّ عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عُدتُم ليُحرقنّ عليكم البيت وأيم الله ليمضينّ لما حلف عليه، فانصرفوا راشدين، فَرَوْا رأيكم ولا ترجعوا إليّ، فانصرفوا عنها فلم يرجعوا إليها حتّى بايعوا لأبي بكر^(٣).

١. العقد الفريد لابن عبّد ربّه الأندلسي ج ٢/ ص ٢٥٠. وتاريخ أبي الفداء ج ١/ ص ١٥٦ وأعلام النساء ج ٣/ ص ١٢٠٧.

٢. تاريخ الطبري ج ٣/ ص ١٩٨. والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١/ ص ١٣. وشرح ابن أبي الحديد ج ١/ ص ١٣٤. وأنساب الأشراف للبلاذري ج ١/ ص ٤٠٤.

٣. مُصنّف ابن أبي شَيْبَة ٢١/ ١٣٤ قال المحقق الدكتور سعد بن ناصر الشثري: صحيح خرّجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة [٥٣٢] وابن عبد البر في الإستذكار ٣/ ٩٥٧ وابن أبي عاصم في الأحاد [٩٢٥٢]. والمذكّر والتذكير والذكر لابن أبي عاصم الشيباني ص ٩١ قال أبو ياسر الراددي: إسناده صحيح، وأنساب الأشراف للبلاذري ١/ ٥٨٦ بسند رجاله ثقات، وتاريخ الطبري ٣/ ٢٠٢ بسند رجاله ثقات، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٣٠ والوافي بالوفيات ٦/ ١٢ والمختصر في أخبار البشر ١/ ١٥٦ ونهاية الأرب في فنون الأدب ١٩/ ٤٠ وأعلام النساء ٤/ ١١٤ وإزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء ٤/ ٩٧ والإستعاب لابن عبد البر ج ١/

أما سند الرواية:

محمّد بن بشر: قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء: الحافظ الإمام الثّبت. وقال عنه أبو عبيد الأجري: هو أحفظ من كان بالكوفة. وقد وثّقه يحيى بن معين وغيره. وهو من رجال الكتب الستة.

عُبَيْد الله بن عمر: ابن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، فهو تابعي. قال عنه الذهبي: المجوّد الحافظ. ووثّقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين.

أما زيد بن أسلم وأبوه فمن رجال البخاري ولا يحتاجان إلى توثيق. وبالتالي فالسند صحيح لا غبار عليه.

وقد أخرج هذه الرواية عليّ محمدٌ ومحمّد الصّلاي في كتابه «أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب».

لكنّه حذف عبارة عمر حينما أقسم أن يحرق دار فاطمة الزهراء حين قال: «وأيّم الله، ماذا بمانعي إن اجتمع هؤلاء نفرٌ عندك أن أمرهم أن يُحرّق عليهم البيت». فاستبدلها بكلمة: «وكلمها»^(١).

لكنّه قال: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف وإسناده صحيح.

بالتالي فرواية ابن أبي شيبة صحيحة السند.

والجدير بالذكر أنّ نفس ابن تيمية قد اعترف في منهاجه بذلك حيث قال:

وغاية ما يقال إنّه كَبَسَ البيتَ لِيَنْظُرَ هل فيه شيءٌ من مال الله الذي يُقَسِّمُهُ وأن يعطيه لمستحقّه ثُمَّ رأى أنّه لو تركه لهم لجاز فإنّه يجوز أن يعطيهم من مال الفيء^(٢).

لاحظ عبارة: (كَبَسَ البيتَ). وأيّ باب كبسه يا ابن تيمية؟ ألم تقرأوا قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غيرَ بيوتكم حتّى تستأذّنوا وتسألوا على أهلها ذلكم خيرٌ لكم لعلّكم تذكّرون﴾ فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتّى يؤذّن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم»^(٣).

وهل كنت تقبل أن يُهجم على دار أمك يا ابن تيمية وأن يُكبس بيتها. فإن قلت: نعم. فاذهب وراجع أصلك ونسبك. وإن قلت لا فلعنة الله على من يقبل الهجوم على دار سيدة النساء ولا يقبل ذلك على أمه.

وهذا أبو بكر نفسه يعترف بذلك، كما جاء في الأحاديث المختارة: عن صالح بن

ص ٢٩٨. والمعدّ الفريد لابن عبد ربّه ١٣/٥ وكنز العمّال ج ٥/ص ٦٥١.

١. كتاب أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب لعليّ محمد الصّلاي ج ١/ص ٢٠٢.

٢. منهاج السنّة ج ٨، ص ٢٩١.

٣. النور: ٢٧.

كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، قال: دخلت على أبي بكر رضي الله عنه، أعوده في مرضه الذي تُوِّفِّي فيه، فسَلَّمْتُ عليه وسألته كيف أصبحت؟ فاستوى جالسًا، فقلت: أصبحت بحمد الله بارئًا، فقال: أما إني على ما ترى وجعٌ، وجعلتم لي شُغلا مع وجعي، جعلت لكم عهدًا من بعدي، واخترت لكم خيركم في نفسي فكلكم ورمَ لذلك أنفه رجاء أن يكون الأمر له، ورأيت الدنيا قد أقبلت ولمَّا تقبل وهي جائيةٌ، وستنجدون بيوتكم بسور الحرير، ونضائد الديباج، وتاملون ضجائع الصَّوْفِ الأذري، كأنَّ أحدكم على حسك السَّعدان، ووالله لأنَّ يَقدِم أحدكم فيضربَ عنقه في غير حدٍّ خيرٌ له من أن يسبح في غمرة الدنيا، ثم قال: أما إني لا آسى على شيءٍ، إلَّا على ثلاثٍ فعلتُهنَّ، وددتُ أنِّي لم أفعلتُهنَّ، وثلاثٍ لم أفعلتُهنَّ وددتُ أنِّي فعلتُهنَّ، وثلاثٍ وددتُ أنِّي سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهنَّ، فأما الثلاث الثلاثي وددتُ أنِّي لم أفعلتُهنَّ: فوددتُ أنِّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وإن أغلقت عليَّ الحرب، ووددتُ أنِّي يوم سقيفة بني ساعدة كنتُ قدفْتُ الأمرَ في عنق أحد الرِّجُلين: أبي عُبَيْدة أو عمر، فكان أميرَ المؤمنين، وكنتُ وزيرًا^(١).

هذا وقد قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُوْذِيَنِي مَا أَذَاهَا»^(٢).
وروى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «من حَمَلَ علينا السِّلَاحَ فليس مِنَّا»^(٣).
والمعلوم تاريخيا أن عمر وجماعته قدموا إلى دار فاطمة الزهراء عليها السلام مصليتين سيوفهما لإخراج علي عليه السلام والزيبر ومن كان معهما من الدار بالقوة.
وجاء في صحيح البخاري:
عن المسور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «فاطمة بضعةٌ مِنِّي فَمَنَ أْغَضَبَهَا أَغَضَبَنِي»^(٤).
فلاندرى ما سيقوله أبو بكر وعمر لرسول الله يوم القيامة إذا سألهما: كيف حفظتُما أهلَ بيتي مِن بعدي؟

١. الأحاديث المختارة لفضياء الدين المقدسي الحنبلي ج ١/ ص ٨٩، قال: هذا حديث حسن. وقد قال ابن تيمية إن هذا الكتاب أصح من مستدرک الحاكم كما جاء في مجموع الفتاوى ج ٣/ ص ٤٣. وانظر المعجم الكبير للطبراني ج ١/ ص ١٧. وتاريخ الطبري ج ٢/ ص ٦١٩. وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣٠/ ص ٤١٨. وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١/ ص ٣٨٥. ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي ج ٢/ ص ٣٥٣. ولسان الميزان لابن حجر ٤/ ١٨٩.

٢. صحيح مسلم ج ٤/ ص ١٩٠٣.

٣. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا» [٩٨].

٤. صحيح البخاري ج ٤، ص ٢١٠.

قال تعالى على لسان النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١). هذه هي قربة رسول الله ﷺ بين محرقة داره وبين مضروب بالسيف على رأسه وهو في محرابه يصلي، وبين مكابد سماً نقيعاً، وبين ممنوع ماء تشرب منه وحوش الفلاة، مقطوع الرأس محمول على القنا، وبين سي صحابية جليلة القدر ابنة سيدة النساء من كربلاء إلى الشام أمام أنظار القاصي والداني، وبين مغيب في قعر السجون لم ير النور إلى حين المنون. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فإذا كان المسلم العادي يمنعه ضميره من اقتحام بيوت الكفار فكيف الحال ببيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وكان جبريل عليه السلام لا يدخله إلا باستئذان. إنه بيت الأنبياء، بل هو من أفاضلها كما أخبر بذلك الصادق الأمين.

ومن يتصف بهذه الخصال فإنه جزماً لا يكون عادلاً فضلاً عن كونه أعدل الناس، بينما خليفة المسلمين يجب كونه أعدل أهل زمانه وإلا لا تنفي الغرض من وجود إمام يُقيم العدل بين الرعية ويرجع إليه المظلوم لاسترداد حقه.

وليت شعري، إذا كان خليفة المسلمين يصنع هذا ببنت رسول الله وسيدة نساء العالمين وريحانة المصطفى وأم أبيها^(٢) وزوجة أمير المؤمنين وأم الحسن والحسين، فكيف لا يصنع أكثر من ذلك مع غيرها؟

هذه هي عدالة أبي بكر، وهذا الذي ذكرناه غيض من فيض.

ومن هنا فإنه يحق لكل مسلم أن يطرح على نفسه السؤال التالي:

إذا كان في زماننا الحاضر رجل بهذه الصفات، هل كان يستحق الخلافة؟ وهل كان أهلاً لتولي أمور المسلمين؟ وهل كان المسلمون يرضون برجل هكذا صفاته؟

١. الشورى: ٢٣.

٢. تكتي السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بأُم أبيها، أنظر «أشد الغابة» لابن الأثير ج ٧/ ص ٢١٦.

شجاعة أبي بكر

٢٩

من أهم شرائط خليفة المسلمين كونه شجاعاً لا يهاب الموت، بل يجب كونه أشجع أهل زمانه حتى يستطيع قيادة الأمة والحفاظ على كيائها ووجودها، وليبعث روح الأمن والعزة والسلام والاستقرار في نفوس الرعية. ومن هنا سنقدم للقارئ الكريم بعض ما جاء في شجاعة أبي بكر فنقول:

أما بالنسبة لشجاعته فقد روت كتب السنة انهزامه في بعض المعارك وفراره في بعضها فقد ذكر الحاكم في مستدركه:

أخبرنا أبو قتيبة سالم بن الفصل الأدمي بمكة، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا علي بن هاشم عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الحكم وعيسى عن عبد الرحمن عن أبي ليلى عن علي أنه قال: يا أبا ليلى، أما كنت معنا بخير؟ قال: بلى والله كنتُ معكم، قال: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر إلى خيبر ففسار بالناس وانهزم حتى رجع^(١).

وأخرج ابن عساكر في تاريخه:

أخبرنا عبد الله بن حكيم عن أبيه عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بعث رسول الله أبا بكر إلى خيبر فهزم فرجع فبعث عمر فهزم فرجع فجئ

١. المستدرک علی الصحیحین ج ٣/ ص ٣٩ قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص. وانظر فضائل الصحابة ٢/ ٥٨٣ قال وصي الله بن محمد عباس: إسناده حسن، وقد جاء في الرواية كلمة (فلان) و(رجل) بدل أبي بكر وعمر وهذا من تدليسات القوم. و انظر أيضاً مجمع الزوائد ١٢٤/٩.

أصحابه ويحبّنه أصحابه، فقال رسول الله: لأدفعن الراية إلى رجل يحبّ الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله، يفتح الله عليه، فدعا علياً فقبل له إنّه أرمده، قال: أدعوه، فدعوه فجاءه فدفع إليه الراية ففتح الله عليه^(١).

وجاء في مُسند أحمد:

حدّثنا زيد بن الحباب، حدّثني الحسين بن واقد، حدّثني عبد الله بن بريدة، حدّثني أبي بريدة، قال: حاصرنا خيبر، فأخذ اللّواء أبو بكر، فانصرف ولم يُفتح له، ثمّ أخذه من الغد عمر، فخرج، فرجع ولم يُفتح له، وأصاب النّاس يومئذٍ شدّةٌ وجهدّ، فقال رسول الله^(٢): «إني دافع اللّواء غداً إلى رجل يحبّ الله ورسوله، ويحبّ الله ورسوله، لا يرجع حتّى يُفتح له، فيتنا طيّبةً أنفسنا أنّ الفتح غداً، فلمّا أن أصبح رسول الله، صلى الغداة ثمّ قام قائماً، فدعا باللّواء والنّاس على مصافّهم، فدعا علياً وهو أرمده، فتقلّ في عينيه، ودفع إليه اللّواء، وفتح له^(٣).

إنّه الإمام الذي لا يُهزم، بل لا وجود للهزيمة في قاموسه، إنّه سيف الله المسلول الذي سلّه على أعداء الله، من مشركين ومنافقين، إنّه الصّدّيق الأكبر.

روى ابن ماجة في سننه:

عن عبّاد بن عبد الله قال: قال عليّ: أنا عبد الله، وأخو رسوله، وأنا الصّدّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلاّ كذّاب، صلبتُ قبل الناس سبع سنين^(٤).

وعن معاذة العدويّة قالت: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول على منبر البصرة: أنا الصّدّيق الأكبر، آمنْتُ قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمتُ قبل أن يُسلم^(٥).

١. تاريخ دمشق لابن عسّاك ج ٤٢/ ص ٩٦. ونحوه في صحيح مسلم ١٧٧/ ١٥.

٢. مُسند أحمد بن حنبل بتحقيق شعيب الأرنؤوط ج ٣٨/ ص ٩٧، قال: هذا حديثٌ صحيح.

٣. سنن ابن ماجة بتحقيق الشيخ خليل مأمون شيعا. المجلّد الأول ص ٨٥ قال: هذا إسناده صحيح ورجاله ثقات. ورواه الحاكم في المستدرک ج ٣/ ص ١١١ وقال: على شرط الشيخين. وانظر مصنف ابن أبي شيبة ج ١٢/ ص ٩٥. وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢/ ص ٥٨٦. وخصائص الإمام عليّ عليه السلام للنسائي ص ٢٤ ٢٥. ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ج ١/ ص ٣٠١. قال البوصيري في الزوائد: هذا إسناده صحيح ورجاله ثقات. وقد رواه خمسة من التابعين.

٤. ذخائر العقبى ص ١١١. وأنساب الأشراف للبلاذري ١٤٦/ ٢. ونحوه في الأحاد و المثاني لابن أبي عاصم مج ١ ص ١٤٨. ومصنف ابن أبي شيبة ٩٥/ ١٢. وأحمد في فضائل الصحابة ٥٨٦/ ٢. والحاكم في المستدرک ج ٣/ ١١١ قال: صحيح على شرط الشيخين. وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناده صحيح ورجاله ثقات. والرياض النضرة ص ١٠٧.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ بِالنَّاسِ فَانْهَزَمَ حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهِ وَبَعَثَ عُمَرَ فَانْهَزَمَ بِالنَّاسِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ، لَيْسَ بِفَرَارٍ»^(١).

وقول النَّبِيِّ: لَيْسَ بِفَرَارٍ، هَذَا يَعْنِي أَنَّ الَّذِينَ بَعَثَهُمَا قَبْلَهُ كَانَا قَدْ فَرَا.

ثُمَّ يَجِبُ أَنْ لَا نَنْسَى أَنَّ الْفَرَارَ مِنَ الرَّحْفِ هُوَ مِنَ الْكِبَائِرِ فِي الْإِسْلَامِ وَأَنَّ الصَّحَابَةَ قَدْ بَايعُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَى أَنْ لَا يَفْرُوا.

روى الترمذي في سننه:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عَيِينَةَ عَنْ أَبِي الزَّيَّيرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «لَمْ يُبَايِعْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَوْتِ إِنَّمَا بَايَعَنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفَرُ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَمَحٍ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ عَنْ أَبِي الزَّيَّيرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَبَايَعَنَاهُ وَعُمَرُ أَخَذَ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَهِيَ سَمُرَةٌ، وَقَالَ: بَايَعَنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفَرُ وَلَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ^(٣).

وَلَا نَنْسَى غَزْوَةَ الْخَنْدَقِ حِينَمَا بَرَزَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ الْعَامِرِيُّ مُخَاطِبًا الْمُسْلِمِينَ وَطَالِبًا مَبَارِزَتِهِمْ. وَكَانَ عَمْرُو فَارِسًا شَجَاعًا وَرَجُلًا قَوِيًّا، وَهَنَّاكَ قَامَ الرَّسُولُ ﷺ يَنَادِي فِي الْمُسْلِمِينَ: هَلْ فِيكُمْ مِنْ مَبَارِزٍ لَهُ؟ فَسَكَتَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعُهُمْ وَكَانَ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ، إِلَّا عَلِيًّا ؓ فَإِنَّهُ قَامَ وَقَالَ لِلنَّبِيِّ: أَنَا لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُ عَمْرُو ضَرَبَهُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ ؓ عَلَى رَأْسِهِ فَفَلَقَ هَامَتَهُ وَصَاحَ الْمُسْلِمُونَ بِالتَّكْبِيرِ فَرَحًا بِهَذَا النَّصْرِ الْإِلَهِيِّ الْعَظِيمِ.

فَأَيْنَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ حِينَمَا طَلَبَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ مَبَارِزَتَهُمْ؟ وَأَيْنَ كَانَ حِينَمَا نَادَاهُمُ النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ بِمَقَاتِلِ عَمْرُو؟ بَعْدَمَا كَانَ ﷺ قَدْ ضَمَّنَ الْجَنَّةَ لِلْقَتِيلِ مِنْهُمْ؟ وَلَوْ كَانَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى إِبْرَازِ شَجَاعَتِهِ وَإِظْهَارِ قُوَّتِهِ وَبِسَالَتِهِ، فَمَتَى يَأْتُرَى يُمْكِنُهُ إِبْرَازُهَا؟

١. مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ ج ٨/ ص ٥٢٢. وجمع الزوائد كتاب المغازي والسير ص ١٦٠ قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات. وانظر تهذيب الخصائص للنسائي ص ٢٠-٢١. والاستيعاب لابن عبد البر، باب حرف العين ص ٥٢٧ قال ابن عبد البر: وهذه كلها آثار ثابتة. ونحوه في صحيح البخاري باب غزوة خيبر. وصحيح مسلم ١٥/ ١٧٧. وفُضَائِلُ الصَّحَابَةِ ص ٧٦٥ قال: إسناده صحيح. وفي مسند أحمد ١٦/ ٤٩١ قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح

٢. صحيح سنن الترمذي، باب ما جاء في بيعة النبي، ص ٣٧٦، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

٣. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، ص ٩٠٠.

ولسنا هنا في مقام ذكر الهزائم والعصيان والفرار الذي صدر من كثير من الصحابة في أرض المعركة، ومن يريد معرفة المزيد ما عليه إلا مراجعة كتب التاريخ ليعلم ما صدر من كبار الصحابة من فرار وتولية دبر وعصيان لأوامر رسول الله ﷺ في أحلك الظروف.

وهذه بعض الآيات القرآنية التي دثمت الفارين والمولين أذبارهم في أرض القتال. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْكَامُ مَا يُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ^(١)﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا فَلَا تُوَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَرِّجًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ^(٢)﴾. وقد يقول قائل: ما ذنب أبي بكر إذا كان قد حاول فتح قلعة خيبر لكنه لم يوفق لذلك؟

نقول: إن المشكلة والعصيان ليس في كونه لم يقدر على فتح باب خيبر بل المشكلة في أنه رجع خائباً منهزماً فلم يحظَ بإحدى الحُسنيين، في حين كان تكليفه الشرعي إما أن يفتح قلعة خيبر ويعود منتصراً، وإما أن يحظى بالشهادة في سبيل الله. لأنَّ الجهاد في الإسلام يكون مقدمةً إما للتصبر أو الشهادة وليس مقدمةً للفرار والإنهزام والرجوع بالخيبة.

وعلى كلِّ حال فقد تبين لنا أنَّ صاحب هكذا صفات لا يكون شجاعاً فضلاً عن كونه أشجع الناس، بينما اشترط علماء السنة كون خليفة المسلمين شجاعاً ومجاهداً للعدو، في حين لم تذكر لنا كتب السير والتاريخ إسم مشرك واحد قُتِلَ بسيف أبي بكر أو عمر.

١. آل عمران: ١٥٢.

٢. الأنفال: ١٦١٥.

علم أبي بكر

٣٣

من الواضح وجوب كون خليفة المسلمين أعلم أهل زمانه حتى يتسنى للأمة الرجوع إليه في مسائلهم العقدية والفقهية وتفسير القرآن والحديث. لا العكس، بأن يرجع هو إليهم.

ومن المعلوم والمسلم به أن أبا بكر لم يكن كذلك، إذ أن الناس كانوا يسألونه فلا يجيبهم بعلم. بل هو الذي كان دائم الرجوع إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام في أمور الدين والفقه والمسائل العِضال.

جاء في كتاب المنتظم:

«وكان أبو بكر وعمر يُشاورانه (يعني علياً عليه السلام) ويرجعان إلى رأيه، وكان كل الصحابة مُفتقراً إلى علمه»^(١).

وأخرج أبو عبيد في فضائله وعبد بن حميد، عن إبراهيم التيمي قال: سئل أبو بكر الصديق عن قوله: «(أَبَا) فقال: أَيُّ سماءٍ تُظِلُّني وأَيُّ أرضٍ تُقَلِّني إذا قُلْتُ في كتاب الله ما لا أعلم»^(٢).

وروى ابن أبي شعبة:

حدَّثنا محمد بن عبيد، عن العوّام بن حوشب، عن إبراهيم التيمي: أن أبا بكر سئل

١. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى: ٥٩٧، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ج ٥/ ص ٨٦، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هجري.

٢. الدر المنثور للشيوطي ج ٦/ ص ٣١٧. وانظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج ٦/ ص ٢١٢.

عن: «فاكهة وآباء»، فقال: أيُّ سماءٍ تُظِلُّني وأيُّ أرضٍ تُقِلُّني إذا قُلْتُ في كتاب الله ما لا أعلم^(١).

وأخرج الشيوطي في الدر المنثور:

أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة والدارمي وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في سننه، عن الشعبي قال: سئل أبوبكر عن الكلالة، فقال: «إنِّي سأقولُ فيها برأيي، فإذا كان صواباً فمنَ الله وحده لا شريك له، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان، واللهُ منه بريء، أراه ما خلا الولد والوالد» فلمَّا استخلف عمرَ قال: «الكلالةُ ما عدا الولد»، فلمَّا طعنَ عمرُ قال: «إنِّي لأستحي من الله أن أخالفَ أبابكر»^(٢).

لاحظ أولاً عدم علم أبي بكر بالقرآن، ثمَّ إنَّه يقول برأيه في وقت يحتاج فيه المسلمون رأي الله عزَّ وجلَّ وليس رأيه، ثمَّ يأتي عمرُ فيخالف أبابكر، فمن كان مُحققاً ومن كان مُخطأً فهما؟ وهل يتَّبِع المسلمون أبابكر أم يتَّبِعون عمر في هكذا مسألة؟

هكذا يحصل حينما يتلبَّس شخصٌ بما ليس له.

ثمَّ كيف يجهل خليفة المسلمين معنى كلمة (الأب) و(الكلالة) وغيرها من أمور الدِّين التي تهتمُّ المسلمون؟ وما كان صانعاً لو سأله المسلمون عن أحكام القرآن وتفسيره وبيان مُحكميه من مُتشابهه أو ناسخه من منسوخه و...؟؟؟ وكما يقول المثل: فاقدُ الشيء لا يعطيه.

والمعروف أنَّ تعليم النَّاس أمورَ دينهم وهدايتهم والسَّير بهم إلى طريق النِّجاة هو من مسؤوليات خليفة المسلمين، وإلاَّ لو كان الخليفة جاهلاً بهذه التَّعاليم والأحكام لأدَّى ذلك إلى انتفاء الغرض من كونه خليفةً لهم، لأنَّه يصبح بهذا أحوَج إلى غيره في هذه المسائل. وبدل أن يرجع إليه الناس يرجع هو إليهم.

وبعدما رأينا اختلال هذه الشروط في أبي بكر إتضح عدم كونه أهلاً ومُستحقاً للخلافة بالتالي بطلَّ كونه إمام المسلمين.

١. مُصنَّف ابن أبي شيبة ج ٧/ ص ٩.

٢. الدر المنثور للشيوطي ج ٢/ ص ٢٥٠.

السنة تعارض خلافة أبي بكر

٣٥

إنه حديث الثقلين، الصحيح والمتواتر في كتب المسلمين، حيث جاء فيه أن النبي ﷺ أمرنا بالتمسك بالقرآن وعترته أهل بيته، ووعدنا أننا لن نضل أبداً إن نحن تمسكنا بهما. ومفهومه الوقوع في الضلالة إن نحن لم نتمسك بهما، وهذا ما وقعت فيه أمة رسول الله ﷺ للأسف.

روى مسلم في صحيحه:

عن زيد بن أرقم عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قام خطيباً بماءٍ يُدعى خُمًا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: "أما بعد: ألا يا أيها الناس إنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلين، أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أَذْكُرْكُمْ الله في أهل بيتي، أَذْكُرْكُمْ الله في أهل بيتي، أَذْكُرْكُمْ الله في أهل بيتي..."^(١)

وقد ذكر حديث الثقلين بألفاظ مختلفة في كتب السنة نذكر منها:

قال رسول الله ﷺ: «إني تاركٌ فيكم خليفَتين، كتابَ الله حبلٌ ممدودٌ ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإني ما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الخوض»^(٢).

١. صحيح مسلم. كتاب فضائل الصحابة. باب فضائل الإمام علي عليه السلام ج ٢/ ص ٢٣٨.

٢. مسند أحمد ج ٥/ ص ١٨١ صحيح، وانظر المعجم الكبير للطبراني ج ٥/ ص ١٦٦. وكتر الغمالم ج ١٤/

ص ٧٧. وسُنن النسائي ج ٥/ ص ١٣٠ ورجال سنده ثقات. ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٩/ ص ١٦٢

ومنها: ما أخرجه الترمذي بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: «يا أيها الناس، قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^(١).

وروى الحاكم النيسابوري في مستدركه:

عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: نزل رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة عند شجرات خمس ودوحات عظام، فكنس الناس ما تحت الشجرات، ثم راح رسول الله عشيّة فصلى ثم قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي، ثم قال: «أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ثلاث مرات قالوا: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ»^(٢).

قال ابن حجر الهيتمي في صواعقه:

إعلم أن لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً، ومزله طرق مبسوط في حادي عشر الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير خم، وفي أخرى أنه قاله لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مر. ولا تنافي، إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب والعترة الطاهرة^(٣).

فإذا حديث الثقلين صحيح ومتواتر وقد رواه جمع كثير من الصحابة وذكره كثير من علماء السنة في كتبهم ومصنفاتهم وإليك بعض منها:

السلسلة الصحيحة للألباني ج ٤/ص ٣٥٦ و [١٧٦١] صحيح، وصحيح الجامع الصغير للألباني [٢٧٤٨] صحيح، وكتاب السنة لأبي بكر ابن أبي عاصم [٧٥٤] صحيح، وشرح مشكل الآثار للطحاوي ج ٥/ص ١٨ صحيح، وعارضة الأحوزي ج ٧/ص ١٥٩ صحيح، ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٩/ص ١٦٥ إسناده جيد.

فإذا علمنا أن الثقلين هما القرآن وأهل البيت يأتي السؤال التالي وهو: هل كان أبو

بسنده جيد. وفضائل الصحابة ج ٢/ص ٧٠٧ بسند صحيح.

١. سنن الترمذي. باب مناقب أهل البيت ﷺ ص ٨٥٥ [٣٧٨٦].

٢. المستدرک علی الصحیحین ج ٣/ص ١١٠. قال: هذا حديث صحيح الإسناد.

٣. الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٣. تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط. ص ٤٤٠.

بكر من أهل البيت حتى يحق للمسلمين التمسك به؟

والجواب هو أنه لا يختلف اثنان في أن أبا بكر ليس من أهل البيت، بالتالي يحق لكل مسلم أن لا يتمسك بأبي بكر وأن لا يتبعه. بل هو الواجب والمطلوب، وخاصة إذا قرأنا حديث الثقلين الذي جاء فيه كلمة (خليفتي) بدل (ثقلين) وهذا نصه:

قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإني لئن يفرقا حتى يردا علي الحوض»^(١).

وهذا يعني أن النبي الأكرم ﷺ قد ترك لنا خليفتين وهما القرآن وأهل البيت عترته النبي ﷺ، بالتالي يحق لكل مسلم على وجه الأرض التمسك بالقرآن وأهل البيت ﷺ فقط، ويأتي يوم القيامة مبرا للزمة أمام رسول الله ﷺ.

فإن سألته رسول الله ﷺ يوم القيامة: لماذا لم تتمسك بأبي بكر وعمر وعثمان؟ يقول بكل بساطة: إنك يا رسول الله أمرتنا بالتمسك بالثقلين، كتاب الله وأهل بيتك. وأبو بكر وعمر وعثمان لم يكونوا من أهل بيتك فلم تتمسك بهم.

وفي الحقيقة فإن هذا الحديث لوحده كافٍ في إبطال خلافة أبي بكر وعمر وعثمان بالإضافة إلى خلفاء بني أمية وبني العباس.

ومن هنا فلا يحق لأحد أن يكذب على رسول الله ﷺ ويقول إنه لم يستخلف من بعده، وإنه رحل ولم يعين لنا الخلفاء بعده.

فإن لفظ (إني تارك فيكم خليفتين) يدل ويوضح أنه ﷺ استخلف من بعده ولم يترك أمته ضائعة بلاراع ولا إمام.

فإن قيل: من هم أهل البيت ﷺ حتى نعرفهم ونتمسك بهم؟ نقول: روى مسلم في صحيحه:

قالت عائشة: خرج النبي غداة وعليه مرطٌ مُرحَّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾^(٢).

ولقائلي أن يقول: وأين نساء النبي من أهل البيت؟

نقول: مسلم في صحيحه يجيب على ذلك، حيث يقول:

حدثنا محمد بن بكار بن الريان، حدثنا حسان عن سعيد عن يزيد بن حيّان عن زيد بن أرقم، قال: دخلنا عليه فقلنا له: لقد رأيت خيرا، لقد صاحبت رسول الله وصليت

١. الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٣. تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد

الخرطاص، ص ٤٤٠. وصحيح الجامع الصغير ٤٨٢/١ قال الألباني: صحيح.

٢. صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل البيت، ص ١١٣٦.

خلفه. وساق الحديث بنحو حديث أبي حيان، غير أنه قال: «ألا وإني تارك فيكم ثقلين: أحدهما كتاب الله عز وجل، هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة». وفيه: فقلنا: من أهل بيته؟ نساءه؟ قال: لا وأيم الله، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله، وعصبته الذين حرموا الصدقة من بعده...^(١).

فهاهو الصحابي زيد بن أرقم يقسم بالله أن نساء النبي لسن من أهل بيته، وقول الصحابة عند القوم حجة. والحمد لله الذي هدانا جعلنا من المتمسكين بالثقلين.

إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً

٣٩

روى البخاري في صحيحه، وأحمد في مسنده، والحميدي والموصلي في الجمع بين الصحيحين وابن أبي شيبه في المصنّف، وغيرهم، عن ابن عباس في حديث طويل أسموه بحديث السَّقِيفَةِ، قال فيه عمر:

«إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ، أَلَا وَإِنَّمَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا... مَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يَبَايِعُ هُوَ وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ تَغَرُّهُ أَنْ يُقْتَلَ»^(١). وفي رواية أخرى أنه قال: أَلَا إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً، وَقَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ شَرَّهَا، فَمَنْ عَادَ إِلَى مِثْلِهَا فَاقْتُلُوهُ^(٢).

وذكر هذا الحديث من علماء أهل السنة: السيوطي في تاريخ الخلفاء، وابن كثير في البداية والنهاية، وابن هشام في السيرة النبوية، وابن الأثير في الكامل، والمحب الطبري في الرِّيَاضُ النَّضْرَةُ وغيرهم.

نعم، إِنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَعْتَرِفُ أَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً وَقَى اللَّهُ شَرَّهَا، وَالْفَلْتَةُ فِي اللَّغَةِ هِيَ الْأَمْرُ الَّذِي يَحْدُثُ مِنْ غَيْرِ رِوَايَةٍ وَإِحْكَامٍ، وَهِيَ الْهَفْوَةُ غَيْرُ الْمَقْصُودَةِ وَأَيْضًا هِيَ الْفَجَاءَةُ^(٣).

١. صحيح البخاري ج ٨/ ص ٢١٠، ومسند أحمد بن حنبل ج ١/ ص ٣٢٣، والمصنّف لابن أبي شيبه ج ٧/ ص ٤٣١.

٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥١. ولبداية والنهاية ج ٥/ ص ٢١٥. والسيرة النبوية ج ٤/ ص ٦٥٧. والكامل في التاريخ ج ٢/ ص ٣٢٦.

٣. راجع قاموس المعاني.

قال ابن الأثير في النهاية:

ومنه حديث عمر: «إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فِلْتَةً، وَقِيَ اللَّهُ شَرَّهَا»، أَرَادَ بِالْفِلْتَةِ: الْفَجَاءَ. وَمِثْلُ هَذِهِ الْبَيْعَةِ جَدِيدَةٌ بِأَنْ تَكُونَ مَهِيجَةً لِلشَّرِّ وَالْفِتْنَةِ، فَعَصَمَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ وَوَقِيَ. وَالْفِلْتَةُ كُلُّ شَيْءٍ فُعِلَ مِنْ غَيْرِ رُيُوءٍ، وَإِنَّمَا بُوْدِرَ بِهَا خَوْفُ انْتِشَارِ الْأَمْرِ^(١). فَلَيْتَ شِعْرِي، كَيْفَ تَكُونُ الْبَيْعَةُ الْوَاحِدَةُ فِلْتَةً وَشَرًّا، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ تَكُونُ شَرْعِيَّةً؟؟؟

وَإِنِّي أَنْصَحُ كُلَّ مُسْلِمٍ مُنْصَبٍ عَاقِلٍ أَنْ يَتَأَمَّلَ فِي هَذِهِ الزَّوَايَا جَيِّدًا. لِأَنَّ هَذَا الْإِعْتِرَافَ مِنْ عُمَرَ يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى بَطْلَانِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ وَعَدَمِ شَرْعِيَّتِهَا. فَلَوْ قُتِلَ شَخْصٌ مُسْلِمٌ رَجُلًا كَافِرًا فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ، هَلْ كَانَ بِإِمْكَانِهِ تَبْرِيرُ فِعْلِهِ؟، أَوْ أَنْ يَقُولَ مِثْلًا: أَعْتَذِرُ عَنْ قَتْلِي إِيَّاهُ، إِنَّمَا قُتِلَ كَانَ هَفْوَةً وَغَيْرَ مَقْصُودٍ؟ وَلَوْ صَلَّى رَجُلٌ صَلَاةَ الصُّبْحِ مِثْلًا وَأَذَاهَا بِكَامِلِ شُرُوطِهَا، أَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ مِثْلًا: إِنَّ صَلَاتِي هَذِهِ كَانَتْ فَجَاءَةً وَغَيْرَ مَقْصُودَةٍ، أَوْ كَانَتْ مِنْ غَيْرِ رُيُوءٍ وَإِحْكَامٍ؟؟. وَلَوْ تَصَدَّقَ شَخْصٌ بِصَدَقَةٍ قَرِيبَةٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، هَلْ يَفْرَحُ بِفِعْلِهِ هَذَا أَمْ أَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ وَقِيَ شَرَّ هَذِهِ الصَّدَقَةِ؟

ثُمَّ هَلْ يُعْقَلُ لِشَخْصٍ مَا أَنْ يَقُومَ بِفِعْلِ يُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ ثُمَّ يَنْهَى النَّاسَ عَنْهُ؟ بَلْ يَهْدِدُ بِقَتْلِ كُلِّ مَنْ قَامَ بِهَذَا الْفِعْلِ؟.

وَهَلْ يُمْكِنُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَقُومَ بِأَمْرٍ شَرْعِيٍّ ثُمَّ يَنْهَى النَّاسَ عَنْهُ؟. إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ هَدَّدَ كُلَّ مَنْ يَرْجِعُ إِلَى هَكَذَا بِبَيْعَةٍ، فَقَالَ: "فَمَنْ عَادَ إِلَى مِثْلِهَا فَاقْتُلُوهُ".

وَالسَّؤَالُ الَّذِي نَطْرَحُهُ عَلَى عُمَرَا هُوَ أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ صَحِيحَةً وَشَرْعِيَّةً فَلِمَاذَا هَدَّدْتَنَا بِالْقَتْلِ إِنْ نَحْنُ عَدْنَا لِمِثْلِهَا؟.

وَلَوْ اعْتَبَرْنَا هَذِهِ الْبَيْعَةَ عَلَى الْأَقْلَى أَنَّهَُا سُنَّةٌ حَسَنَةٌ لِمَا حَقَّ لِعُمَرَ أَنْ يَنْهَانَا عَنْهَا، لِأَنَّ إِحْيَاءَ السُّنَّةِ هِيَ إِحْيَاءٌ لِلشَّرْعِ.

وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ:

حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدٍ وَأَبِي الضُّحَى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هَلَالٍ الْعَبْسِيِّ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَيْهِمُ الصُّوْفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَأَبْطَأُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَ:

١. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ٣/ ص ٤٦٧، تحقيق طاهر أحمد الزاوي وعمود محمد الطناحي.

ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصِرَّةٍ مِنْ وَرَقٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنْ سَنٍّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةٌ حَسَنَةٌ فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرٍ مِنْ عَمَلٍ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمِنْ سَنٍّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةٌ سَيِّئَةٌ فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ^(١). فلو كان عمر يعتقد أنها (أعني هذه البيعة) سُنَّةٌ حَسَنَةٌ لكان عليه أن يَحْتَاطَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهَا لَا أَنْ يَقْتُلَهُمْ إِنْ عَادُوا لِمِثْلِهَا، وَلَوْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا سُنَّةٌ سَيِّئَةٌ فَهنا والله الطَّامَةُ الْكُبْرَى، إِذْ كَيْفَ يَرْضَى لِنَفْسِهِ وَهُوَ صَحَابِيُّ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ يَسُنَّ سُنَّةٌ سَيِّئَةٌ لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنْ يَتَحَمَّلَ وَزْرَهَا وَوَزَرَ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الَّذِي بَايَعَ أَبَا بَكْرٍ هَذِهِ الْبَيْعَةَ؟

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢). هذا كله إذا كان عمرُ يؤمن ويعتقد بالسنة. لأنَّ الظاهر هو عكس ذلك تماماً، والدليل على ذلك رفضه كتابة رسول الله وصيته في مرضه الذي توفِّي فيه ﷺ. جاء في صحيح البخاري:

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا هِشَامُ عَنْ مَعْمَرٍ، وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرُ بْنُ الزَّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "لَمَّا خُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْبَيْتِ رَجُلًا فِيمَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلُمُّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضَلُّوا بَعْدَهُ. فَقَالَ عَمْرُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقِرْآنُ، حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ. فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاخْتَصَمُوا، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرَّبُوا يَكْتُبُ لَكُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عَمْرُ. فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالْإِخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُومُوا. قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلَقَطْعِهِمْ^(٣).

هذا وقد قال الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي: فإذا جاء إنسان يقول لك: حسبنا كتاب الله، يكفيننا كتاب الله، لا تأتي إلا بكتاب الله،

١. صحيح مسلم، كتاب العلم، باب مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ. وانظر سنن الترمذي [٢٦٧٧] قال: هذا حديث حسن صحيح.

٢. البقرة: ٤٤.

٣. صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب قول المريض قوموا عني. ص ١٤٣٨. وانظر مسند أحمد بتحقيق شعيب الأرناؤوط ج ٥/ ص ١٣٥ قال: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

كتاب الله بين أيدينا، ما أحلّه أحلّنا، وما حرّمه حرّمناه، فاعلم أنه مبتدع أو زنديق. وقد حصل هذا الأمر وخاصة في هذا القرن على أيدي من يسمّون بالقرّانيين، وانتشر هذا الفكر ولا يزال يُنشر، والعياذ بالله، فهؤلاء زنادقة. وكفرهم المسلمون والحمد لله، إتفقوا على تكفيرهم^(١).

عن جابر: أن رسول الله ﷺ دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلّون بعده ولا يضلّون، وكان في البيت لغطاً فتكلّم عمر بن الخطاب فرفضها رسول الله ﷺ. قال الهيثمي: رواه أبو يعلى وعند رواية يكتب فيها كتاباً لأمته، قال: لا يظلمون ولا يظلمون. ثم قال الهيثمي: رجال الجميع رجال الصحيح^(٢).

وهذا ابن تيمية يعترف أن الذي اتهم النبي ﷺ بالهجر والهديان هو عمر بن الخطاب. قال ابن تيمية: «وأما عمر فاشتبه عليه هل كان قول النبي ﷺ من شدّة المرض أو كان من أقواله المعروفة، والمرض جائز على الأنبياء ولهذا قال: ماله أهرج؟ فشكّ في ذلك ولم يجزم بأنه هجر، والشك جائز على عمر»^(٣).

نقول لابن تيمية:

أولاً: كان ينبغي عليك الدفاع عن سيّد الخلق بدل إعطاء التبريرات لصاحب هذه المقولة.

ثانياً: قد جاء في الحديث الصحيح أن عمر هو من خالف قول رسول الله. وقد قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول»^(٤). وعمر لم يطع الرسول، بل خالفه وعصاه.

ثالثاً: أنت تقول بأن عمر قد اشتبه عليه هل كان قول الرسول من شدّة المرض أو كان من أقواله المعروفة...

والله تعالى يقول: «وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً إن الله عليم بما يفعلون»^(٥).

فإن عمر قد شكّ، والشك هو تساوي النسبة، أما الظن فهو ترجيح إحدى النسبتين، إذن هو أقوى من الشك ومع ذلك فقد ذمّه الله وقال إنه لا يغني من الحق شيئاً. فما بالك بالشك؟

١. عون الباري بيان ما تضمّنه شرح السنة للإمام البرهاري ج ٢/ ص ٨٢٨.

٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي المصري ج ٤/ ص ٢١٤ ٢١٥.

٣. منهاج السنة النبوية ج ٦، ص ٢٤.

٤. النساء: ٤.

٥. يونس: ٣٦.

رابعاً: لماذا شكَّ عمر هنا أن النبي ﷺ قالها من شدة المرض، ولم يشكَّ حينما أمر النبي ﷺ أبا بكر حسب الزعم أن يصلي بالناس يوم وفاته؟
والقاعدة تقول: حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد. فالشخص المتهم واحد وهو سيّد الخلق. والحالة واحدة وهي حالة المرض. فيما أن عمر قد شكَّ هنا في هذين النبي، فكان ينبغي له أن يشكَّ أيضاً حينما أمر النبي أبا بكر أن يصلي بالناس (على حسب الزعم) ويقول: إن النبي يهجر وقد غلبه الوجع فلا تمتثلوا لأمره ولا ينبغي لأبي بكر التقدم للصلاة.

خامساً: إذا كان النبي يهجر في حالة المرض، فالأولى لغيره أن يهجر في هذه الحالة. وقد ثبت أن أبا بكر أوصى لعمر بن الخطاب حال مرض الموت. فلماذا لم يقل عمر هنا: إن أبا بكر يهجر وقد غلبه الوجع، فلا أمتثل لأمره وعليّ أن أخالف وصيته وأرفضها كما رفضت وصية النبي ﷺ؟

لقد خالف عمر أمر رسول الله ﷺ وعصاه، وقال: غلبه الوجع، بل وتجراً على النبي وقال: «حسبنا كتاب الله».

وقول عمر هذا يعني أنه لاحتاجة لنا بوصيتك ولا بسنتك يا رسول الله.

ولا نستغرب فعل عمر هذا، وهو الذي طالما حارب سنة الله ورسوله في حياة النبي وبعد وفاته ﷺ.

روى ابن عساکر في تاريخه:

عن السائب بن يزيد قال: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة: لتترك الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس^(١).

وقال لكعب: لتترك الحديث أو لألحقنك بأرض القردة.

وعن محمد بن عجلان أن أبا هريرة كان يقول: إني لأحيت أحاديث، لو تكلمت بها في زمان عمر أو عند عمر لشفَّ رأسي^(٢).

وهنا مقام المثل القائل: إذا عُرف السبب بطل العجب. وترك التعليق للقارئ الكريم. وإني أسئل كل إنسان منصف: لو كان أبوك على فراش المرض، وأوصى بإحضار ورقة وقلم ليكتب وصيته، ثم يمنعه رجل ويقول له: لقد غلبك الوجع. ما كانت ردة فعلك يا ترى؟

إنه لغريب أن يتجرأ صحابي على سيّد الخلق أجمعين ومن يُعث رحمة للعالمين

١. دُوس: منطقة تقع جنوب غرب شبه الجزيرة العربية.

٢. تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر الشافعي ج ٦٧/ ص ٣٤٣. ونحوه في تاريخ أبي زرعة ص ٥٤٤ بإسناد صحيح. والبدایة والنهاية ٨/ ١١٥ قال ابن كثير: وهذا معروف عن عمر وإسناده صحيح.

رسول الله ﷺ، ويرفض وصيته وسنته. لكنَّ الأُغرب من ذلك هو حينما يرفض هذا الصَّحابيُّ سُنَّة النَّبِيِّ وهو يجهل أبسط الأمور في الدِّين، ألا وهو التَّيَمُّم.

روى البخاري في صحيحه:

حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ عَنْ ذَرِّعٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِيزٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: إِنِّي أَجَنَّبْتُ فَلَمْ أَصِبِ الْمَاءَ، فَقَالَ عُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَمَا تَذْكُرُ أَنَا كُنَّا فِي سَفَرٍ أَنَا وَأَنْتَ فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تَصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَكْتُ فَصَلَّيْتُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ، فَقَالَ النَّبِيُّ: 'إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا، فَضَرَبَ النَّبِيُّ بِكَفِّهِ الْأَرْضَ وَنَفَخَ فِيهَا ثُمَّ مَسَحَ بِهَا وَجْهَهُ وَكَفَّهُ' ^(١).

وروى أحمد في مسنده:

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ، عَنْ سَلَمَةَ يَعْنِي ابْنَ كَهِيلٍ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِيزٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِيزٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّا نَمُكُّ الشَّهْرَ وَالشَّهْرَيْنِ لَا نَجِدُ الْمَاءَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَكُنْ لِأَصْلِي حَتَّى أَجِدَ الْمَاءَ، فَقَالَ عُمَارُ: تَذْكُرُ حَيْثُ كُنَّا بِمَكَانٍ كَذَا وَنَحْنُ نَرَى الْإِبِلَ، فَتَعْلَمُ أَنَا أَجَنَّبْنَا قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي تَمَرَعْتُ فِي التَّرَابِ، فَاتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَدَّثْتُهُ، فَضَحِكَ وَقَالَ: 'كَانَ الصَّبْعُ الطَّيِّبُ كَافِيكَ'، وَضَرَبَ بِكَفِّهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا، ثُمَّ مَسَحَ وَجْهَهُ، وَبَعْضُ ذِرَاعِيهِ. قَالَ: إِنَّقِ اللَّهُ يَا عُمَارُ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ شِئْتُ لَمْ أَذْكُرْهُ مَا عَشْتُ أَوْ مَا حَيَيْتُ، قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ وَلَكِنْ نَوَلَيْتُكَ مِنْ ذَلِكَ مَا تَوَلَّيْتُ ^(٢).

إِذْنِ، عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِذَا أَجَنَّبَ شَهْرَيْنِ وَلَمْ يَجِدْ مَاءً فَإِنَّهُ لَا يَصَلِّي.

وبما أنَّه كان خليفة المسلمين، فإنَّه كان يُفِي للناس بنفس الشيء.

والأُغرب من هذا كلُّه أنه كيف يُعقل لشخص أن يقول: حسبنا كتاب الله. وهو لا يفقه في كتاب الله شيئاً بل ينهى الناس عن التفقه فيه ويعتبر كلام الله تكلُّفاً لا ينبغي للمسلم فهمه واستيعابه.

روى الحاكم في مستدركه:

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «فَأَجَنَّبْنَا فِيهَا حَبًّا وَعَنْبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَغُلًّا وَحِدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكَةً وَأَبًا» ^(٣).

١. صحيح البخاري، كتاب التَّيَمُّم، باب التَّيَمُّمُ هل يَنْفَخُ فِيهَا، حديث [٣٢٦]. وانظر سُنَنُ النَّسَائِيِّ، كتاب الطَّهَّارَةِ، باب التَّيَمُّمُ في الحضر، ص ٥٧.
٢. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق شعيب الأرناؤوط ج ٣/ ص ١٧٥ - ١٧٦. ونفس المصدر ٣١/ ١٨٣ قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.
٣. عبس: ٢٧. ٣١.

قال: فكلُّ هذا قد عرفناه فما الألب؟ ثم نقض عصا كانت في يده فقال: هذا لَعْمُرُ الله التكلف، إتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب^(١).

نقول: هذا جزء من تلبس بشيء ليس له. وهذا جزء كل من جلس على كرسي غيره. فلا ندري كيف يمكن لمسلم أن يجهل حكم التيمم ومع ذلك يقول لرسول الله: «حسبنا كتاب الله»: أي لا نحتاج سنة رسول الله.

والنتيجة هي أن بيعة أبي بكر باطلة وغير شرعية، وهذا باعتراف عمر نفسه. ومن الأدلة أيضاً على بطلان خلافة أبي بكر هو أنه لو كان معيناً من قبل رسول الله ﷺ لما قال يوم السقيفة: "إني رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح"^(٢).

فكيف لخليفة معين من قبل النبي صلى الله عليه وآله أن يتنازل عن مسؤولية ألقاها على عاتقه رسول الله ﷺ؟

وهل يمكن لخليفة النبي أن يهدي خلافة الأمة لغيره؟

أولا يُعدّ هذا الفعل خيانة للرسول الأعظم وللأمة الإسلامية جمعاء؟

أوهل كان من حق نبي من أنبياء الله أن يتنازل عن نبوته لغيره أو أن يقول للناس: إني قد اخترت لكم فلاناً وفلاناً فاختاروا أيهما شئتم يكون نبياً لكم وحاكماً عليكم؟ ولو كان أبو بكر صاحب نص بالخلافة من قبل رسول الله ﷺ، لكان قد احتج بذلك على الأنصار والمهاجرين يوم السقيفة وقال لهم: أيها الناس، إني خليفة رسول الله بنص منه. لكن هذا كله لم يحدث.

أما أحداث السقيفة وما أدراك ما السقيفة، فسنذكر بعضها إفادة واختصاراً للقارئ الكريم.

روى البخاري في صحيحه:

حدثنا اسماعيل بن عبد الله، حدثنا سليمان بن بلال عن هشام بن عروة قال: أخبرني عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبي، فأخذ عمر بيده (بيد أبي بكر) فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عباد، فقال عمر: قتله الله^(٣).

١. المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ج ٢/ ص ٥٥٩. دار الكتب العلمية بيروت. قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص. وانظر مجمع الزوائد ١٣٤/٧ قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني ورجال البزار رجال الصحيح. وفتح الباري ١٣/ ٢٨٥ وقال ابن حجر: صحيح. والدر المنثور ٨/ ٤٢١ قال: أخرجه ابن جرير وابن سعد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي والخطيب.

٢. كتاب فضائل الصحابة ج ٥/ ص ١٤.

٣. صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي: لو كنت متخذاً خليلاً ص ١٣٤٢.

وروى ابن حبان في صحيحه:

قال عمر: فكثُر اللُّغَط، وارتفعت الأصوات، حتَّى أشفقتُ الإختلاف، قلتُ: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط أبو بكر يده، فبايعته وبايعه المهاجرون والأنصار، ونزونا على سعد بن عبادَة، فقال قائلٌ من الأنصار: قَتَلْتُم سعداً. قال عمر: فقلتُ، وأنا مغضَب: قتل الله سعداً فإِنَّه صاحب فتنة وشرٌّ^(١).

لم نكن نعلم أن من بين الصحابة من كان صاحب فتنة وشرٌّ.
جاء في كتاب «الإمامة والسياسة»:

وكان سعد بن عبادَة من أشدّ المخالفين لأبي بكر وعمر في أمر الخلافة. فلَمَّا تَمَّت البيعة لأبي بكر بالصُّورة الَّتِي كانت، أرسلوا إلى سعد يطلبونه أن يبايع، فقال لهم: «لا والله، حتَّى أرميكم بكلِّ سهم في كِنانتي، وأخضَب منكم سناني ورمعي، وأضربكم بسييفي ما ملكتُه يدي، وأقاتلكم مع من معي من أهلي وعشيرتي»^(٢).

قال ابن حجر العسقلاني:

إنَّ الأنصار قالوا أولاً: نختر رجلاً من المهاجرين، وإذا مات اخترنا رجلاً من الأنصار، فإذا مات اخترنا رجلاً من المهاجرين، كذلك أبداً فيكون أجدر أن يشفق القُرشي إذا زاغ أن ينقض عليه الأنصاري وكذلك الأنصاري، قال، فقال عمر: لا والله لا يخالفنا أحداً إلَّا قتلناه. فقام حَبَّاب بن المنذر فقال كما تقدّم وزاد: وإن شئتم كَرَرناها خدعةً أي أعدنا الحرب. قال: فكثُر القول حتَّى كاد أن يكون بينهم حرب، فوثب عمرُ فأخذ بيد أبي بكر^(٣).

إنه من خالف رسول الله ﷺ لا يُقتل. فكيف يُقتل من خالف عمر بن الخطاب؟؟
جاء في كتاب «السنة»:

دعا عمرُ صُهيبيّاً فقال له: صليّ بالنَّاس ثلاثاً، وليجتمع هؤلاء القومُ وليخْلُوا هؤلاء الرِّهط، فإن اجتمعوا على رجلٍ فاضربوا رأس من خالفهم^(٤).

لاحظ قول عمر بشأن الصَّحَابِي الكبير سعد بن عبادَة: «قَتَلَهُ الله».

ثم متى وأين أمرنا الإسلام بقتل مخالفينا أو بقتل من لم يوافق على حاكم ما؟
نعم، قتلَهُ الله، المهمُّ أن لا يشاركنا في أمر الخلافة أحد.

١. صحيح ابن حبان ج ٣/ ص ١٥٧.

٢. الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١/ ص ١٤.

٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، المجلد الثامن، ص ٣٥٦.

٤. كتاب السنة لأبي بكر الحقلّ، ص ٢٧٨. قال إسناده صحيح. وثوَّقِي أبو بكر الحقلّ سنة ٣١١. قال عنه الذهبي: الإمام العلامة الحافظ الفقيه.

قتله الله، المهم أن لا يصبح سعد خليفة علينا.

قتله الله، المهم أن لا يزاحمنا أحد في الإستيلاء على السّطة.

ثم بأي حق يقتل عمر من خالف تلك الجماعة؟ أكتأب الله أمرنا بذلك أم سنّته؟
إنها سياسة السّقيفة، القتل لمن خالف.

فلا عجب اليوم حين نسمع هذه الأحاديث القائلة أنه يحقّ لوليّ الأمر قتل ثلث شعبه ليسلم الباقي، وهذا ما تطبّقه الحركات التكفيرية اليوم في شتى مناطق العالم حيث تقطع رؤوس كلّ من خالفها، سواء كان الخلاف في الأصول أو في الفروع، لا هم، المهم هو عدم بقاء أيّ مخالف لهم في المنطقة، بل وفي العالم.

وإلى هنا نسدل الستار على مسرح أحداث السّقيفة المؤلمة والمؤسفة، والتي انتهت ببعية أبي بكر بعد صراع مشهود بين المهاجرين والأنصار على أمر الخلافة، وقد اصطبغ ذلك النزاع بصبغة التعصّبية ونزعة الجاهلية كما يظهر بوضوح من خلال التّمعّن بطبيعة الحوار الذي جرى بين الفريقين.

فنتيجة ما أوردناه، أنه لو صحّ التّصحيح على أبي بكر من قبل النّبي ﷺ، لكان أبو بكر قد ذكر هذا النّص يوم السّقيفة واجتنب بالتالي كلّ ما قد وقع في ذلك اليوم من تهديد بالقتل أو صراع بين كبار الصّحابة أو مشاجرات لسانية بألفاظ جاهلية تعيد المرء إلى عصر ما قبل ظهور الإسلام.

لكن، هذا ما لم يحدث، بل لم يدّع أحد من الصّحابة، لأنّه لو كان لبّان، وهذا دليل آخر على بطلان خلافة أبي بكر وإنّما لا نصّ على خلافته.

أما بالنّسبة للقائلين بالشورى فإنهم يستدلّون بهاتين الآيتين الكريمتين:

قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٢).

فبالنّسبة للآية الأولى نقول:

إنّ الخطاب في الآية متوجّه إلى الحاكم الذي استقرت حكومته، فيأمره سبحانه وتعالى أن ينتفع من آراء رعيّته، فأقصى ما يمكن التّجاوز به عن الآية هو أنّ من وظائف الحكام التّشاوّر مع الأمّة، وأمّا أنّ الخلافة تكون بنفس الشورى، فهذا ما لا يمكن الإستدلال بها عليها.

ثمّ إنّ المتبادر من الآية هو أنّ التّشاوّر لا يوجب حكماً للحاكم، ولا يلزمه بشيء، بل

١. سورة آل عمران: ١٥٩.

٢. سورة الشورى: ٣٨.

هو يقَلِّب وجوه الرأي ويستعرض الأفكار المختلفة، ثم يأخذ بما يراه مفيداً في نظره، حيث قال تعالى: ﴿إِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، كل ذلك يُعَرَّبُ عن أَنَّ الآية ترجع إلى غير مسألة الخلافة والحكومة، ولأجل ذلك لم نَرِ أحداً من الحاضرين في السَّقِيفَةِ احتجَّ بهذه الآية. ثم إنه لم يثبت عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ شاورهم في أمر الخلافة، ولو سلمنا جدلاً أَنَّهُ ﷺ قد شاورهم أو أعطى لهم حقَّ التَّشاور فيما بينهم، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أمر نبيَّه الكريم أن إذا عَزَمْتَ فتوَكَّلْ على الله.

ورسول الله ﷺ عزم وتوَكَّل على الله وعيَّن لنا خليفته من بعده ألا وهو نفسه وأخوه ووصيَّه أمير المؤمنين عليه السلام وسيأتي ذكر ذلك في محله إن شاء الله تعالى.

وأما الآية الثانية فنقول:

أولاً: إِنَّ الشورى لغة هي بمعنى المشاورة والتَّشاور^(١). والتَّشاور شيء، والاختيار والتنصيب شيء آخر.

ثانياً: إِنَّ الآية الكريمة حثَّت على الشورى فيما يُمُتُّ إلى شؤون المسلمين بصلة، لا فيما هو خارج عن حوزة أمورهم، وكونُ تعيين الإمام داخلاً في أمورهم فهو أَوَّلُ الكلام، وقائله يحتاجُ إلى دليل وبيّنة على ذلك. فلا ندري على القَرَض هل الإمامة من شؤونهم أو من شؤون الله سبحانه؟ ولا ندري هل هي إمرةٌ وولايةٌ إلهيةٌ تتَّمُّ بتنصيب وتعيين منه سبحانه، أو هي إمرةٌ وولايةٌ شعبيةٌ يجوز للناس التَّدخُل فيها؟

أما بالنسبة للقائلين بالإجماع فإننا نقول:

أي إجماع هذا الذي غاب عنه كبار الصَّحابة أمثال أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام والعبَّاس بن عبد المطلب وسلمان الفارسي والمقداد وأبو ذرٍّ وحذيفة بن اليمان وجابر بن عبد الله الأنصاري و...؟؟؟

واليك أسماء بعض الصَّحابة المتخلفين عن بيعة أبي بكر:

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

فاطمة الزَّهراء عليها السلام التي تُوقِيت وهي واجدة (غاضبة) على أبي بكر^(٢).

سعد بن عباد^(٣).

١. راجع معنى الشورى في مُعجم المعاني الجامع. شاورَ بعضهم بعضاً أي تبادَلوا الآراء والأفكار. (لاحظ: تبادل الآراء والأفكار، وليس تبادل الألفاظ الجاهلية والتهديد بالقتل والتَّشاجر وإقصاء الآخر و...)

٢. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ج ٣/ ص ٥٥. وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب قول النَّبِيِّ ﷺ: لا نورثُ ما تركنا فهو صدقة ص ٧٨٨.

٣. صحيح البخاري ج ٥/ ص ١٧٧.

٤. الزِّيَاض النُّفْرة لمحبِّ الدِّين الطُّبري ج ١/ ص ١٦٨. وانظر أسد الغابة لابن الأثير ج ٣/ ص ٢٢٢. والسير الحلبية للحلي ج ٣/ ص ٣٩٦ و ص ٣٩٧.

العبّاس بن عبد المطلب^(١).

الزبير بن العوّام^(٢).

طلحة بن عبيد الله^(٣).

خالد بن سعيد بن العاص^(٤).

المقداد بن عمرو^(٥).

سلمان الفارسي^(٦).

أبو ذر الغفاري^(٧).

البراء بن عازب^(٨).

فروة بن عمرو^(٩).

أنس بن كعب^(١٠).

أبو سفيان صخر بن حرب^(١١).

عبادة بن الصّامت^(١٢).

حذيفة بن اليمان^(١٣).

أبو الهيثم بن التّحّان^(١٤).

وأيضاً عبد الله بن مسعود وبيدة الأسلمي ومالك بن نويرة وخزيمة بن ثابت وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وأبو أيوب الأنصاري، بالإضافة للأنصار كلّهم أو بعضهم^(١٥).

١. العقد الفريد ج ٤/ ص ٢٤٩.

٢. كان أحد المتحصّنين بدار فاطمة عليها السلام مع عليّ عليه السلام. راجع تاريخ الطبري ج ٢/ ص ٢١٦. والعقد

الفريد ج ٤/ ص ٢٩٤.

٣. أيضاً كان من المتحصّنين بدار فاطمة عليها السلام. راجع تاريخ الطبري ج ٢/ ص ٢١٦.

٤. أسد الغابة ج ٢/ ص ٨٢.

٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي المجلد الأول ج ٢/ ص ١٣٢.

٦. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي المجلد الأول ج ٢/ ص ١٣٢.

٧. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي المجلد الأول ج ٢/ ص ١٣٢.

٨. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي المجلد الأول ج ٢/ ص ١٣٢.

٩. شرح نهج البلاغة المجلد الثاني ج ٦/ ص ١٢.

١٠. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي المجلد الأول ج ٢/ ص ١٣٢.

١١. تاريخ الطبري ج ٢/ ص ٢١٩. عند ذكره لأحداث السّقيفة.

١٢. شرح نهج البلاغة للمعتزلي المجلد الأول ج ٢/ ص ١٣٢.

١٣. شرح نهج البلاغة للمعتزلي المجلد الأول ج ٢/ ص ١٣٢.

١٤. شرح نهج البلاغة للمعتزلي المجلد الأول ج ٢/ ص ١٣٢.

١٥. تاريخ الطبري ج ٢/ ص ٢١٦.

بالإضافة إلى بني هاشم كلهم^(١).

جاء في تاريخ الطبري:

فقاتل الأنصار، أو بعض الأنصار، لا نبايع إلا علياً^(٢).

فأين هو هذا الإجماع الذي غاب عنه هؤلاء الصحابة؟ وغيرهم كثير.

وسنختم هنا بكلام ابن حزم الأندلسي حينما قال: «ولعنة الله على كلِّ إجماع يخرج منه علي بن أبي طالب ومن بحضرته من الصحابة»^(٣).

فلا أتصور عاقلاً بعد هذا يدعي الإجماع علىبيعة أبي بكر.

فيما أنه لا شوري ولا إجماع، فقد تعيّن النص. وهذا ما ذهب إليه أتباع الثقلين من أنه لا بدّ لخليفة المسلمين من نصٍّ دالٍّ عليه.

روى البخاري في صحيحه:

حدّثنا يحيى بن بكير حدّثنا الليث عن عُقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: «أنّ فاطمة^(ع) بنت النّبيّ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله قال: لا نورث، ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آلُ محمّد^(ص) من هذا المال. وإني والله لا أُغَيِّرُ شيئاً من صدقة رسول الله^(ص) عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله^(ص)، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله^(ص)، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً. فَوَجَدَتْ^(٤) فاطمة على أبي بكر في ذلك فهِجَرَتْهُ فلم تكلّمه حتّى توفّيت وعاشت بعد النّبيّ^(ص) ستّة أشهر. فلَمّا توفّيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يؤذّن بها أبا بكر، وصلى عليها. وكان لعليّ من النّاس وجهٌ حياة فاطمة، فلَمّا توفّيت استنكر عليّ وجوه النّاس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر»^(٥).

أمّا بالنسبة لما ذكره البخاري من مبايعة عليّ لأبي بكر بعد ستّة أشهر، فلوصيّة النّبيّ^(ص) لعليّ^(ع) أنّ الأمة ستغدر به من بعده، وأنّه إن لم يجد النّاصر، فعليه بالسّلم إن استطاع.

روى الحاكم في مستدركه:

١. تاريخ الطبري ج ٢/ ص ٢١٩. قال معمر: فقال رجلٌ للزّهرى: أقلّم يبايعه عليّ ستّة أشهر؟ قال: لا، ولا أحد من بني هاشم، حتّى يبايعه عليّ.

٢. تاريخ الطبري ج ٣/ ص ٢٠٢.

٣. المحلّ لابن حزم الأندلسي ج ٩/ ص ٣٤٥. وهو من كبار علماء أهل السّنة، توفّي سنة ٤٥٦. قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء: الفقيه، الحافظ، المتكلّم، الأديب، الوزير الظاهري، صاحبُ التّصانيف.

٤. وَجَدَتْ: غَضِبَتْ.

٥. صحيح البخاري، دار ابن كثير، كتاب المغازي ص ١٠٤٠.

عن أبي إدريس الأودي، عن علي رضي الله عنه قال: «أَنْ مِمَّا عَهْدَ إِلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ الْأُمَّةَ سَتَغْدُرُ بِي بَعْدَهُ»^(١).

وروى أحمد بن حنبل في مسنده:

عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي اخْتِلَافٌ أَوْ أَمْرٌ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ السِّلْمَ فافْعَلْ»^(٢).

لكن العاقل المنصف عليه الوقوف عند هذا الحديث ليسأل نفسه:

هل يُعقل لسيدة نساء العالمين أن تجهل حكم الإرث أو الخمس، وهي بنت رسول الله ﷺ، والتي تربت وترعرعت في حجره الطاهر؟

وكيف يخبر النبي ﷺ أبا بكر بحكم الإرث ولا يخبر ابنته الزهراء عليها السلام وهي وارثته؟

وهل يرث أبو بكر رسول الله ﷺ حتى يخبره الرسول بهذا الحديث؟

ومتي كان أبو بكر أعلم من فاطمة الزهراء عليها السلام حتى يمنعها حقها الشرعي بحجة ذلك الحديث المزعوم؟

وهل يُعقل لسيدة نساء أهل الجنة أن تطلب شيئاً ليس حقها؟

ولماذا تُوفيت سيدة نساء العالمين وهي غاضبة على أبي بكر؟

ولماذا دفنها زوجها أمير المؤمنين علي عليه السلام ليلاً، وأخفى قبرها؟

ولماذا لم يسمح علي عليه السلام لأبي بكر وعمر بحضور جنازتها ودفنها؟

ولماذا لم يبايع علي عليه السلام أبا بكر في تلك الأشهر الستة؟

وقد جاء في مسند أحمد:

حدثنا أسود بن عامر، حدثنا أبو بكر عن عاصم عن أبي صالح عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ بَغَيْرِ إِمَامٍ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٣).

جاء في صحيح ابن حبان:

عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ إِمَامٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٤).

وجاء في صحيح مسلم:

«مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٥).

١. المستدرک علی الصحیحین بتحقیق مُصطفی عبد القادر عطا، ج ٣/ ص ١٥٠ قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي: الإمام الحافظ الناقد العلامة، شيخ المحدثين، أبو عبد الله بن البيع الضبي الطهماني النيسابوري الشافعي صاحب التصانيف.

٢. مسند أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد محمد شاكر، ج ١/ ص ٤٦٩. قال: إسناده صحيح.

٣. مسند أحمد بن حنبل، تحقيق حمزة أحمد الزين، دار الحديث القاهرة، ج ١٣/ ص ١٨٨. قال: إسناده صحيح.

٤. صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، المجلد العاشر، ص ٤٣٤. قال: حديث صحيح.

٥. صحيح مسلم ج ٣/ ص ١٤٧٨. والمستدرک علی الصحیحین ج ١/ ص ١٥٠، قال: صحيح على شرط

وأهل السنة يعتقدون بعدالة جميع الصحابة. ونحن نعلم أَنَّ الصحابة الجلييلة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ماتت ولم يتابع أبا بكر حتى تُوفيت. فهل ماتت بنتُ رسول الله وسيدة نساء أهل الجنة ميتةً جاهليةً؟

والصحابيُّ الكبير سعد بن عبادَة هو الآخر مات ولم يبايع لا أبا بكر ولا عمر إلى أن قُتل بالشَّام، فهل يموت الصحابيُّ العادلُ ميتةً جاهليةً؟
ترك الإجابة للقارئ الكريم.

ثم هل يتصوّر مسلمٌ أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله) يقبل بمن لم يرض دينه وخُلُقُه أن يكون خليفةً للمسلمين؟

قد يستغرب القارئ الكريم من هذا الإدعاء الخطير، لكنَّ خطورته ستزول بمُجرد معرفة السَّبب والدَّلِيل، فهذا ادِّعاءٌ ليس من فراغ، إنَّما هو من دليلٍ مُثَبَّت. فكما وعدنا القارئ الكريم في أول البحث أن يكون كلُّ كلامنا بالدَّلِيل، فنحن أصحابه وحيثُما مال نميل، وهذه كتب السنة قد ذكرت أَنَّ أبا بكر وعمر قدما إلى الرَّسول (صلى الله عليه وآله) لخطبة ابنته سيدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء (عليها السلام)، فلم يقبل رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) خِطْبَتَهما.
روى الحاكم في مستدركه:

عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه قال: خَطَبَ أبو بكر وعمرُ فاطمةَ فقال رسولُ الله (صلى الله عليه وآله): «إنَّها صغيرةٌ. فَخَطَبَهَا عَلِيٌّ فَرَزَّوْجُهَا مِنْهُ»^(١).

هذا مع أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله) هو من أمرنا بتزويج بناتنا لذوي الخُلُقِ والدين.
جاء في كتاب تهذيب التهذيب: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلُقُه فأنكحوه، إلَّا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير»، قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه؟ قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلُقُه فأنكحوه»^(٢).

وذكروا أَنَّ رجلاً قال للحسن: «قد خَطَبَ ابنتي جماعةً فمن أزوَّجُها؟»، قال: ومن يتَّقِي الله، فإن أحبَّها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها»^(٣).

فها هو رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) يأمرنا بتزويج من نرضى بدينه وخُلُقِه، وفي المُقابل، نراه (صلى الله عليه وآله) يرفضُ خِطبةَ أبي بكر وعمر.

الشَّيْخِين.

١. المستدرک علی الصحیحین ج ٢/ ص ١٦٧، قال: هذا حديثٌ صحيح. وانظر سُنَنُ النَّسَائِي ج ٦/ ص ٦٢ وانظر صحيح ابن حبان المجلد الخامس عشر ص ٣٩٩، قال إسناده صحيح على شرط مسلم.

٢. تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج ٦/ ص ٦٢. قال: حديثٌ حسن. وانظر سُنَنُ التِّرْمِذِي ج ١/ ص ٢٠١، قال: حديثٌ حسنٌ غريب. والمستدرک علی الصحیحین ج ٢/ ص ١٦٤ ١٦٥، قال: حديثٌ صحيحٌ الإسناد.

٣. إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ج ٢/ ص ٤٢. والغزالي توفي ٥٠٥.

وهنا حصر عقلي:

فإِذَا أَن نَقُولُ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَرِيدُ الْفِتْنَةَ وَالْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ (وحاشاه طبعاً فهذا مالا يقوله مسلم).

وَأَمَّا أَنَّهُ رَفَضَ خُطْبَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ بِسَبَبِ عَدَمِ قَبُولِهِ لِدِينِهِمَا وَخَلْقَهُمَا.
وقد يقول قائل: إِنَّ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ ﷺ كَانَتْ صَغِيرَةَ السِّنِّ حِينَهَا، لِذَلِكَ لَمْ يُزَوَّجْهَا النَّبِيُّ مِنْهُمَا.
نقول:

أَوَّلًا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرْنَا بِتَزْوِيجِ بَنَاتِنَا لِأَصْحَابِ الدِّينِ وَالْخُلُقِ، وَلَمْ يَذْكُرِ السِّنَّ إطلاقاً، فَإِنَّ الْمَعْيَارَ فِي التَّزْوِيجِ هُوَ الدِّينُ وَالْخُلُقُ لَا غَيْرُ.
ثَانِيًا: جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ تَزَوَّجَ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سَنِينَ. بِالتَّالِي تَبَطَّلُ دَعْوَى مَنْ تَحَجَّجَ بِقَضِيَّةِ السِّنِّ.
عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسِتِّ سَنِينَ، وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سَنِينَ»^(١).

فهذا رسول الله ﷺ يتزوج عائشة وهي بنت ست سنين. فلا يتحجج رجل بصغر سن فاطمة الزهراء ﷺ. ثم كيف يرفض النبي ﷺ خطبة أبي بكر وعمر بحجة صغر سن فاطمة عليها السلام ثم يزوجه علياً ﷺ بعدها مباشرة؟
وهناك دليل آخر على بطلان خلافة أبي بكر، وهو التالي:
روى البخاري في صحيحه:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ كَبِيرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عَقِيلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: ... فَوَجَدْتُ^(٢) فَاطِمَةَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ فَهَجَرْتُهُ فَلَمْ تُكَلِّمَهُ حَتَّى تُوفِّيَتْ وَعَاشَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ^(٣).
والشاهد هنا هو أن أبا بكر أغضب فاطمة الزهراء عليها السلام.
وروى أيضاً:
عن النبي ﷺ قال: «فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مَيِّ، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»^(٤).

١. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقُدُومها المدينة وبنائه بها، ج ٥/ص ٥٥، رقم [٣٨٩٤]، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة ج ٢/ص ١٠٣٨، رقم [١٤٢٢].

٢. وَجَدْتُ: غَضِبْتُ.

٣. صحيح البخاري، دار ابن كثير، كتاب المغازي ص ١٠٤٠.

٤. الجامع الصحيح للبخاري، المكتبة السلفية، القاهرة ج ٣/ص ٢٥. حديث [٣٧١٤].

روى الحاكم في مستدركه:

قال رسول الله ' لفاطمة الزهراء عليها السلام: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لِرِضَاكَ وَيَغْضِبُ لِعِصْيَانِكَ»^(١).

إذن فمن أغضب فاطمة الزهراء عليها السلام فقد أغضب الله تعالى.

هذا وقد قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ»^(٢).

فالبخاري يقول إِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَغْضَبَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ عليها السلام، والحاكم النيسابوي يقول إِنَّ مَنْ أَغْضَبَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ عليها السلام فَقَدْ أَغْضَبَ اللَّهُ تَعَالَى، والله سبحانه يقول: «لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»، أي لا تجعلوهم أولياء وأئمة لكم.

وأبو بكر أغضب فاطمة الزهراء عليها السلام، وبالتالي فقد أغضب الله عز وجل، والله يأمرنا أَنْ لَا نَتَوَلَّى مِنْ غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِ. إذن فأبو بكر ليس ولي المؤمنين ولا إمامهم ولا خليفتهم بصريح هذه الآية الكريمة.

والآن، وبعدما استعرضنا بعض الأدلة على بطلان خلافة أبي بكر سننتقل بحول الله تعالى إلى الاستدلال على خلافة أمير المؤمنين ونفس الرسول الأمين عليه السلام، وقسيم النّار^(٣) علي بن أبي طالب، أبي الحسنين عليه وعليهما السلام، ومن الله أسئله العون والتوفيق.

هذا ما ذكره علماء السنة من شروط، غير أن العقل يوجب في خليفة المسلمين شروطاً أخرى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

يجب كون خليفة المسلمين معصوماً عن الخطأ حتى يكون قدوة للناس في كل أمر، فلو لم يكن كذلك لجاز منه الخطأ، بالتالي فإن المسلمين بطبيعة الحال سيقتدون به لأن الناس على دين ملوكهم، وهذا نقض الغرض الذي من أجله جعل الله لنا أئمة تقتدي بهم للوصول إلى طاعة الله وبيّ الأمان.

يجب كونه معصوماً عن الخطأ حتى يكون حجة على الخلق يوم القيامة، فلو لم يكن كذلك لجاز لنا الخطأ أيضاً، ثم حينما نُسأل يوم الحساب: لماذا أخطأتم؟ نقول وبكل بساطة: إِنَّ الْإِمَامَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ لَنَا قَدْ أَخْطَأَ مِثْلَنَا بِالتَّالِي إِمَّا أَنْ لَا نَحْصِبَ وَإِمَّا

١. المستدرک علی الصحیحین ج ٣/ ص ١٥٣ ١٥٤. قال: هذا حديث صحيح الإسناد.

٢. المنتحة: ١٣.

٣. حديث علي عليه السلام: «أَنَا قِسِيمُ النَّارِ». رواه كثير من أهل السنة منهم أبو يعلى الفراء في كتابه طبقات الحنابلة، الطبعة الأولى ص ٢٣٢ حيث قال: قال محمد بن منصور الطوسي: كنا عند أحمد بن حنبل فقال له رجل: يا أبا عبد الله ما تقول في الحديث الذي روي أن علياً قال: «أنا قسيم النار». فقال: وما تنكرون من ذا؟ أليس قد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق؟ قلنا: بلى. قال: فأين المؤمن؟ قلنا في الجنة. قال: فأين المنافق؟ قلنا في النار. قال: فعلي قسيم النار.

أَنْ يُحَاسِبَ إِمَامُنَا أَيْضاً، وَلَا أَتَصَوَّرُ عَاقِلاً يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُحَاسِبُ رُسُلَهُ وَأَنْبِيََاءَهُ وَأَنْمَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَهُوَ الَّذِي أَمَرْنَا بِاتِّبَاعِهِمْ.

يَجِبُ كَوْنُهُ مَعْصُوماً حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيْهِ الرِّعَايَةَ فِي أُمُورِ دِينِهَا وَدُنْيَاهَا، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعْصُوماً لَوَجِبَ عَلَيْهِ الرُّجُوعُ إِلَيْهِمُ بِالتَّالِي بَطْلَ كَوْنِهِ خَلِيفَةً وَإِمَاماً لَهُمْ.

يَجِبُ كَوْنُهُ مَعْصُوماً حَتَّى يَحْفَظَ دِينَ اللَّهِ وَكِتَابَهُ مِنَ التَّحْرِيفِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَجَازَ أَنْ يَصْدُرَ مِنْهُ تَحْرِيفٌ لِلْقُرْآنِ أَوْ زِيَادَةٌ فِي الدِّينِ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ، وَلَوْ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، وَهَذَا أَيْضاً نَقْضُ الْغَرَضِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ جَعَلَ اللَّهُ أَنْبِيََاءَ وَأَوْصِيَاءَ وَأُئِمَّةً يَحْفَظُونَ هَذَا الدِّينَ وَيَحْفَظُونَ كِتَابَهُ مِنَ التَّحْرِيفِ.

وَعَدَمْ عَصْمَةِ أَبِي بَكْرٍ أَمْرٌ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ، فَلَا هُوَ ادَّعَى لِنَفْسِهِ الْعَصْمَةَ وَلَا أَحَدٌ ادَّعَاهَا لَهُ، وَلَا جَاءَتْ التُّصُوصُ بِذَلِكَ، بَلْ أَثْبَتَ التَّارِخُ وَالسَّيَرَةُ عَكْسَ ذَلِكَ تَمَاماً. رَوَى الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ^(١):

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَلَا وَإِنْ لِي شَيْطَاناً يَعْتَرِينِي، فَإِذَا أَتَانِي فَاجْتَنِبُونِي.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: نَحْنُ نُسَلِّمُ بَعْدَ عَصْمَةِ أَبِي بَكْرٍ، لَكِنْ أَيْنَ هِيَ عَصْمَةُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

نَقُولُ: سَوْفَ نُقَدِّمُ أَدْلَةً عَصْمَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ وَذَلِكَ بَعْدَ تَقْدِيمِ الْأَدْلَةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَهَذَا مَا سَيَأْتِي فِي مَحَلِّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَقَبْلَ الْخَوْضِ فِي ذَلِكَ لَا بُدَّ مِنَ التَّنَظُّرِ أَوَّلًا إِلَى قَضِيَّةِ صَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ الْمَزْعُومَةِ وَتَحْلِيلِهَا بِطَرِيقَةٍ عِلْمِيَّةٍ.



قضية صلاة أبي بكر

٥٧

ولو قيل: إن صلاة أبي بكر بالناس في مرض الرسول ﷺ خير دليل على صحة خلافته. نقول: العرش ثم النقش، وبعد النقش كلام. ومن هنا نقول:

أولاً: إن تلك النصوص مع فرض صحتها سنداً هي متعارضة ومُتباينة فيما بينها، ومُتفاوتة تفاوُتاً لا يدع مجالاً للشك في أنها من وضع واضح.

ثانياً: متى كانت إمامة الناس في الصلاة دليلاً على صحة الخلافة؟ هذا وقد صلى أبوبكر وعمر خلف سالم مولى أبي حذيفة وكان قد عينه النبي ﷺ لذلك. فهل هذا يعني أن سالماً أصبح خليفة المسلمين؟

عن عائشة: أن رسول الله 'أمر أبا بكر أن يصلي بالناس قائماً، والناس خلفه^(١). وجاء أيضاً:

عن ابن عباس قال: إبعثوا إلى عليّ، فادعوه.

فقال عائشة: لو بعثت إلى أبي بكر.

وقالت حفصة: لو بعثت إلى عمر.

فاجتمعوا عنده جميعاً، فقال رسول الله ﷺ: إنصرفوا فإن تك لي حاجة أبعث إليكم، فانصرفوا.

وقال رسول الله ﷺ: أن الصلاة!

قيل: نعم.

قال: فأمرُوا أبا بكر ليُصَلِّيَ بالنَّاسِ.

فقالت عائشة: إِنَّه رجلٌ رقيقٌ فمُرْ عمرَ.

فقال: مُروا عمرَ.

فقال عمر: ما كنتُ لأتقدِّم وأبو بكر شاهداً.

فتقدَّم أبو بكر، ووجد رسولَ الله ﷺ خَفَةً، فخرج، فلمَّا سمع أبو بكر حركته تأخَّر^(١).

وجاء أيضاً: عن إبراهيم بن الأسود عن عائشة قالت: لما ثقلَ رسولُ الله ﷺ جاء بلالٌ

يُؤذنه بالصَّلَاة، فقال: مروا أبا بكر فليصلِ بالنَّاسِ.

قالت: فقلتُ: يا رسولَ الله، إِنَّ أبا بكر رجلٌ أَسِيف، وإنَّه متى يقوم مقامك لا يسمع

النَّاسَ (من البكاء)، فلو أمرتُ عمرَ.

فقال: مُروا أبا بكر فليصلِ النَّاسَ.

قالت: فقلتُ لحفصة: قولي له.

فقالت له حفصة: يا رسولَ الله، إِنَّ أبا بكر رجلٌ أَسِيف، وإنَّه متى يقوم مقامك لا

يسمع النَّاسَ (من البكاء) فلو أمرتُ عمرَ.

فقال: إِنَّكَ لَأَنْتَ صَوَابُ يَوْسُفَ، مُروا أبا بكر فليصلِ النَّاسَ.

قالت: فأمرُوا أبا بكر يصليَ بالنَّاسِ، فلمَّا دخل في الصَّلَاة وجد رسولَ الله ﷺ من

نفسه خَفَةً، فقام مُهادي بين رجلين، ورجلاه تَخْطَّان في الأرض حتَّى دخل المسجدَ.

فلمَّا سمع أبو بكر جِسَّهُ ذهب ليتأخَّرَ، فأومأ إليه رسولُ الله ﷺ أن قُمْ كما أنتَ.

فجاء رسولُ الله ﷺ حتَّى جلس عن يسار أبي بكر، وكان رسولُ الله ﷺ يصليَ بالنَّاسَ قاعداً،

وأبو بكر قائماً، يقتدي أبو بكر بصلَاة رسولِ الله ﷺ، والنَّاسُ يقتدون بصلَاة أبي بكر^(٢).

زاد في نصِّ آخر مرويٍّ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة قوله: فدخلتُ

على ابن عباس، فعرضتُ حديثها عليه، فما أنكر منه شيئاً، غير أنَّه قال: أَسَمَّتَ لَكَ

الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ مع العباسِ؟!

قال: لا.

قال: هو عليُّ بن أبي طالب^(٣).

وفي رواية: فكان أبو بكر يصلي بصلَاة رسولِ الله ﷺ، والنَّاسُ يصلُّون بصلَاة أبي بكر^(٤).

١. تاريخ الأمم والملوك ج ٢/ ص ٤٣٩.

٢. مسند أحمد ج ٦/ ص ٢٢٤. وعن صحيح البخاري ج ١/ ص ١٨٢.

٣. صحيح البخاري ج ١/ ص ١٧٥، و(ط دار الفكر) ج ١/ ص ١٦٩. وصحيح مسلم ج ٢/ ص ٢١. وسُنن

النسائي ج ٢/ ص ١٠٢. والسُنن الكبرى للبيهقي ج ٣/ ص ٨١ و ج ٨/ ص ١٥١.

٤. مُبْلِأهُدَى الرَّشَاد ج ١٢/ ص ٢٤٥، والمجموع للتَّوَوِي ج ٤/ ص ٢٦٦، والشرح الكبير لابن قُدامة ج ٢/

ص ٤٦، وصحيح مسلم ج ٢/ ص ٢١ و ٢٤، وسُنن ابن ماجه ج ١/ ص ٣٩٠.

وعن عائشة قالت: خرج أبو بكر، فوجد رسول الله ﷺ في نفسه خِقةً، فخرج يُهادي بين رجلين كَأَنِّي أنظر إلى رجله تَخْطَانُ من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخَّر فأومأ إليه النبي ﷺ أن مكانك، فكان النبي ﷺ يصلي، وأبو بكر يصلي بصلاته، والناس يصلون بصلاة أبي بكر^(١).

فلاحظ هذا التفاوت بين الروايات، وهذا الخلط الظاهر والفرق الشاسع بينها، فمرة نرى النبي ﷺ يأمر أبا بكر بالصلاة ثم يقوم من فراش مرضه حتى يصلي هو بالناس. ومرة نرى أن عائشة هي من أمرت أن يصلي أبو بكر بالناس وليس النبي ﷺ. وأخرى أن حفصة هي من أمرت بذلك.

ونتيجة هذه الروايات أن النبي ﷺ هو من صلى بالناس وليس أبو بكر.

ثم أين كان أبو بكر يوم وفاة الرسول ﷺ؟

ذكرت كتب التاريخ والصحاح أن أبا بكر لم يكن في المدينة حين وفاة النبي ﷺ، بل كان في السَّج. فهل يُعقل أن أبا بكر كان في مكانين في وقت واحد؟

روى البخاري في صحيحه:

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسَّج»^(٢)^(٣).

وروى مسلم في صحيحه:

عن عائشة قالت: «إشتكى رسول الله ﷺ فدخل عليه ناسٌ من أصحابه يعودونه، فصلَّى رسول الله ﷺ جالساً فصلَّوا بصلاته قياماً»^(٤).

وروى أيضاً:

«وكان النبي ﷺ يصلي بالناس، وأبو بكر يُسمعُهُم التكبير»^(٥).

فمن هنا تبين أن الذي صلى بالناس في ذلك اليوم هو النبي ﷺ وليس أبو بكر. وهذه الزواية تقطع بأن أبا بكر لم يكن موجوداً في المدينة يوم وفاة النبي ﷺ، بل كان في السَّج. إلا إذا كان لأبي بكر ولاية تكوينية، أو حصل له طيُّ الأرض. هذا أولاً.

وثانياً نقول: إنَّ الجواب على هذه التُّصوص هو نفس تعارضها واختلافها وتباينها فيما بينها، فمرة نرى النبي ﷺ يأمر أبا بكر بإمامة المصلين ثم نراه يقوم من مرضه وهو على

١. البداية والنهاية لابن كثير ج ٥/ ص ٢٥٣.

٢. السَّج: من عوالي المدينة.

٣. الجامع الصحيح للبخاري ج ٣/ ص ١١.

٤. صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣/ ص ٥١.

٥. صحيح مسلم، كتاب الصلاة، ص ١٩٨.

تلك الحال حتّى يصليّ بالنّاس.

ثمّ مافائدة أمر النّبيّ أبا بكر بإمامة النّاس بعدها يقوم متكبّاً على عليّ عليه السلام والعبّاس لتنجية أبي بكر والصّلاة بالنّاس؟

وما فائدة وجود إمامين اثنين يصلّيان بالنّاس، وهل يجوز ذلك شرعاً؟
ونجد أيضاً في بعض هذه الروايات أنّ عائشة هي من أمرت أبا بكر بالصّلاة وليس الرّسول ﷺ، وكذلك حفصة فإنّها هي من أرادت أن يصليّ عمر بالنّاس.
وفي الأخير فإنّ كلّ هذه الروايات نتیجتها أنّ النّبيّ ﷺ هو الذي صليّ بالنّاس وليس أبو بكر.

ثمّ إنّ أهل السّنة يقولون بصحّة الصّلاة خلف كلّ برّ وفاجر، بالتّالي حتّى لو سلّمنا بقضيّة صلاة أبي بكر بالنّاس، فهذا لا فضيلة ولا منقبة فيه، بل ولا علاقة له بالخلافة والإمامة، لا من قريب ولا من بعيد.

روى أبو داود في سننه:

«صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ»^(١).

ثمّ إنّ نفس إمامة الجماعة لا يعني كون هذا الإمام خليفةً للمسلمين أو وليّ أمرهم.
وإذا كان كلّ من صليّ بالصّحابة في زمن النّبيّ يُعتبر خليفةً لهم فالأولى إذاً أن يكون سالمٌ مولى أبي حذيفة خليفةً للمسلمين لأنّه صليّ بكبار الصّحابة وفهم أبو بكر وعمر.
جاء في صحيح البخاري:

حدّثنا عثمان بن صالح، حدّثنا عبد الله بن وهب، أخبرني ابن جريج أن نافعاً أخبره أن ابن عمر رضي الله عنهما أخبره قال: كان سالمٌ مولى أبي حذيفة يؤمّ المهاجرين الأوّلين وأصحاب النّبيّ ﷺ في مسجد قباء فهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة وزيد وعامر بن ربيعة^(٢).
ولا يخفى على القارئ الكريم أنّ النّبيّ ﷺ كان قد بعث أسامة بن زيد في سرّيّة إلى الشّام، وأرسل معه جيشاً كبيراً فهم أبو بكر وعمر وكبار الصّحابة. فكيف يُعقل أن يكون أبو بكر قد صليّ بالنّاس وقد أمره النّبيّ بالذهاب في ذلك الجيش تحت قيادة أسامة بن زيد؟

يقول ابن حجر العسقلاني:

كان تجهيز أسامة قبل موت الرّسول ﷺ بيومين فندب النّاس لغزو الروم في آخر صفر ودعا أسامة فقال: سِرْ إلى موضع مَقْتَل أبيك فأوطأهم الخيل فقد وليتُكَ هذا الجيش...فعقد رسولُ الله لأُسامة لواءاً بيده وكان ممّن انتدب مع أسامة كبار

١. سنن أبي داود، باب إمامة البرّ والفاجر ج ١/ ص ١٤٣.

٢. صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب استقضاء الموالي واستعمالهم ج ٨/ ص ١١٥.

المهاجرين والأنصار فهم أبو بكر وعمرُ وأبو عبيدة وسعدٌ وسعيدٌ وقَتادةُ بن النُّعْمان وسلمةُ بن أسلم، ثمَّ اشتدَّ على الرُّسول وجعُه فقال: أنفذوا بعثَ أسامة، فتكلَّم في ذلك قومٌ منهم عيَّاشُ بن أبي ربيعة المخزومي^(١).
وجاء أيضاً:

وخرج يوم السبت عاشر المحرم سنة إحدى عشر وقد عصَّب رأسُه بعصابةٍ وعليه قطيفةٌ ثمَّ صعد المنبر فحمد الله، وأثنى عليه ثمَّ قال: «أما بعد: أيُّها النَّاسُ، فما مقالةٌ قد بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة! ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيُّم الله إن كان للإمارة لخليقاً، وإنَّ ابنه من بعده لخليقٌ للإمارة، وإن كان لِمَن أحبَّ النَّاسُ إليَّ وإِنَّهُمْ لَمُخِيلَانِ لِكُلِّ خيرٍ، فاستوصوا به خيراً فإنَّه مِن خياركم»^(٢).
وهنا حصَرُ عقليٍّ: فلمَّا أن نقول بأنَّ الصحابة قد امتثلوا أمر الرسول ﷺ وذهبوا إلى الشام، وأنَّ أبا بكر امتثل أيضاً وذهب معهم، بالتَّالي فإنَّه لم يَكُنْ حاضراً في المدينة وقت وفاة النَّبي ﷺ.

وإمَّا أن نقول إنَّ أبا بكر تخلَّف عن جيش أسامة فهنا ثلاثُ نقاط:

الأولى: إذا كان خليفةُ رسول الله (أبو بكر على الفرض المزعوم) قد عصى النَّبي في حياته فكيف لا يعصيه بعد مماته؟
الثَّانية: كيف لرسول الله ﷺ أن يأمر شخصاً بإمامة النَّاس نيابةً عنه أو أن يجعله خليفةً مِن بعده وذلك بعد أن عصاه في حياته وفي أشدِّ الظروف (وهو عدم ذهابه مع جيش أسامة)؟

الثالثة: أنَّ أبا بكر يكون قد خالف صريح النَّص الإلهي بوجوب طاعة النَّبي، حيث قال الله في محكم كتابه الكريم: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٣)، فكلَّ من تخلَّف عن جيش أسامة يكون قد خالف الآيةَ الكريمة وعصى الله تعالى وظلم الله ورسولَهُ ونَفْسَهُ، بالتَّالي لا يصحُّ كونه إماماً وخليفةً للمسلمين، لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

فإن قيل: إنَّ عدم ذهاب أبي بكر هو بسبب عدم ذهاب الجيش كُلِّه بقيادة أسامة بن زيد.

نقول: إن كان كذلك، فهذا يعني أنَّ كلَّ أولئك الصحابة الذين كانوا في الجيش قد

١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب المغازي ج ٨/ ص ١٥٢.

٢. ذكره البخاري ومسلم مختصراً.. وقد أخرجه بهذا اللفظ ابنُ سعد في الطبقات ج ٢/ ص ١٩٠.

٣. سورة الحشر: ٧.

٤. سورة البقرة: ١٢٤.

عصوا أمر النبي ﷺ، بالتالي فقد تهذمت نظرية عدالة جميع الصحابة، حيث أنهم خالفوا صريح القرآن الذي يدعو إلى طاعة النبي. كما خالفوا صريح السنة، ألا وهي قول النبي ﷺ. وقد يقول قائل: وأين كان الإمام علي عليه السلام في ذلك الوقت، ولماذا لم يذهب هو أيضاً في تلك السرية؟

نقول: إن النبي ﷺ أمره بالبقاء معه في المدينة لتهيئة الأجواء له وتسهيل أمر الخلافة من بعده، بعيداً عن غدر المنافقين وكيد الحاسدين، وسيأتي تفصيل ذلك في محله إن شاء الله تعالى.

جاء في كتاب فضائل الصحابة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن رسول الله مات وأبو بكر بالسَّحْج»، قال إسماعيل: تعني بالعالية، فقام عمرُ يقول: والله ما مات رسولُ الله.

قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنَّ الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاءه أبو بكر، فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله، فقال: بأبي أنت وأمي، طيبت حياً وميتاً، والله الذي نفسي بيده، لا يذيقك الله الموتين أبداً، ثم خرج فقال: «أُيِّها الحالف على رسلك»^(١).

فهذه الرواية هي الأخرى تتعارض مع روايات صلاة أبي بكر بالناس يوم وفاة النبي ﷺ. ثم إنه من العجيب قول عمر: «والله ما مات رسولُ الله».

أو كان صاحب رسول الله يجعل أن النبي بشر يموت كسائر البشر؟ أولم يقرأ عمر الآية الكريمة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾؟^(٢)

إن هذه الآية الكريمة صريحة بأن رسول الله ﷺ يموت كسائر البشر، فكيف أقسم عمر بعدم موته؟

وهنا جوابان لا ثالث لهما:

إما أن عمر بن الخطاب لم يقرأ هذه الآية ولم يسمع بها طيلة حياته، وهذه كارثة عظيمة، إذ كيف يُعقل أن صحابياً صاحب النبي طيلة تلك السنوات لم يسمع بهذه الآية الكريمة ولو مرة واحدة؟

وإما أن عمر كان يعتقد ويعلم بوفاة النبي، كل ما في الأمر أنه كان ينتظر قدوم صاحبه لتنفيذ خطتهما للإستحواذ على الخلافة والتسلط على رقاب المسلمين، وهنا الكارثة أشد وأعظم.

١. كتاب فضائل الصحابة ج ٥/ ص ٣١.

٢. سورة آل عمران: ١٤٤.

والسؤال الذي يجب طرحه هنا هو أن أهل السنة لا يعتقدون بالرجعة فكيف قال عمر: «والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثنهُ الله فليَقَطَعَنَّ أيدي رجالٍ وأرجلَهُمْ»؟ لاحظ قول عمر: «وليبعثنهُ الله». أوليست هذه هي الرجعة بعينها؟ وإذا كان عبد الله بن سبا اليهودي هو صاحب القول بالرجعة كما يزعم بعض أهل السنة فالأولى أن ينسبوا ذلك لعمر بن الخطاب لأنه هو من اعتقد بها قبل ابن سبا.

عليّ عليه السلام خليفة رسول الله

خلافة عليّ عليه السلام عقلاً

يجب عقلاً وعقلائياً توفر بعض الشروط في خليفة رسول الله ﷺ، وإلا لأصبح بمقدور أي شخص أن يصبح خليفته، وهذا خلاف العقل والشرع والوجدان. ومن بين هذه الشروط: الإيمان والشجاعة والقدرة على تحمّل المسؤوليات والعلم والخلق الرفيع والرأفة بالناس والعصمة. أما شرط الإيمان، فلأنّ غير المؤمن لا يحقّ له التسلّط على رقاب المؤمنين، ولا أن يكون حاكماً عليهم، وإلّا لعمّ الخراب والفساد والفوضى البلاد، ولما تمكّن المؤمنون من ممارسة طقوسهم وعبادتهم على الوجه المطلوب.

إيمان علي عليه السلام

فأما إيمان علي بن أبي طالب عليه السلام فلا يشك فيه إلا كافر جاحد أو منافق عنيد، وسنكتفي هنا بذكر الحديث الذي جاء في صحيح مسلم أن علياً عليه السلام هو المعيار في كون الرجل مؤمناً أو منافقاً.

روى مسلم في صحيحه:

قال علي عليه السلام: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي: «أن لا يُجْبِي إلا مؤمناً ولا يَبْغِضُني إلا مُنَافِقاً»^(١).

فمن أحب علياً فهو مؤمن، ومن أبغضه فهو منافق. إذا فعلي عليه السلام هو الإيمان كله وهو معيار التفرقة بين الإيمان والنفاق.

١. صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان. رقم الحديث ١١٣، وأيضاً كتاب فضائل الصحابة ج ٢/ ص ٦٤٨.

شجاعته ﷺ

٦٩

أما شجاعته، فإنه ﷺ أشهر من نارٍ على علم في بطولاته وحروبه ضد الكفر والنفاق، ولا يُنكرُ هذا إلا جاحدٌ مُتَعَصِّبٌ أو منافقٌ عنيد. ويكفي في شجاعته ﷺ ما شهدت به أعداءه.

فها هو الإمام عليّ ﷺ في معركة بدر حاملاً راية المسلمين، قاطعاً كيد المشركين، قاتلاً شُجَعائهم مُبارزاً كبار قادتهم وأبطالهم.

بدأت المعركة صباح يوم الجمعة في اليوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك في السنة الثانية للهجرة، وقد فتح المشركون باب الحرب، فبرز منهم عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةُ وَالْوَلِيدُ، وهم أبطال قريش وطلِيعَةُ فرسانهم، وبرز إليهم فِتْيَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فاحتقرهم عتبه وأخذته العزة بالإثم، فقال لهم: لا نريد هؤلاء، ولكن نريد أن يُبارزنا بنو أعمامنا من بني عبد المطلب، فتدب الرسول صلى الله عليه وآله لمبارزتهم عُبيدة وعليّاً وحَمْزَةَ، فبرز حمزة لعُتْبَةَ، وعبيدة لشَيْبَةَ، وعليٌّ للوليد^(١).

أما عليٌّ ﷺ وحمزة فكلٌ منهما قتل صاحبه، وأما عُبيدة وعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فقد اختلفا بضريتين، وأُتْبِتَ كُلُّهُمَا مِنْهُمَا سَيْفُهُ فِي رَأْسِ صَاحِبِهِ، فَكَرَّ عَلَيْهِ الْإِمَامُ عَلِيٌّ وَحَمْزَةُ بِأَسْيَافِهِمَا وَتَرَكَاهُ جُنَّةً هَامِدَةً^(٢)، واشتدَّت الحرب، وكان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بِأَسَا وَمِنْ أَقْرَبِ جَيْشِهِ إِلَى الْعَدُوِّ، وكان المسلمون يلوذون به كما حَدَّثَ بِذَلِكَ الْإِمَامُ^(٣) ﷺ.

١. سنن البيهقي ج ٣/ ص ٢٧٩.

٢. تاريخ الطبري ج ٢/ ص ٣٢٥.

٣. مسند أحمد بن حنبل ج ٢/ ص ٦٤، رقم الحديث ٦٥٤.

وبان الإنكسارُ في صفوف المشركين وانهارت معنوياتهم وانهزموا شرَّ هزيمة. وقد قُتل من المشركين في بدر ما يقارب السبعين رجلاً، وكان لعليٍّ عليه السلام الدور الكبير والنصيب الأوفر من قتلهم، كما جاء في النصوص.

قال ابن كثير:

وقد شهد عليٌّ بدرًا وكانت له اليدُ البيضاء فيها، بارز يومئذٍ فغلبَ وظَهَرَ. وفي عمه حمزة وابن عمه عبيدة بن الحارث وخصومهم الثلاثة عُتْبَةُ وشيبة والوليد بن عتبة نزل قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^(١).

وروى الطَّبْرِي في تاريخه عن ابن عباس قال: «كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً، وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً، وكان صاحب راية رسول الله 'عليُّ بنُ أبي طالب وصاحب راية الأنصار سعدُ بنُ عبادة»^(٢).

روى البخاري في صحيحه:

عن قيس بن عباد عن عليِّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «أنا أولُ من يجثو بين يدي الرِّحْمَنِ للخصومة يوم القيامة، قال قيسُ بنُ عباد: وفهم أنزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾»، قال: هُمُ الذين تبارزوا يوم بدر حمزة وعليٌّ وعبيدة أو أبو عبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة والوليد بن عتبة»^(٣).

ذكر ابن هشام في سيرته:

«فكثيراً ما يتكرر اسمُ عليٍّ عليه السلام، فأغلبُ القتلى من المشركين بين مَنْ قتلَهُ عليٌّ عليه السلام أو شارك في قتله»^(٤).

وهذه بعض أسماء المشركين الذين قُتلوا يوم بدر بسيف عليٍّ عليه السلام كما جاء في السيرة النبوية:

حنظلة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس.

العاصُ بن سعيد بن العاص بن أمية.

عُتْبَةُ بنُ أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس.

عُتْبَةُ بن ربيعة بن عبد شمس.

طعيمة بن عدي بن نوفل.

زمنة بن الأسود.

١. البداية والنهاية ج ٧/ ص ٢٥.

٢. تاريخ الطَّبْرِي ج ٢/ ص ١٣٨.

٣. صحيح البخاري ج ٥/ ص ٩٥.

٤. سيرة ابن هشام ج ٢/ ص ٣٥٤.

عقيل بن الأسود بن المطلب.

نوفل بن خُوَيْلِد بن أَسَد.

حرملة بن عمرو.

مسعود بن أبي أمية بن المغيرة.

أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة.

حاجب بن السائب.

العاص بن منبه بن الحجاج.

أبو العاص بن قيس بن عدي بن سعد.

أوس بن معير بن لؤذان بن سعد بن جمح.

عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم.

زيد بن مليص.

عاصم بن أبي عوف.

سعيد بن وهب حليف بني عامر.

معاوية بن عامر بن عبد القيس.

عبد الله بن جميل بن زهير بن الحارث بن الأسد.

السائب بن مالك.

أبو الحكم بن الأخنس.

هشام بن أبي أمية بن المغيرة.

النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار^(١).

فقد كان نصف قتلهم تقريباً بسيف علي^(٢) عليه السلام.

أما في معركة أحد ثاني معركة في الإسلام، فقد أظهر فيها الإمام ﷺ قُوَّتَهُ وشَجَاعَتَهُ في مُحاربة المُشركين من قريش، كما أعطانا درساً في الأخلاق الرفيعة والقيَم الإنسانية والأداب الإسلامية، وقد دافع عن رسول الله ﷺ بنفسه وروحه حاملاً فيها راية الإسلام. عن مسلمة بن علقمة المازني: «لَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ يَوْمَ أُحُدٍ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ رَايَةِ الْأَنْصَارِ، وَأُرْسِلَ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ قَدِّمَ الرَّايَةَ. فَتَقَدَّمَ عَلِيٌّ (كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ) فَقَالَ: أَنَا أَبُو الْقُصَمِّ وَيُقَالُ أَبُو الْقُصَمِّ، فَنَادَاهُ أَبُو سَعْدٍ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ وَهُوَ صَاحِبُ لُؤَاءِ الْمُشْرِكِينَ: أَنْ هَلْ لَكَ يَا أَبَا الْقُصَمِّ فِي الْإِبْرَازِ مِنْ حَاجَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَبَرَزَا بَيْنَ الصَّفِّينِ فَاخْتَلَفَا بِضَرِيَّتَيْنِ، فَضْرِيهِ عَلِيٌّ فَصْرَعَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يُجْهَزْ عَلَيْهِ،

١. السيرة النبوية لابن هشام، المجلد الثالث ص ٥٥، ١١٦.

٢. شرح نهج البلاغة ج ١/ ص ٨.

فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته، فعطفني عنه الرحم، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله»^(١).

روى الطبري عن السدي في ذكر غزوة أحد: إن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال: يا معشر أصحاب محمد! إنكم تزعمون أن الله يُعجلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل منكم أحد يُعجله الله بسيفي إلى الجنة، أو يُعجلني بسيفه إلى النار؟ فقام إليه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى أُعجلك بسيفي إلى النار، أو تعجلني بسيفك إلى الجنة، فضربه علي عليه السلام فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته، فقال: أنشدك الله والرحم يا ابن عم! فتركه، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعلي عليه السلام: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته، فاستحييت منه^(٢).

فها هو علي كرم الله وجهه يُبارز المشركين ويهزمهم بإيمانه ويقتلهم بسيفه، وفي الوقت نفسه يعطي المسلمين دروساً في الشجاعة والخلق العظيم.

وقد أبدى الإمام علي عليه السلام في ذلك اليوم شجاعته الحيدرية وبسالته المحمدية وقوته الهاشمية في الذود عن النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم في أشدّ المواقع صعوبة، وذلك حينما تفرق المسلمون وفروا، ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا نفر قليل.

ومن المسلّمات التاريخية أن كثيراً من الصحابة فروا يوم أحد بعدما سمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتل، وفهم نزلت الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٣).

روى البخاري في صحيحه:

عن أنس (رضي الله عنه) قال: «غاب عني أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله، غيب عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما صنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين...»^(٤).

وقد ذكر ابن كثير في تاريخه أسماء بعض أولئك الذين اعتذر أنس بن النضر إلى الله تعالى من صنعهم.

قال ابن اسحاق: وحديثي القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار

١. السيرة النبوية لابن هشام ج ٣/ ص ٧٧، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٤/ ص ٢٠.

٢. تاريخ الطبري ج ٢/ ص ٥٠٩، وكتاب المغازي ج ١/ ص ٢٢٦، والسيرة الحلبية ج ٢/ ص ٢٢٣.

٣. سورة آل عمران: ١٥٥.

٤. صحيح البخاري ج ٤/ ص ٢٣.

قال: «إنّني أنس بن التّضر عمّ أنس بن مالك إلى عمر بن الخطّاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال: فما يجلسكم؟ قالوا: قُتِلَ رسولُ الله ' قال: فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله '، ثم استقبل القوم فقاتل حتّى قُتِلَ»^(١).
وروى أيضاً:

قال ابن هشام: «وكان ضرار بن الخطّاب لحق عمر بن الخطّاب يوم أحدٍ فجعل يضربه بعرض الرّمح ويقول: أنج يا ابن الخطّاب لا أقتلك، فكان عمرُ يعرفها له بعد الإسلام»^(٢).

وأما موقف عثمان يوم أحد فقد نقل البخاري عن رجل سأل ابنَ عمر: «أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أنّ عثمان بن عفان فرّ يوم أحدٍ؟ قال: نعم... فأما فراره يوم أحدٍ فأشهد أنّ الله عفا عنه»^(٣).

روى النّسائي عن العلاء قال: «سأل رجلُ ابنَ عمر عن عثمان قال: كان من الذين تَوَلَّوْا يوم التّقيّ الجمعان فتاب الله عليه»^(٤).

أجل، لقد فرّ كثيرٌ من الصحابة يوم أحد، ولكنّ عثمان قد امتاز عنهم بميزة ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية وهي أنّه غاب عن المدينة ثلاثة أيام، بينما رجع أكثرُ الفارين بمجرد ابتعاد قُلُوب المشركين.

قال ابن كثير: «وقال الأموي في مغازيه عن ابن اسحاق: حدّثني يحيى بنُ عباد عن أبيه عن جدّه: سمعت رسولَ الله ' يقول وقد كان النّاس انهمزوا عنه حتّى بلغ بعضهم إلى المبقى دون الأعوص، وفرّ عثمان بنُ عفّان وسعد بنُ عثمان رجلٌ من الأنصار، حتّى بلغوا الجلب جيل بناحية المدينة ممّا يلي الأعوص فأقاموا ثلاثاً ثمّ رجعوا فزعموا أنّ رسول الله ' قال لهم: «لقد ذهبتُم بها عريضة»»^(٥).

وأما شجاعة عليّ عليه السلام يوم أحد تجدها فيما نقله ابن هشام حيث قال: وكان يُقال لسيف رسول الله ' ذو الفقار، وحدّثني بعضُ أهل العلم أنّ ابن نجيب قال: نادى مُنادٍ يوم أحد: «لا سيفَ إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ عليّ»^(٦).

١. البداية والنهاية ج ٣/ص ٦٨، وسيرة ابن هشام ج ٣/ص ٤٦، وصحيح ابن حبان ج ٥/ص ٩٧، وتاريخ الطبري ج ٢/ص ١١٩.

٢. البداية والنهاية ج ٣/ص ١١٦.

٣. صحيح البخاري ج ٥/ص ١٢٦ ١٢٥.

٤. السنن الكبرى للنّسائي ج ٥/ص ١٣٧.

٥. البداية والنهاية ج ٤/ص ٣٢.

٦. سيرة ابن هشام ج ٣/ص ٦٤.

جاء في تاريخ ابن عساکر:

لما كان يوم أحد نظر النَّبِيُّ إلى نفرٍ من قريش فقال لعليٍّ عليه السلام: «إحمل عليهم»، فحمل عليهم فقتل هاشمَ بنَ أُمَيَّةَ المخزومي، وفرَّق جماعتهم ثم نظر النَّبِيُّ عليه السلام إلى جماعة من قريش فقال لعليٍّ عليه السلام: «إحمل عليهم»، فحمل عليهم ففرَّق جماعتهم، فقتل فلاناً الجمعي، ثم نظر إلى نفر من قريش فقال لعليٍّ عليه السلام: «إحمل عليهم»، فحمل عليهم ففرَّق جماعتهم وقتل أحد بني عامر بن لؤي فقال له جبريل عليه السلام: إِنَّ هذه المواساة، فقال عليه السلام: «إِنَّه مِنِّي وأنا منه»^(١)، فقال جبريل: «وأنا منكم يا رسول الله»^(٢).

هذا هو عليُّ بن أبي طالب عليه السلام الذي لا يعرف معنى الفرار ولا الهزيمة، فهما غير موجودتين في قاموسه، وذلك لأن قلبه قد امتلأ إيماناً، ومَن يمتلأ قلبه إيماناً لا يمكنه تركُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسطَ المشركين لينجو هو بنفسه.

وللأسف الشديد فإننا نرى أغلب الصحابة قد فزوا وتركوا النَّبِيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ينزود بنفسه بين رماح المشركين، فيردُّ هذا ويقي رأسه الشريف من ضربة ذاك ويتقي بدرعه طعنة الثالث وهكذا...

لقد كان للإمام عليٍّ عليه السلام الدورُ الكبيرُ في معركة أحدٍ حيث إنَّه لم يفرَّ كما فعل أغلب الصحابة، ولم يعص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطَّ كما عصاه بعضهم حيث نزلوا من الجبل بمجرد أن رأوا الغنائم الكثيرة، وطمعوا فيها وغرَّبهم الدنيا، مع أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أمرهم بعدم النزول منه لأيِّ سبب كان.

حتَّى إِنَّ عصيان هؤلاء الصحابة لأوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونزولهم من الجبل كان السبب في محاصرة خالد بن الوليد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن كان معه، فكاد عصيائهم يتسبَّب في قتل النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، لولا مشيئة الله، ولولا أنَّ سيف الله عليّاً عليه السلام ونفراً مَمَّن كانوا معه أحاطوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودافعوا عنه بأنفسهم وأرواحهم.

نعم هذا هو عليُّ بن أبي طالب عليه السلام سيف الله المسلول. عليٌّ عليه السلام الذي بات في فراش النَّبِيِّ وفداه بروحه ونفسه. لا لشيء إلا لیسلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وينجو من المشركين.

روى أحمد في مسنده:

حدَّثنا عبد الله حدَّثنا يحيى بن حمَّاد حدَّثنا أبو عوانة حدَّثنا أبو بلج حدَّثنا عمرو بن ميمون قال: إِنِّي لجالس إلى ابن عباسٍ إِذ أتاه تسعةٌ رهط فقالوا: يا ابن عباسٍ إِنما أن تقوم معنا وإِنما أن يخلونا هؤلاء، قال: فقال ابنُ عباسٍ: بل أقوم معكم قال: وهو يومئذٍ

١. روى البخاري في صحيحه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ عليه السلام: «أنت مِنِّي وأنا منك». ج ٤ / ص ٢٠٧.

٢. تاريخ دمشق ج ٤٢ / ص ٧٦. وتاريخ الطبري ج ٣ / ص ١٧.

صحيحٌ قبل أن يعيى قال: فابتدءوا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول أفي وثقيّ وقعوا في رجلي له عشرٌ وقعوا في رجل قال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحب الله ورسوله»، قال: فاستشرف لها من استشرف، قال: أين عليّ عليه السلام؟ قالوا: هو في الرّجل يطحن، قال: وما كان أحدكم ليطحن، قال: فجاء وهو أرمدٌ لا يكاد يبصر، قال: فنفتّ في عينيه ثم هزّ الرّاية ثلاثاً فأعطاهما إيّاه، فجاء بصفيّة بنت حُبي قال: ثمّ بعث فلاناً^(١) بسورة التّوبة فبعث عليّاً خلفه فأخذها منه قال: «لا يذهب بها إلّا رجلٌ متّي وأنا منه». قال: وقال لبني عمّه أيّكم يُوالي في الدّنيا والآخرة؟ قال: وعليّ عليه السلام معه جالسٌ فأبوا، فقال عليّ عليه السلام أنا وأليك في الدّنيا والآخرة، قال: «أنت وليّ في الدّنيا والآخرة»، قال: فتركه ثمّ أقبل على رجلٍ منهم فقال: أيّكم يُوالي في الدّنيا والآخرة؟ فأبوا، قال: فقال عليّ عليه السلام أنا وأليك في الدّنيا والآخرة، فقال: «أنت وليّ في الدّنيا والآخرة»، قال: وكان أوّل من أسلم من النّاس بعد خديجة، قال وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على عليٍّ وفاطمة وحسين وحسين فقال: «إنّما يُريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً». قال: وشرى عليّ نفسه، لبس ثوب النبيّ ﷺ ثمّ نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر وعليّ عليه السلام نائماً، قال: وأبو بكر يحسب أنّه نبيّ الله، قال: فقال يا نبيّ الله، قال: فقال له عليّ عليه السلام: إنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار قال: وجعل عليّ عليه السلام يرمي بالحجارة كما كان يرمي نبيّ الله ﷺ وهو يتصوّر قد لفّ رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح ثمّ كشف عن رأسه فقالوا: إنك للنبيّ كان صاحبك نرّميه فلا يتصوّر وأنت تتصوّر وقد استنكرنا ذلك. قال: وخرج بالنّاس في غزوة تبوك، قال: فقال له عليّ عليه السلام أخرج معك، قال: فقال له نبيّ الله: لا، فبكي عليّ عليه السلام فقال له: «أما ترضى أن تكون متّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّك لست بنبيّ، إنّه لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفة». قال: وقال له رسول الله ﷺ: «أنت وليّ في كلّ مؤمن بعدي». وقال: «سُدّوا أبواب المسجد غير باب عليّ»، فقال: فیدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريقٌ غيره. قال: وقال: «من كنت مولاه فإنّ مولاه عليّ»، قال: وأخبرنا الله عزّ وجلّ في القرآن أنّه قد رضي عنهم، عن أصحاب الشّجرة فعلم ما في قلوبهم، هل حدّثنا أنّه سخط عليهم بعد؟، قال: وقال نبيّ الله ﷺ لعمر حين قال: إنذن لي لأضرب عنقه، قال: أو كنت فاعلاً؟، وما يُدريك لعلّ الله قد أطلّع إلى أهل بدرٍ فقال: إعملوا ما شئتم. حدّثنا أبو مالك كثير بن يحيى قال حدّثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عبّاس نحوه^(٢).

١. فلان هو أبو بكر بن أبي قحافة.

٢. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق أحمد محمد شاكر ج ٥/ ص ٢٥، قال: إسناده صحيح. وجمع الزوائد ج ٩/

أما في معركة الخندق، فقد تمّ حفر خندق حول المدينة لمنع المشركين من الإقتراب والدخول لمنطقة المسلمين. غير أنّ عمرو بن عبد وُدّ العامري من تجاوز ذلك الخندق ما جعله والمسلمين على أرض واحدة، هنا دخل الخوف قلوب المسلمين حينما وجدوا أنفسهم أمام هذا الفارس الذي لم يعرف طعم الهزيمة في حياته، ولم يقف أمامه أحد إلا صرعه، وكان لا يبارزه رجلٌ إلا قتلَه.

وأخذ عمرو ينادي في المسلمين: هل من مبارز؟ فسكت المسلمون، وكأنّ على رؤوسهم الطير، ولم يكن أحدٌ من المسلمين يتجرأ على مبارزته إلا عليٌّ عليه السلام حيث قال: أنا له يا رسول الله.

روى الحافظ البهقي:

عن ابن اسحاق في موضع آخر من السيرة قال: خرج عمرو بن عبد وُدّ وهو مقتنع بالحديد فنادى: من يبارز؟ فقام عليٌّ بن أبي طالب فقال: أنا له يا نبي الله. فقال: إنّه عمرو، إجلس.

ثم نادى عمرو: ألا رجلٌ يبرز؟ فجعل يؤنّبهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنّه من قتل منكم دخلها، أفلا تبرزون إليّ رجلاً؟ فقام عليٌّ عليه السلام فقال: أنا يا رسول الله، فقال: إجلس. ثم نادى الثالثة، فقال:

ولقد بحثت من النداء	لجمعهم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع	موقف القرن المناجز
ولذلك إنّي لم أزل	متسرعاً قبّل الهزأز
إنّ الشجاعة في الفتى	والجود من خير الغرائز

قال: فقام عليٌّ رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أنا له.

فقال: إنّه عمرو، فقال: وإن كان عمرًا.

فأذن له رسول الله ﷺ فمشى إليه، حتّى أتى وهو يقول:

لا تعجلنّ فقد أتاك	مُجيب صوتك غير عاجز
في نيّة وبصيرة	والصدق مُنعي كلّ فائز
وانّي لأرجو أن أقيم	عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى	ذكرها عند الهزأز

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي، قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا عليٌّ بن أبي طالب.

فقال: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسنُّ منك، فإنِّي أكره أن أهرق دمك؟ فقال له عليٌّ عليه السلام: لكَيِّ والله لا أكره أن أهرق دمك، فغضب فنزل وسلَّ سيفه كأنه شعله نار، ثمَّ أقبل نحو عليٍّ عليه السلام مغضباً واستقبله عليٌّ عليه السلام بدرقته فضربه عمرو في درقته ففقدوها وأثبتَ فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه، وضربه عليٌّ عليه السلام على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله ﷺ التكبير، فعرفنا أنَّ عليّاً قد قتله^(١).

وهنا قال رسول الله ﷺ: «لمبارزة عليٍّ بن أبي طالب لعمرو بن عبد ودٍّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة»^(٢).
 روى الحاكم في مستدركه:

عن ابن إسحاق قال: كان عمرو بن ودٍّ ثالثَ قريش، وكان قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ولم يشهد أحدًا، فلما كان يومُ الخندق خرج معلماً ليرى مشهده فلما وقف هو وخيله، قال له عليٌّ عليه السلام: يا عمرو قد كنتَ تُعاهد الله لقريش أن لا يدعوا رجلاً إلى خِلَتَيْنِ إلا أقبلت منه أحدهما، فقال عمرو: أجل، فقال له عليٌّ عليه السلام: فإنِّي أدعوك إلى الله عزَّ وجلَّ ورسوله والإسلام، فقال: لا حاجة لي في ذلك، قال: فإنِّي أدعوك إلى البراز، قال: يا ابن أخي لِمَ؟ فوالله ما أحبُّ أن أقتلك، فقال عليٌّ عليه السلام: لكَيِّ أحبُّ أن أقتلك، فحكي عمرو فاقتحم عن فرسه فعفره ثمَّ أقبل فجاء إلى عليٍّ عليه السلام وقال: من يبارز؟ فقام عليٌّ عليه السلام وهو مُقَنَّعٌ في الحديد، فقال: أنا له يا نبيَّ الله فقال: إنَّه عمرو بن عبد ودٍّ، إجلس، فنادى عمرو: ألا رجلاً؟، فأذن له رسول الله ﷺ، فمشى إليه عليٌّ عليه السلام ... وضربه عليٌّ رضي الله عنه على حبل العاتق فسقط وثار العجاج^(٣)، فسمع رسول الله ﷺ التكبيرَ فعرف أنَّ عليّاً قتله^(٤).

هكذا قتل عليٌّ عليه السلام عمراً، وقذف في قلوب المشركين الرُّعب، كما أعطى المسلمين الأمل بالنصر بعدما كانوا قد يئسوا منه. وقد لعب الإمام عليه السلام دوراً كبيراً في انتصار المسلمين في هذه المعركة التي انتهت بهزيمة المشركين.

أما معركة خيبر، وما أدراك ما خيبر، فقد أرسل رسول الله ﷺ أبا بكر ومعه راية الجيش، فذهب ورجع مُهنّزاً، فأرسل في اليوم الثاني عمرُ بن الخطّاب، فذهب ورجع يُجَبِّنُ قومه ويُجَبِّنُونَهُ، وهذا ما جاء في كتب السنة.

١. دلائل النبوة ج ٣/ ص ٤٣٢.

٢. أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٣/ ص ٣٢. قال: حديث صحيح. ولأن الذهبي لم يجد علّة لتضعيفه قال:

فتح الله رافضيا افتراء.

٣. العجاج: الثُّبار.

٤. المستدرک على الصحيحين ج ٣/ ص ٣٤.

روى الحاكم في مستدركه:

أخبرنا أبو قتيبة سالم بن الفصل الأدمي بمكة ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا علي بن هاشم عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الحكم وعيسى عن عبد الرحمن عن أبي ليلى عن علي أنه قال: ثم يا أبا ليلى أما كنت معنا بخير؟ قال: بلى والله كنتُ معكم، قال: فإن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر إلى خير ففسار بالناس وانهزم حتى رجع^(١).

وروى أيضاً:

أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي بمرو، ثنا سعيد بن مسعود، ثنا عبيد الله بن موسى، ثنا نعيم بن حكيم، عن أبي [مريم] الحنفي، عن علي رضي الله عنه، قال: سار النبي ﷺ إلى خير فلما أتاها بعث عمر رضي الله تعالى عنه وبعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصرهم فقاتلوهم فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه فجاؤوا يُجَيِّنُونَهُ وَيُجَيِّنُهُمْ^(٢).

ورواه أيضاً ابن أبي شيبة في مصنفه:

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا نعيم بن حكيم، عن أبي مريم، عن علي رضي الله عنه قال: سار رسول الله ﷺ إلى خير، فلما أتاها بعث عمر ومعه الناس إلى مدينتهم أو إلى قصرهم، فقاتلوهم فلم يلبثوا أن انهزم عمر وأصحابه، فجاء يُجَيِّنُونَهُ وَيُجَيِّنُونَهُ، فسأ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «لأبعثن إليهم رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله، يقاتلهم حتى يفتح الله له، ليس بقرار»، فتطاول الناس لها، ومدوا أعناقهم يرونه أنفسهم رجاء ما قال، فمكث ساعة ثم قال: أين علي رضي الله عنه؟ فقالوا: هو أرمد، فقال: أدعوه لي، فلما أتته فتح عيني ثم تفلّ فيهما ثم أعطاني اللواء فانطلقت به سعياً خشية أن يحدث رسول الله ﷺ فيهم حدثاً أوفى، حتى أتيتهم فقاتلتهم، فبرز مرحب^(٣) وبرز له أرتجز كما يرتجز، حتى التقينا، فقتله الله بيدي، وانهزم أصحابه فتحصنوا وأغلقوا الباب، فاتينا الباب، فلم أزل أعالجه حتى فتحه الله^(٤).

هذا هو علي رضي الله عنه، أينما حضر حضر النصر، وأينما حلّ حلّ الفتح، وأينما ضرب بسيفه نصر الله به المسلمين وأخرى الكفار والمشركين.

١. المستدرک علی الصحیحین ج ٣/ ص ٤٠. قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٢. المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری ج ٣/ ص ٣٧ ٣٨. قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في تلخيص المستدرک بهامشه: صحيح.

٣. مرحب هو أحد أبطال اليهود وأشجعهم.

٤. المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج ٨/ ص ٥٢٥. وكنز العمال للمصنف الهندي ج ١٠/ ص ٤٦٢.

هكذا يجب أن يكون خليفة المسلمين. كزاراً غير فزار، وشجاعاً غير جبان، ومُنتصراً غير مُهزَم، حتّى يزرع في نفوس المسلمين الأمل في النَّصر والإيمان بالله والعزم على الجهاد في سبيله تعالى.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١).

ومفهوم هذه الآية الكريمة هو أنّه من لم ينصر الله لا ينصره الله ولا يثبّت أقدامه. أمّا في معركة حُنين فقد فرّ المسلمون وولّوا أدبارهم حتّى نزلت فيهم آيات التّوبيخ والذّم من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾^(٢).

وقد صرح البخاري أنّ عمر بن الخطّاب كان من الفارّين في ذلك اليوم. حيث جاء في صحيحه:

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَآخَرَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَخْتَلُهُ مِنْ وِرَاءِهِ لِيَقْتُلَهُ، فَأَسْرَعْتُ إِلَى الَّذِي يَخْتَلُهُ فَرَفَعَ يَدَهُ لِيَضْرِبَنِي، وَأَضْرَبُ يَدَهُ فَقَطَعْتُهَا ثُمَّ أَخَذَنِي فَضَمَنِي ضَمًّا شَدِيدًا حَتَّى تَخَوَّفْتُ ثُمَّ تَرَكَ فَتَحَلَّلْتُ وَدَفَعْتُهُ ثُمَّ قَتَلْتُهُ، وَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ وَانْهَزَمْتُ مَعَهُمْ، فَإِذَا بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَمْرُ اللَّهِ، ثُمَّ تَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٣).

وأما من ثبت مع رسول الله ﷺ فقد ذكرهم ابن قتيبة حينما قال:

«كَانَ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) يَوْمَ حُنَيْنٍ بَعْدَ هَزِيمَةِ النَّاسِ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ أَخَذَ بِحِكْمَةِ بَغْلَتِهِ، وَأَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ وَابْنَهُ، وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ، وَأَيُّمُنُ بْنُ عَبِيدٍ وَهُوَ ابْنُ أُمِّ أَيْمُنَ مَوْلَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَاضِنَتُهُ، وَقُتَيْلُ يَوْمُئِذٍ هُوَ وَابْنُ أَبِي سَفْيَانَ، وَاعْقَبُ لَابْنُ أَبِي سَفْيَانَ، وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ، وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ بَنَ حَارِثَةَ»^(٤).

إنّه من العار أن يفرّ الرّجل وتأتي المرأة للدِّفاع عن رسول الله ﷺ مع أنّ التّكليف ساقطٌ عنها.

إنّها امرأةٌ مؤمنة مخلصه لله ورسوله. إنّها الصّحابية الجليلة أمّ عمارة التي أبلت

١. سورة محمد: ٧.

٢. سورة التوبة: ٢٥.

٣. صحيح البخاري ج ٥/ ص ١٩٧.

٤. المعارف لابن قتيبة الدينوري ص ١٦٤.

في غزوة حنين بلاءاً حسناً حيث كانت تسقي العطشى وتساعد في نقل الشهداء بعيداً عن ميدان القتال، كما كانت تُعدُّ الطعام للمقاتلين. وقد ثبتت مع الذين لم يفرّوا بعد أن هجم عليهم المشركون هجوماً قوياً، وراحت تصيح فيمن فرّ من الصحابة وتقول: يا لأنصار أيّ عادة هذه؟ ما لكم والفرار؟ فكان لصرختها المليئة بالحمية والإقدام أثرٌ كبير في عودة كثير من الفارين.

وما هي أمّ عمارة تضرب أروع الأمثلة في دفاعها عن المبدأ والعقيدة، وتشتبك بصورة مباشرة في أحداث المعركة، وتركها وهي تروي لنا طرفاً عن دورها في ذلك اليوم المشهود، فتقول:

«لما كان يوم حنين، والناس منهزمون في كلّ وجه، وأنا وأربع نسوة في يدي سيف صارم، وأمّ سليم قد حزمت وسطها، وهي يومئذ حامل، وأمّ سليط، وأمّ الحارث، فجعلت أسألُ السيف، وأصبح بالأنصار: أيّة عادة هذه؟! ما لكم وللفرار؟ وأنظر إلى رجل مشرك من هوازن على جمل، معه لواء، يريد أن يوضع جملة في أثر المسلمين، فأعترض له فأضربُ عُرقوب الجمل، فوقع على عَجْزِهِ، وأشدُّ عليه، فلم أزل أضربه حتى أثبتته، وأخذتُ سيقاً له، ورسول الله قائمٌ مُصِلَّتِ السيف بيده، قد طرح غمده، ينادي: يا أصحاب سورة البقرة»^(١).

الثابتون مع النبي من النساء

ذكروا أَنَّ الذين ثبتوا كان فهم نساءً ورجال، فمن النساء أربع نسوة: نسيبة بنت كعب، وأمُّ سليم، وأمُّ سليط، وأمُّ الحارث.

وروا: عن عبد الله بن أبي بكر: أَنَّ رسول الله ' رأى أمَّ سليم بنت ملحان، وكانت مع زوجها أبي طلحة، وهي حاملٌ بعبد الله بن أبي طلحة، وقد خشيت أن يغرَّ بها الجمل، فأدنت رأسه منها، وأدخلت يدها في خزامه^(١) مع الخطام.

فقال رسول الله ' : أمُّ سليم؟

قالت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أقتل المنهزمين عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإتهم لذلك أهل.

فقال رسول الله ' : أويكفي الله يا أم سليم^(٢).

وعند محمد بن عمر: قد كفى الله تعالى، عافيةً الله تعالى أوسع^(٣).

وعن أنس قال: إتخذت أمُّ سليم خنجرًا أيام حُنين، فكان معها، فلقي أبو طلحة أمَّ سليم ومعهما الخنجر، فقال أبو طلحة: ما هذا؟

قالت: إن دنا متي بعضُ المشركين أبعجُ به بطنه.

فقال أبو طلحة: أما تسمع يا رسول الله ما تقول أمُّ سليم؟، فضحك رسول الله ﷺ.

فقالت: يا رسول الله، أقتل من يعدونهم من الطلقاء، إنهزموا عنك.

١. الخزام بكسر الخاء المعجمة: حلقة تُصنع من شعر، وتُجعل في أنف البعير، أنظر اللسان (خزم).

٢. سبل الهدى والرشاد ج ٥/ ص ٣٣٠.

٣. سبل الهدى والرشاد ج ٥/ ص ٣٣٠.

فقال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ يَا أُمَّ سَلِيمٍ^(١).
وعن عمارة بن غزية قال: قالت أُمُّ عَمَارَةَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حَنْينَ وَالنَّاسُ مِنْهَزِمُونَ فِي كُلِّ
وَجْهِ، وَكُنَّا أَرْبَعَ نَسُوءَ، وَفِي يَدَيَّ سَيْفٌ لِي صَارِمٌ، وَأُمُّ سَلِيمٍ مَعَهَا خَنْجَرٌ قَدْ حَزَمْتَهُ عَلَى
وَسْطِهَا، وَإِنَّهَا يَوْمَئِذٍ حَامِلٌ بَعْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ.

١. سبيل الهدى والرشاد ج ٥/ ص ٣٣٠ عن أحمد، وابن أبي شيبة، ومسلم. وقال في هامشه: أخرجه مسلم في
الجهاد [١٣٤]، وابن أبي شيبة ج ١٤/ ص ٥٣٢، وأحمد بن حنبل ج ٣/ ص ٢٧٩.

الثابتون مع النبي من الرجال

٨٣

عن الحكم بن عتيبة قال: لم يبق معه إلا أربعة، ثلاثة من بني هاشم، ورجل من غيرهم، علي بن أبي طالب عليه السلام، والعبّاس، وهما بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث أخذ بالعنان، وابن مسعود من جانبه الأيسر، قال: فليس يُقْبَلُ أحدٌ إلا قُتِلَ، والمشركون حوله صرعى^(١).

ومن الأنصار: أبو دُجانة وحارثة بن النعمان وسعد بن عباد وأبو بشير وأسيد بن حضير.

هكذا صنع المسلمون برسول الله صلى الله عليه وسلم، تركوه وفروا لينجوا بأنفسهم من الموت وتركوا النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم وسط سيوف المشركين ورماحهم.

لكن التاريخ سوف يظل شاهداً على صنيع هؤلاء وتعاملهم مع الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، وفرارهم في أحلك الظروف.

كما سيظل التاريخ يذكر لنا بطولات علي عليه السلام وتضحياته ودفاعه عن الله ورسوله حتى في أشد الظروف وأقساها، وسيبقى شاهداً على أن علياً عليه السلام لم يفر يوماً ما، ولم يجن ولم يُؤْلَ دبره، بل إنه قاتل الكفار وقتل زعماءهم وحارب المشركين وأرعب جيوشهم.

وسيظل التاريخ شاهداً على أن علياً كرم الله وجهه شارك في كل غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وحروبه، وانتصر في جميعها، وفتح الله بسيفه أراضها وحصونها، وأن الغزوة الوحيدة التي لم يشارك فيها هي غزوة تبوك، وكان ذلك بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم حتى يُخلفه في المدينة فلا

١. مصنف ابن أبي شيبة ٤١٧/٧ والسيرة الحلبية ١٠٩/٣ وفتح الباري ٢٣/٨ والمواهب اللدنية ١٦٣/١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥/ ص ٣٣٠. عن ابن أبي شيبة.

تبقى بدون خليفة يرعى شؤونها ويحفظ أمنها واستقرارها في غياب النَّبِيِّ ﷺ. وحتى يُهيأ له أجواء الخلافة من بعده. وكأنَّه ﷺ تَعَمَّدَ ذلك حتَّى يُعَوِّدَ الصحابة من الآن أَنَّ الخليفة من بعده هو عليٌّ ﷺ.

ذكر الإيجي في كتابه «المواقف» بعضاً من شجاعته ﷺ، فقال:
الرابع: الشجاعة، تواتر مكافحته للحروب ولقاء الأبطال وقتل أكابر الجاهليَّة، حتَّى قال ﷺ يوم الأحزاب: «لضربة عليٍّ خيرٌ من عبادة الثَّقَلَيْنِ»، وتواتر وقائعُه في خيبر وغيره^(١).

وأخر ما نختم به هنا هو ما ذكره الألباني في سلسلته الصَّحيحة في مناقب عليٍّ ﷺ حيث جاء:

«وكان يبعثه البعث فيعطيه الرِّاية، فلا يرجع حتَّى يفتح اللهُ عليه، جبريلُ عن يمينه، وميكائيلُ عن يساره. (يعني عليّاً رضي اللهُ عنه)^(٢)».

فهذا غيضٌ من فيض ممَّا ذكرناه في شجاعة الإمام عليٍّ ﷺ، ومن أراد المزيد فما عليه إلَّا الرُّجوع لكتب السِّيَر والتَّاريخ ليقف على شجاعة هذا الرَّجل البطل الذي رَوَى سِفُّهُ من دماء الكفار والمنافقين، وشابَّ شَعْرُ رأسه في خدمة الإسلام والمسلمين. إنَّه بحقِّ: سيفُ الله المسلول.

١. المواقف في علم الكلام لعبد الرحمن بن أحمد الإيجي ص ٤١٢. وشرح المقاصد للتفتازاني ٣٠١/٢ وتفسير الفخر الرازي ٣١/٣٢ والمستدرك على الصحيحين ٣/٣٤ قال الحاكم: صحيح. وقد حاول الذهبي تضعيفه بقوله: «قَبَّحَ اللهُ رافضيا اقتراه» ولو أنه كان منصفاً موضوعياً لَبَيَّنَ العِلَّةَ في الحديث و لكن لأنَّ السند صحيح اضطر لقول هذا الكلام الذي لا يدل إلا على كونه ناصيباً.

٢. سلسلة الأحاديث الصَّحيحة للألباني المجلد الخامس ص ٦٦٠. وصحيح ابن حبان ٣٨٣/١٥ والخصائص للنسائي [٢٣] ومسنَد أحمد ٣/١٦٨ قال أحمد شاكراً: إسناده صحيح. ومصنف ابن أبي شيبة ٣٧١/٦ ومجمع الزوائد ١٤٦/٩ قال الهيثمي: رواه الطبراني وأبو يعلى والبزار بنحوه وأحمد باختصار وإسناد أحمد وبعض طرق الطبراني حسان. والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٧٥٠. وهو حديث متواتر.

قدرة علي عليه السلام على تحمّل المسؤوليات

لقد ذكرت كتبُ التاريخ والسِّيَر أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان إذا أراد إنجاز المهمّات الصّعبة والمسؤوليات الثّقيلة، كان يرجع فيها دائماً إلى أخيه وحبيبه علي عليه السلام وذلك للأسباب التالية:

أولاً: ثقة النَّبِيِّ ﷺ الكبيرة في علي عليه السلام.

ثانياً: قدرة الإمام علي عليه السلام على تحمّل المسؤوليات، وأهليّته لإنجاز الأمور الصّعبة والمستعصية.

ثالثاً: عدم وجود كُفُوٍ لتحمل تلك المسؤوليات غير علي عليه السلام.

فهذا النَّبِيُّ ﷺ يوكل مهمّة المبيت في فراشه لعلي عليه السلام، وذلك حينما عزم قريشٌ على اغتيال النَّبِيِّ ﷺ في ليلة من الليالي، وقد تمّ اتفاقهم على أن يشارك من كل قبيلة شابٌ من شبابها، حتّى لا تقع مسؤولية قتله على رجلٍ واحد فيأخذ بنو هاشم ثأرهم منه.

خافت قريش أن يترك النَّبِيُّ ﷺ مكّة، وممّا كان سيلحقها من تبعات تؤثّر على مكانتها. كما أنّها كانت قلقّة من انتشار الدّين الجديد دين الإسلام الحنيف، رغم بذل كل طاقتها لاضطهاد المسلمين بكلّ وسائل الظلم المتاحة. وهكذا اجتمع زعماء قريش سرّاً للشّاور، وقرّروا أن يختاروا من عدّة عوائل أربعين رجلاً يهاجمون بيت النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ في الظلام، ويقتلوه مجتمعين، وبذلك لا يتمّ لبني هاشم معاقبة القاتل، حيث يضيع دمه بين عدّة عوائل. وفي تلك الليلة وفي ظلام الفجر أقبل الأربعة مقاتلاً إلى بيت النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وأشهبوا سيوفهم، ودخلوا البيت. لكنّهم اندهشوا حينما رأوا علياً عليه السلام في مكان النَّبِيِّ ﷺ.

فأخبر الله تعالى نبيّه بمكرهم، وأخبر ﷺ علياً عليه السلام بذلك، وأمره أن يتّغشّى ببرده

الحضرمي، وينام في فراشه. فقال عليٌّ عليه السلام: أوتسلمُ بمبيتي هناك يا نبيَّ الله؟! قال: نعم. فتبسَّم عليٌّ عليه السلام ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لله. وتمكَّن النبيُّ ﷺ من الخروج من بيته في تلك اللَّيلة دون أن يتمكَّنوا من ملاحظته وملاحقته.

وجعل المشركون يرمون علياً عليه السلام بالحجارة، كما كانوا يرمون رسول الله ﷺ وهو يتصوَّر (أي يتلوَّى ويتقلب)، وقد لفَّ رأسه في الثوب، لا يخرجُه، حتَّى أصبح. فهجموا عليه.

فلَمَّا بصر بهم عليٌّ عليه السلام قد انتضوا^(١) السيوف، وأقبلوا عليه، يقدمهم خالد بن الوليد، وثب له عليٌّ عليه السلام فختله^(٢)، وهمز يده، فجعل خالد يقمص^(٣) قماص البكر، ويرغو^(٤) رغاء الجمل، وأخذ من يده السيِّف، وشدَّ عليهم بسيف خالد، فأجفلوا أمامه إجمال النعم إلى خارج الدار، وتبصَّروه، فإذا هو علي، قالوا: وإنَّك لعلي؟! قال: أنا علي. قالوا: فإنَّا لم نُردك، فما فعل صاحبك؟! قال: لا علم لي به.

لقد كان هذا الإمتحان للنبيِّ ﷺ وعليٍّ عليه السلام كإمتحان إبراهيم مع ابنه إسماعيل ' لما أراد أن يضحيَّ به تنفيذاً لأمر الله سبحانه وتعالى. وقد نزلت في هذه الحادثة الآية الكريمة:

﴿وَإِذْ يَبْكُ رَبُّكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُنْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٥).

روى الحاكم في المستدرک بسنده عن الإمام عليٍّ زين العابدين بن الإمام الحسين: أن أوَّل من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله، عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، وقال عليٌّ عليه السلام عند مبيته على فراش رسول الله ﷺ.

وَمَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَالْحَجَرِ
وَقِيْتُ بِنَفْسِي خَيْرَ مَنْ وَطَأَ الْخَصَى
فَنَجَّاهُ ذُو الطَّوْلِ الْإِلَهُ مِنَ الْمَكْرِ
رَسُولُ إِلَهٍ خَافَ أَنْ يَمْكُرُوا بِهِ
مُوقِيٌّ وَفِي حِفْظِ الْإِلَهِ وَفِي سِتْرِ
وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْغَارِ آمِنًا
وَبِتُّ أُرَاعِيهِمْ وَلَمْ يَتَهَمُونَنِي

١. إنتفى سيفه: سلَّ سيفه.

٢. ختلَّ الشخص: خدعه عن غفلة.

٣. قمص: أعرَصَ قلباً.

٤. رغا: بكى وضعج.

٥. الأنفال: ٣٠.

٦. المستدرک على الصحيحين ج ٣/ ص ٤. ومسنَد أحمد ج ١/ ص ٣٤٨. وتاريخ بغداد ج ١٣/ ص ١٩١. ومجمع

وقد نزلت في عليٍّ عليه السلام الآية الكريمة: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ»^(١).

قال الفخر الرازي في تفسيره:

والرّواية الثالثة أنّها نزلت في عليٍّ بن أبي طالب بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة خروجه إلى الغار، ويروى أنّه لما نام على فراشه قام جبريل عليه السلام عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبريل ينادي: بَخْ بَخْ مَنْ مَثَلُكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ يُبَاهِي اللَّهُ بِكَ الْمَلَائِكَةَ، ونزلت الآية.

فيكفيه فخراً أنّ الله سبحانه يُبَاهِي به ملائكته^(٢).

جاء في كتاب «إحياء علوم الدين»:

وبات عليٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله، فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل: «إِنِّي أَخْبْتُ بَيْنَكُمَا وَجَعَلْتُ عُثْرَ أَحَدِكُمَا أَطْوَلَ مِنْ عَمْرِ الْآخَرِ، فَأَيُّكُمَا يُؤْثِرُ صَاحِبَهُ بِالْحَيَاةِ؟ فَاخْتَارَا كِلَاهُمَا الْحَيَاةَ وَأَحْبَاهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَهُمَا: «أَفَلَا كُنْتُمَا مِثْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ يَفْقِدُهُ بِنَفْسِهِ وَيُؤْثِرُهُ بِالْحَيَاةِ؟ إِهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ فَاحْفَظَاهُ مِنْ عَدُوِّهِ»، فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجبريل عليه السلام يقول: «بَخْ بَخْ مَنْ مَثَلُكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ وَاللَّهُ تَعَالَى يُبَاهِي بِكَ الْمَلَائِكَةَ»، فأنزل الله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ»^(٣).

وقد ذكر هذه الحادثة جملةً من مُحدّثي أهل السّنة منهم أحمد بن حنبل في كتابه فضائل الصّحابة حيث قال:

وشرى عليٌّ نفسه، لبس ثوب النّبيّ ثمّ نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول الله، فجاء أبو بكر وعليٌّ نائم... الحديث^(٤). وروى أيضاً:

قال: وشرى عليٌّ نفسه، لبس ثوب النّبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وسلّم فجاء أبو بكر وعليٌّ عليه السلام نائمٌ قال: وأبو بكر يحسب أنّه نبيُّ الله، قال: فقال: يا نبيّ الله، قال: فقال له عليٌّ عليه السلام: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ

الزوائد ج ٧/ ص ٢٧.

١. سورة البقرة: ٢٠٧.

٢. تفسير الفخر الرازي ج ٥/ ص ٢٢١.

٣. إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ج ٣/ ص ٢٥٨. وقد توفي أبو حامد الغزالي سنة ٥٠٥ هجري.

٤. كتاب فضائل الصّحابة لأحمد بن حنبل ج ٢/ ص ٨٥١.

انطلق نحو بئر ميمون فأدركه، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل عليٌّ يُرمى بالحجارة كما كان يُرمى نبيُّ الله وهو يتضور قد لفَّ رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح، ثم كشف عن رأسه فقالوا: إنَّكَ للثيمُ، كان صاحبك نرميه فلا يتضور وأنت تتضور وقد استنكرنا ذلك^(١).

ومن هنا يُعلم أنَّ أبا بكر لم يكن في الغار مع رسول الله ﷺ.
وقد ذكر ابن عساکر في تاريخه:

بات عليٌّ ليلة خرج رسولُ الله إلى المشركين على فراشه ليعي على قريش، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾^(٢).

هذا وقد أوكل النبي ﷺ مهمة إيصال الأمانات لأهلها إلى علي بن أبي طالب حينما أراد الهجرة إلى المدينة.

وطبعاً فإنَّ مثل هذه المهمة ليست بالأمر الهين، خاصةً وأنَّ قريشاً كانت تتوعد النبي ﷺ وكلَّ من آمن به واتبعه ونصره، لكنَّ الإمام علياً عليه السلام أنجز تلك المهمة وأوصل الأمانات إلى أهلها بكلِّ ثقة وشجاعة وعزيمة.

١. مسند أحمد ج ٥/ص ٢٥٠. قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح. وانظر المستدرک علی الصحیحین ج ٣/

ص ٤٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٢. تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج ٤٢/ص ٦٧. وابن عساکر توفي سنة ٥٧١ هجري.

إبلاغ سورة براءة

٨٩

روى أحمد بن حنبل في مسنده من طرق جماعة، فمنها عن أنس بن مالك أن رسول الله ' بعث ببراءة مع أبي بكر إلى أهل مكة فلمّا بلغ إلى ذي الحليفة بعث إليه فردّه فقال: «لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»، فبعث علياً^(١) عليه السلام. وروى ابن كثير في تفسيره:

عن سماك عن حبيش يرفعه قال: لما نزلت عشرُ آيات من سورة براءة على النَّبي ' دعى النَّبيُّ ﷺ أبا بكر فبعثه بها ليقراها على أهل مكة، ثم دعى النَّبيُّ ﷺ علياً عليه السلام فقال له: أدرك أبا بكر فحيث ما لحقته فخذ الكتاب منه، فاذهب به إلى مكة واقراه عليهم. قال: فلحقه بالجحفة فأخذ الكتاب منه، فرجع أبو بكر إلى النَّبي ﷺ فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ فقال: لا ولكن جبرئيل جاءني فقال: «لَنْ يُؤَدِّيَ عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ»^(٢). وروى البخاري في صحيحه هذه الحادثة، وزاد فيه:

قال: فأذن عليٌّ في أهل مِثَى يوم النَّحر ألاَّ يحجَّ بعد العام مشركٌ ولا يطوف بالبيت عريان^(٣).

١. مسند أحمد بن حنبل ج ٣/ ص ٢٨٣. وصحيح سنن الترمذي ١٨٣/٢ وحسنه الألباني. ونحوه في صحيح ابن ماجه مج ١ ص ٥٨ وانظر السلسلة الصحيحة [١٩٨٠]

٢. فتح الباري كتاب تفسير القرآن ص ١٧١ قال ابن حجر: أخرجه أحمد بسند حسن. وجمع الزوائد ١١٩/٩ قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي بلج الفزاري وهو ثقة وفيه لين. والسنة لابن أبي عاصم ٦٠٢/٢. وشرح مشكل الآثار ٢١٩/٩. وخصائص الإمام علي للنسائي ص ٤٨. وفضائل الصحابة ٥٩٤/٢. وأنساب الأشراف للبلاذري ١٥٥/٢. وتفسير ابن كثير عن أحمد بن حنبل في ج ٢/ ص ٣٢٢. وهو حديث متواتر.

٣. صحيح البخاري ج ٥/ ص ٢٠٢.

أخرج الحاكم في مستدركه: بإسناده عن ابن عمر في حديث، قال: إن رسول الله بعث أبا بكر وعمر ببراءة إلى أهل مكة. فانطلقا فإذا هما براكب، فقال: من هذا؟ قال: أنا عليّ يا أبا بكر، هات الكتاب الذي معك، فأخذ عليّ الكتاب فذهب به ورجع أبو بكر وعمر إلى المدينة، فقالا: ما لنا يا رسول الله؟ قال: ما لكما إلا خير، ولكن قيل لي: «لا يُبلَّغُ عنك إلا أنت أو رجلٌ منك»^(١).

إذا فقد عرفنا أنّ عليّاً عليه السلام هو صاحب المسؤوليات والأُمُور التي لا يمكن للآخرين القيام بها، والدليل على ذلك قول جبريل عليه السلام: «لن يؤدّي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك».

وهذه الرواية تدلّ على أمرين أساسين: أولهما: كفاءة الإمام عليه السلام في إنجاز أوامر النبي صلى الله عليه وآله، وأهليّته لذلك. ثانيهما: أنّه لا يبلغ عن النبي صلى الله عليه وآله إلا رجلٌ منه، والإمام عليّ عليه السلام هو من رسول الله صلى الله عليه وآله بدليل القرآن والسنة.

أمّا القرآن فقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٢). إتفق علماء المسلمين أنّ المراد ب (أنفسنا) في هذه الآية هو عليّ عليه السلام. روى مسلم في صحيحه:

حدّثنا قتيبة بن سعيد ومحمّد بن عباد وتقاربوا في اللفظ قالوا: حدّثنا حاتم وهو ابن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تَسُبَّ أبا التُّراب؟، فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله ' فلن أسُبَّهُ. لأنّ تكون لي واحدةً منهنّ أحبّ إليّ من خُمُر النُّعَم. سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له، خَلْفُهُ في بعض مغازيه، فقال له عليّ عليه السلام: يا رسول الله، خَلَفْتَنِي مع النِّسَاء والصِّبْيَانِ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما تَرْضَى أن تكون مَنِّي بمنزلة هارونَ من موسى، إلا أنّه لا نبوّة بعدي»، وسمعتُه يقول يومَ خيبر: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، قال: فَتَطَاوَلْنَا لَهَا فَقَالَ: «أَدْعُوا لِي عَلِيًّا» فَأَتَيْتُ بِهِ أَرْمَدَ، فَبَصَّقَ فِي عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ. فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ. وَلَمَّا

١. المستدرک علی الصحیحین ج ٣/ ص ٥١. ومسنّد أحمد ١/ ٣٣١ ومجمّع الزوائد ٧/ ٢٩ قال المیهمی: رواه أحمد والطبرانی ورجال أحمد رجال الصحیح، والسنة لابن أبي عاصم ٢/ ٦٠٦ وشرح مشکل الآثار للطحاوی ٩/ ٢١٩ والشریعة للأجری ٤/ ٢٠٢١ والثقات لابن حبان ٩/ ٢٩ وأنساب الأشراف للبلاذری ٢/ ١٥٥

وتفسیر الطبري ١٠/ ٤٦ وتاریخ ابن کثیر ٥/ ٣٨

٢. آل عمران ٦١.

نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾^(١) دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللَّهُمَّ هؤلاء أهلي»^(٢).
فهذا إقرارٌ منه أَنَّ عليّاً عليه السلام نفس رسول الله ﷺ.
روى ابن كثير في تفسيره:

أخبرنا محمد بن دينار عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن جابر قال: قدم على النَّبِيِّ ﷺ العاقبُ والطَّيِّبُ، فدعاهما إلى الملاعة فواعداه على أن يلاعناه الغداة. قال: فغدا رسول الله ﷺ، فأخذ بيد عليٍّ عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجينا، وأقبرا بالخروج، قال: فقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، لَوْ قَالَا: لَا، لَأَمْطَرُ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَاراً»، قال جابر: فهم نزلت: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾. قال جابر: «أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ»: رسول الله ﷺ وعليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَ«أَبْنَاءَنَا»: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَ«نِسَاءَنَا»: فَاطِمَةُ عليها السلام^(٣).
قال: وهكذا رواه الحاكم في مستدركه.

ومن هنا تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ عليّاً عليه السلام هو نفسُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ، ومن كان عنده اعتراضٌ على هذا، فليعتَرِضْ على كلام الله سبحانه وتعالى.
أما من السَّنة، فقد روى البخاري في صحيحه:
قال النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيِّ عليه السلام: «أَنْتَ مَعِيَ وَأَنَا مِنْكَ»^(٤).
فعليُّ عليه السلام من النَّبِيِّ ﷺ، والنَّبِيُّ من عليٍّ عليه السلام.

فِيستَفَادُ من حديث: «لَنْ يُوَدِّيَ عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ» أَنَّ عليّاً عليه السلام هو الْمُبْلَغُ عن رسول الله ﷺ، فيكون هو خَلِيفَتُهُ، لَأَنَّ الحديث جاء على إطلاقه، وَلَمْ يَقْصِدِ النَّبِيُّ ﷺ إبْلَاحَ عليٍّ عليه السلام عنه أموراً دون أمور، بِالتَّالِي صَحَّ الاستدلالُ بهذا الحديث على خلافة عليٍّ عليه السلام.
ثم إذا لم يكن أبو بكر أهلاً حتى في إبْلَاحِ آية واحدة من القرآن، وكذلك عمر، فكيف يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ خَلِيفَتِي رسول الله ﷺ فيبَيِّنُوا لِلنَّاسِ أَحْكَامَ الْكِتَابِ، وَنَاسِخَهُ مِنْ مَنْسُوخِهِ، وَمَجْمَلَهُ مِنْ مَفْصَلِهِ، وَمَحْكَمَهُ مِنْ مُتَشَابِهِهِ؟

فَالْخَلَافةُ إِذْنٌ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ لَا تَكُونُ إِلَّا لِعَلِيِّ وَأَوْلَادِهِ الَّذِينَ مِنْ صُلْبِهِ عليه السلام، لَأَنَّ جَبْرِيلَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «لَنْ يُوَدِّيَ عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ». وعليُّ عليه السلام من النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

١. صحيح مسلم ج ٤/ ص ١٨٧٤.

٢. سورة آل عمران: ٦٣.

٣. تفسير ابن كثير ج ٢/ ص ٥٥. وانظر الذَّرَّ المَثُورَ للسيوطي ج ٣/ ص ٦٠٧. وشواهد التنزيل للحسكاني

ج ١/ ص ١٢٣. وفتح القدير للشوكاني ج ١/ ص ٥٧٤.

٤. صحيح البخاري، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه ج ٥/ ص ٢٢.

وأله، وأولاد عليٍّ من عليٍّ عليه السلام، وبالتالي فهم من النبي صلى الله عليه وآله. فلا تصحُّ الخلافة إلاّ فيهم، وهم
إننا عشر خليفة كما صرَّح بذلك النبي صلى الله عليه وآله.

روى مسلم في صحيحه:

حدَّثنا نصر بن علي الجهضمي حدَّثنا يزيد بن زريع حدَّثنا ابن عون وحدَّثنا أحمد بن
عثمان التَّوْقَلِيُّ (واللفظُ له) حدَّثنا أزهر حدَّثنا ابن عون عن الشعبي عن جابر بن سُمرة
قال: إنطلقتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعِي أبي، فسمعتُه يقول: لا يزال هذا الدِّين عزيزاً مَنِيعاً
إلى اثني عشر خليفة، فقال كلمة صمَّتها النَّاسُ، فقلتُ لأبي: ما قال؟ قال: «كُلُّهُمْ مِنْ
قُرَيْشٍ»^(١).

ويما أنَّ عليّاً من النَّبي. والنَّبيُّ من عليٍّ عليه السلام، فإنَّ كلَّ مَنْ سبَّ عليّاً فقد سبَّ رسول
الله صلى الله عليه وآله، وكلَّ مَنْ حارب عليّاً فقد حارب رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد جاء في الصَّحاح أنَّ معاوية
بن أبي سفيان كان يَسُبُّ عليّاً عليه السلام، ويأمرُ النَّاسَ بِسَبِّهِ.

روى مسلم في صحيحه:

حدَّثنا قتيبة بن سعيد ومحمَّد بن عباد وتقارباً في اللفظ قالوا: حدَّثنا حاتم وهو ابن
إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقَّاص، عن أبيه قال: أمر
معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تَسُبَّ أبا التُّراب؟، فقال: أمَّا ما ذكرتُ ثلاثاً
قالهنَّ له رسول الله صلى الله عليه وآله فَلَنْ أُسَبِّهَنَّ، لأنَّ تكونَ لي واحدةٌ منهنَّ أحبُّ إليَّ من حُمُر النَّعَم. سمعتُ
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له، خَلْفَهُ في بعض مغازيه، فقال له عليٌّ عليه السلام: يا رسول الله، خَلَفْتَنِي
مع النِّساء والصِّبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما تَرْضَى أن تكونَ مَتًى بمنزلة هارونَ من
موسى، إلاَّ أنَّه لا بُدَّوَة بعدي»، وسمعتُه يقول يومَ خيبر: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ
ورسولَه، وَيُحِبُّ اللهَ ورسولَه»، قال: فَتَطَاوَلْنَا لَهَا فقال: «أَدْعُوا لِي عَلِيّاً» فَأَتَيْ بِهِ أَرْمَدٌ،
فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ. ففَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ. وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا
وَأَبْنَاءَكُمْ﴾^(٢) دَعَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي»^(٣).

جاء في شرح صحيح مسلم:

«أمر معاوية بن أبي سفيان» الأموي الشامي، الخليفة المشهور «سعداً» بن أبي
وقَّاص رضي الله عنهما أي أمره بسب علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأبى سعد أن يسبَّ

١. صحيح مسلم ج ٤/ ص ١٤٥٣. ومسنَد أحمد ج ٥/ ص ٧٩. والمستدرَك على الصَّحِيحِينَ ج ٣/ ص ٦١٨.
ومجمَع الزَّوَادِج ج ٥/ ص ١٩٠ قال الهيثمي رجال الطبراني رجال الصَّحِيح. وسنن الترمذي ج ٤/ ص ٥٠١
قال: هذا حديث حسن صحيح.

٢. سورة آل عمران: ٦٣.

٣. صحيح مسلم ج ٤/ ص ١٨٧٤.

علياً «فقال» معاوية بن أبي سفيان لسعد: «ما منعك» يا سعد «أن تسبّ أبا التراب» عليّ بن أبي طالب حين أمرتك أن تسبّه^(١).

وجاء في فتح المنعم:

(أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً) المأمور به محذوف، لصيانة اللسان عنه، والتقدير: أمره بسب عليّ رضي الله عنه.

(فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب)؟ معطوف على محذوف، والتقدير: أمر معاوية سعداً أن يسبّ عليّاً، فامتنع فقال له: ما منعك؟ ويحاول النووي تبرئة معاوية من هذا السوء^(٢).

ها هو معاوية يأمر سعداً بسبّ عليّ عليه السلام، فيمتنع سعدٌ عن السبّ، فيستفسر منه معاوية عن سبب امتناعه عن ذلك.

وروى ابن ماجة في سننه:

عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاوية في بعض حجّاته، فدخل عليه سعدٌ، فذكروا عليّاً، فقال منه^(٣)، فغضب سعدٌ وقال: تقول هذا لرجلٍ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من كنتُ مولاه فعليّ مولاه». وسمعتُه يقول:

«أنت مَنّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لانيّ بعدي». وسمعتُه يقول: «لأعطينَ الزّايةَ اليومَ رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَهُ»؟^(٤).

جاء في كتاب إنجاز الحاجة:

عن سعد بن أبي وقاص، قال: قدم معاوية في بعض حجّاته، فدخل عليه سعد، فذكروا عليّاً، فقال منه، فغضب سعد، وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»....

قال شارح الكتاب: «فقال منه» أي نال معاوية من عليّ ووقع فيه وسبّه، بل أمر سعداً بالسب، كما قيل في مسلم والترمذي^(٥).

هذا وقد اعترف ابن تيمية مع حبّه الشديد لبني أميّة بذلك أيضاً حيث قال:

وأما حديث سعد لما أمره معاوية بالسبّ فأبى، فقال: ما منعك أن تسبّ عليّ بن أبي

١. شرح صحيح مسلم المسمى الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي الهزري الشافعي ج ٢٣/ ص ٤٤٤ دار المنهاج.

٢. فتح المنعم شرح صحيح مسلم للدكتور موسى شاهين لاشين ج ٩/ ص ٣٣٢ دار الشروق.

٣. قال الألباني: «قال منه» أي: نال معاوية من عليّ وتكلّم فيه.

٤. صحيح سنن ابن ماجة لمحمد ناصر الدين الألباني، المجلد الأوّل ص ٥٨، قال الألباني: صحيح.

٥. إنجاز الحاجة شرح سنن ابن ماجة للشيخ محمد علي جانيّاز، مكتبة دار السلام الرياض، دار النور، المقدمة، باب ١١، حديث ١٢١، ص ٤٠٣.

طالب؟ فقال: ثلاث قالهنَّ رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأن يكون لي واحدة منهنَّ أحبَّ إليَّ من حمر النّعم... الحديث. فهذا حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه^(١).

روى أحمد في مسنده:

عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلتُ على أمّ سلمة، فقالت لي: أيسبُّ رسول الله فيكم؟ قلتُ: معاذ الله، أو سيحان الله، أو كلمة نحوها، قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي»^(٢).

فكلَّ من سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.....

وقد ثبت أن معاوية سَبَّ عَلِيًّا ﷺ....

إذن، فمعاوية سَبَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

فهذا معاوية بن أبي سفيان يسبُّ رسول الله ﷺ. ولا ندري كيف يترضى ابنُ تيمية وغيره على من سَبَّ خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ وَسَيِّدَ الْكَوْنَيْنِ وَوَالِدَ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ.

وإذا كان المسلم لا يرضى أن يُسَبَّ أبوه أو أمه، فالأولى أن لا يرضاهَا لرسول الله. فالمسلم هو من قدَّم رسول الله ﷺ على أهله ونفسه، وإلا فلا.

روى الحاكم في مستدركه:

عن أبي هريرة قال: نظر النبي ﷺ إلى عليٍّ وفاطمة والحسين فقال: «أنا حربٌ لمن حاربكم وسلمٌ لمن سالمكم»^(٣).

بالتالي يمكننا قول مايلي:

كُلُّ مَنْ حَارَبَ عَلِيًّا فَقَدْ حَارَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ....

عائشة ومعاوية وطلحة والزبير ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة حاربوا عليًّا ﷺ.... النتيجة: كل هؤلاء حاربوا رسول الله ﷺ.

فالحمد لله الذي جعل في قلوبنا حبَّ أعلم الناس وأتقاهم وأشجعهم وأقضاهم وأكثرهم إيماناً، عليٍّ ﷺ وأهل بيت رسول الله ﷺ. وجعلنا من المتمسكين بهم.

روى البخاري في صحيحه: قال عمر بن الخطاب: أقضانا عليٌّ^(٤) ﷺ.

١. منهاج السنة ج ٥/ ص ٤٢.

٢. مسند أحمد بن حنبل ج ٤٤/ ص ٣٢٩، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

٣. المستدرک علی الصحیحین ج ٣/ ص ١٤٩، قال: هذا حديث حسن. وانظر صحيح ابن حبان [٢٢٤٤].

وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٠/ ص ٤٣٢. ومسند أحمد، المجلد الرابع عشر ص ٤٠٧.

٤. صحيح البخاري، كتاب التفسير، ص ١٠٩٨، حديث [٤٤٨١].

علم الإمام علي عليه السلام

٩٥

لاشك ولا ريب أنَّ علياً عليه السلام هو أعلم الصحابة، بل أعلم الخلق بعد النبي صلى الله عليه وآله. وقد يتعجب البعض من هذا الإدعاء، وذلك لعدم اطلاعه على ما جاء في علي عليه السلام بالأسانيد الصِّحاح من فضائل كثيرة ومناقب لم تكن لأحدٍ غيره. وكما وعدنا القارئ الكريم أن يكون كلُّ كلامنا بالدليل، سوف نشرع بحوله تعالى بذكر ما جاء في علمه عليه السلام. ونتطرق إلى بعض أقوال الصحابة في ذلك، وشهادتهم بعلمه عليه السلام. جاء في كنز العمال:

حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال:

أتني عمرُ بمجنونةٍ قد زنت، فاستشار فيها أناساً فأمر بها عمرُ أن تُرجمَ، فمرَّ بها عليُّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: ما شأنُ هذه؟ قالوا: مجنونةٌ بني فلان زنت فأمر بها عمرُ أن تُرجمَ، قال: فقال عليه السلام: إرجعوا بها، ثم أتاه فقال: يا أمير المؤمنين أما علمت أن القلم قد رُفِعَ عن ثلاثة، عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يعقل؟ قال: بلى، قال عليه السلام: فما بال هذه تُرجم؟ قال: لا شيء. قال عليه السلام: فأرسلها، قال: فأرسلها، قال: فجعل يُكثِرُ. فأعجب به عمرُ إعجاباً شديداً ثم قال: أبا حسن، لا أبقاني الله لشيءٍ لستَ لها، ولا في بلدٍ لستَ فيه^(١).

وجاء الحديث بألفاظ مختلفة وفي مصادر عدة^(٢).

١. كنز العمال ج ٥ / ص ٨٣٢. وانظر المستدرك على الصحيحين، أول كتاب المناسك. رقم الحديث: [١٦٨٢].

٢. أنظر سبل السلام لابن حجر العسقلاني ج ٢ / ص ٢٠٦. والدر المنثور للسيوطي ج ٣ / ص ١٤٤. وتاريخ

وقد زوي أنّ عمر كان دائماً ما يقول: لولا عليٌّ لهلك عمرٌ. وذلك لحاجته الماسة إليه وافتقاره إلى علمه ﷺ.

جاء في كتاب الإستيعاب:

عن ابن عباس قال: قال عمر: عليٌّ أقضانا.

وعن سعيد بن المسيّب قال: كان عمرٌ يتعوذُ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن. وقال في المجنونة التي أمرَ بزجِّها، وفي التي وضعت لستة أشهر فأرادَ عُمرُ رَجْمَها فقال له عليٌّ ﷺ: إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَحَمَلْهُ وَفَصَّالَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(١)... الحديث، وقال له: إنّ الله رفع القلم عن المجنون.... الحديث، فكان عمرٌ يقول: «لولا عليٌّ لهلك عُمرُ»^(٢).

جاء في تاريخ الخلفاء:

عن أبي هريرة قال: قال عمر بن الخطاب: لقد أُعْطِيَ عليٌّ ثلاثَ خصال، لأن تكون لي خصلةً منها أحبُّ إليّ من أن أُعطى حُمْرُ النّعم^(٣)، فسُئِلَ: وما هن؟ قال: تزوّجه ابنته فاطمة، وسكنه المسجد لا يحلُّ لي فيه ما يحلُّ له، والراية يومَ خيبر. قال السيوطي: وروى أحمدٌ بسند صحيح عن ابن عمر نحوه^(٤).

فها هو عمر نفسه يعترف بعلم الإمام، ويدعو الله أن لا يبقيه لمعضلة ليس لها عليٌّ ﷺ. بل يتمنى أن تكون له خصلةٌ واحدةٌ من خصال عليٍّ ﷺ.

فلو كان عند عمر ما عند عليٍّ ﷺ من العلم لما احتاج إلى الرجوع إليه في حلّ معضلاته. وخليفة المسلمين يجب كونه عالماً بأمور الدّين والدّنيا حتّى يتسنى للعامة الرجوعُ إليه، لا العكس، لأنّه كما يقال: فاقد الشيء لا يُعطيه.

ولو لم يكن خليفة المسلمين أعلم أهل زمانه لوجب عليه الرجوع إلى رعيّته عند وقوع المعضلات، بالتّالي بطلَ كونه خليفةً ومتبوعاً، وصار تابعاً غير متبوع.

ولم يتوقّف علمُ الإمام ﷺ عند هذا، بل إنّه كان يُخبر ببعض الأمور الغيبية التي تعلّمها من رسول الله ﷺ.

دمشق لابن عساکر ج ٤٢/ ص ٤٠٥.

١. الأحقاف ١٥.

٢. الإستيعاب لابن عبد البر، المجلّد الثالث ص ١١٠٣. وانظر تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني المجلد

الخامس ص ١٥٤. ومُصنّف عبد الرّزاق بن همام الصّنعاني ج ٧/ ص ٣٥٠. وتفسير الفخر الرّازي ج ٢١/

ص ٢٣.

٣. حر النعم: أجود الإبل وأحسنها، وهي أنفس أموال العرب وأرفعها عندهم.

٤. تاريخ الخلفاء للسيوطي، دار ابن حزم. ص ١٣٨. والمستدرك على الصحيحين ٩٥/٤ قال: صحيح. وفضائل

الصحابه ٤٣٤/٢. وفتح الباري ١٥/٧. والبداية والنهاية ٣٤٢/٧. ومصنف ابن أبي شيبة ٣٦٩/٦.

والسنة لابن أبي عاصم ٥٦٩/٢. وانظر الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي، دار الوطن ج ١/ ص ٣٧٣.

فلو قال قائل: إنّ هذا لهُو الغُلُو بعينه، فكيف تدّعون أنّ الإمام عليّاً يعلم بما سوف يكون؟

نقول: إن كان هذا غُلُوّاً حقّاً فإنّ علماء السّنة هم الغلاة، لأنّهم هم الذين ذكروا ذلك في كتبهم، وبالأسانيد الصّحاح أيضاً، وقالوا إنّ عليّاً عليه السلام كان عالماً بكلّ ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة.

روى ابن عساكر في تاريخه:

عن سيف بن وهب قال: أقبل عليّ بن أبي طالب ذات يوم حتّى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «يا أيّها النّاس سلوني قبل أن تفقدوني»^(١).

وروى أيضاً:

عن ابن شبرمة قال: ما كان أحدٌ يقول على المنبر: «سلوني عمّا بين اللّوحين» إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

روى الحاكم في مستدركه:

عن قيس بن أبي حازم، قال: كنتُ بالمدينة فبينما أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار الزيت، فرأيتُ قوماً مجتمعين على فارسيّ قد ركب دابةً وهو يشتمُّ عليّ بن أبي طالب والنّاس وقوفٌ حواليه إذ أقبل سعد بن أبي وقاصّ فوقف عليهم فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجلٌ يشتمُّ عليّ بن أبي طالب، فتقدّم سعد فأفرجوا له حتّى وقف عليه فقال: يا هذا، غلامٌ تشتمُّ عليّ بن أبي طالب؟ ألم يكن أوّل من أسلم؟ ألم يكن أوّل من صلّى مع رسول الله؟ ألم يكن أزهد النّاس؟ ألم يكن أعلم النّاس؟ وذكر حتّى قال: ألم يكن ختن رسول الله على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله في غزواته؟ ثمّ استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهمّ إنّ هذا يشتم وليّاً من أوليائك فلا تفرّق هذا الجمع حتّى ترهبهم قدرتك فيه؟ قال قيس: فوالله ما تفرّقنا حتّى ساخت به دابّته فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه ومات^(٢).

والشاهد فيه: قول سعد بن أبي وقاصّ: «ألم يكن أعلم النّاس؟». فهذه شهادة من صحابيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، والسند صحيح، بالتالي ثبت كونُ عليّ عليه السلام أعلم النّاس. جاء في كتاب فضائل الصّحابة:

١. تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣/ ص ٣٠، تحت الرقم ١٠٣٦.

٢. تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣/ ص ٣٠، تحت الرقم: ١٠٢٥. والإستيعاب لابن عبد البر ج ٣/ ص ٤٠.

٣. المستدرک علی الصحیحین بتحقیق مصطفی عبد القادر عطا ج ٣/ ص ٥٧١. قال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص.

عن سعيد بن المسيب قال: لم يكن أحدٌ من أصحاب النَّبي ﷺ يقول: «سلوني»، إلا عليُّ بنُ أبي طالب^(١).

فمن يا ترى هذا الذي يستطيع أن يدعي أنه عالمٌ بكلِّ شيء؟ ويتحدَّى الناس بإطلاق قوله: «سلوني»، أي: سلوني عن أيِّ شيء فأجيبكم. فهنا حصر عقلي: فإما أن يكون القائل كاذباً (وحاشاه ﷺ) وهو أمير المؤمنين ووصي النَّبي الكريم ومن طهره في القرآن ربُّ العالمين).

وإما أن يكون صادقاً، بالتالي يُثبتُ أَعْلَمِيَّتُهُ على غيره من النَّاس، فيكون أَعْلَمُهُم وأكْمَلُهُم علماً.

ثم إنَّ علياً ﷺ أطلق في كلامه ولم يُقَيِّد، أي أنه لم يقل للنَّاس: سلوني في أمور الفقه، أو في علم الفلك أو الفيزياء مثلاً، وإطلاقه هذا يدلُّ على أنه كان عالماً بكلِّ شيء إلا علم الساعة الذي لا يعلمه إلا الباري عزَّ وجلَّ، وما خرج بدليل خاص. هذا مقتضى كلامه. وقد يتعجَّب البعض حينما يسمع أنَّ علم عليٍّ ﷺ فاق علم الأنبياء والرَّسل (عَدَى النَّبيِّ مُحَمَّد ﷺ)، حيث إنَّه أخذ علمه منه). لكنَّ تعجُّبه هذا سيزول بمجرد اطلاعه على ما جاء في الصَّحاح.

روى أحمد في مسنده:

حدَّثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن حُبيش قال: خطبنا الحسن بنُ عليٍّ بعد قتل عليٍّ فقال: «لقد فارقمكم رجلٌ بالأمس، ما سبقه الأولون بعلمٍ، ولا أدركه الآخرون، إن كان رسولُ الله ليبيعه ويعطيه الزَّاية، فلا ينصرف حتَّى يُفَقِّحَ له، وما ترك من صفراء ولا بياض إلا سبعمائة درهم من عطائه، كان يرصدها لخدامٍ لأهله»^(٢). والشاهد هنا: هو قول الإمام الحسن في عليٍّ: «ما سبقه الأولون بعلمٍ ولا أدركه الآخرون».

فهذه شهادةٌ صريحة من صحابيٍّ وابن صحابيٍّ وسبط النَّبيِّ وسيد شباب أهل الجنَّة، بأنَّ علم عليٍّ ﷺ لم يكن لأحد قبله، ولا يكون لأحد بعده. (والمستثنى الوحيد هنا هو النَّبيُّ الأكرم ﷺ).

فالراوي هو الإمام الحسن بن عليٍّ، الصحابيُّ الجليل، ومن أهل بيت طهرهم الله

١. فضائل الصَّحابة لأحمد بن حنبل بتحقيق وصي الله بن محمَّد عبَّاس ج ٢/ ص ٦٤٦، قال: إسناده صحيح. ومُصَنَّف ابن أبي شيبة المجلد الثامن ص ٥٧٤.

٢. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق أحمد محمد شاكر ج ٢/ ص ٣٤٤. قال: إسناده صحيح. وانظر البداية والنهاية لابن كثير بتحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ج ١١/ ص ٢٧. قال: إسناده صحيح. وانظر كتاب فضائل الصَّحابة لأحمد بن حنبل بتحقيق وصي الله بن محمَّد عبَّاس ج ٢/ ص ٥٩٥. قال: إسناده صحيح.

تطهيراً، والسند صحيح. فمن كان عنده أيّ اعتراض، فليعترض على ابن رسول الله، أو على هؤلاء العلماء الكبار من أهل السنة الذين ذكروا هذه الرواية في كتبهم.

والسؤال هنا:

كيف يكون الفاضل في زمانه رابع الخلفاء، ويكون المفضول الخليفة الأول؟
فليت شعري، كيف عدل الناس عن أعلم الناس وأفضلهم وأزهدهم وأشجعهم إلى من كان جاهلاً بأحكام الكلاله والإرث والتميم؟
قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري:

روى البرار عن ابن مسعود قال: «كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ أَفْضَلَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»^(١).

وجاء في مسند أحمد:

عن شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنِ الْمَسْحِ فَقَالَتْ: «إِنِّي عَلِيًّا فَهُوَ أَعْلَمُ مِنِّي»^(٢).
فهاهي عائشة تعترف على الأقل أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام أَعْلَمُ مِنْهَا، بِالتَّالِي فَإِنْ وَقَعَ أَيُّ خِلَافٍ بَيْنَهُمَا وَجَبَ عَلَيْهَا عَقْلًا وَشُرْعًا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، وَتَسْتَفِيدَ مِنْ عِلْمِهِ، لَا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دَارِهَا بِجَيْشٍ جَرَّارٍ لِقِتَالِ نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَخِيهِ وَوَصِيِّهِ وَابْنِ عَمِّهِ وَزَوْجِ ابْنَتِهِ وَخَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَقْتُلَ خِيَارَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ النِّسَاءَ بِالْقِرَارِ فِي بَيْوتِهِنَّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَةِ الْأُولَى﴾^(٣).

وهنا حصر عقلي، فلما أن نقول إن عائشة كانت على صواب في خروجها على إمام زمانها، وبإقي نساء النبي أخطأن في عدم الخروج. وإما العكس. لكن القرآن مع الإحتمال الثاني. فإن الله أمرهنَّ بصريح العبارة أن يقرن في بيوتهن.

ثُمَّ إِنَّا لَم نَرَ أَوْ نَسْمَعُ يَوْمًا مَا بَأْسَ تَقْتُلِ أَبْنَاءَهَا، فَمَا بَالُنَا إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُّ هِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ؟ وَمَاذَا سَتَقُولُ لِرَبِّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا سُئِلَتْ: لِمَاذَا قَتَلْتَ الْأَلْفَ مِنْ أَبْنَائِكَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْجَمَلِ؟

قال ابن عبد البر في كتابه «العقد الفريد» إِنَّ عِدَّةَ الْقَتْلِ يَوْمَ الْجَمَلِ بَلَغَ عَشْرِينَ أَلْفًا مِنْ جَيْشِ عَائِشَةَ، وَخَمْسَمِائَةَ مِنْ جَيْشِ عَلِيٍّ عليه السلام.

١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت، ج ٧/ ص ٥٨. قال: رجأه مؤثفون.

٢. مسند أحمد بن حنبل ج ١/ ص ١٨٢. وانظر كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل بتحقيق وصي الله بن محمد عباس، دار ابن الجوزي، ج ٢/ ص ٨٧٣. قال: إسناده صحيح. وانظر المحلى لابن حزم، كتاب الطهارة، صفة الغسل الواجب، مسألة المسح على ما لبس في الرجلين.

٣. الأحزاب: ٣٣.

أما الله سبحانه فقد قال في محكم كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَعَذِبُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢).

ثم إنه جاء في الصحيح: أَنَّ النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: «يا علي أنت سيّد في الدنيا سيّد في الآخرة، حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدي»^(٣).

إذن فعَدُوٌّ علي عليه السلام هو عدُوُّ الله.

ثم إنَّ النبي ﷺ لم يقل: (الويل لمن حاربك بعدي). بل اكتفى بالبغض، والمعروف أَنَّ الإنسان إذا حارب شخصاً ما، فَجَزَماً يكون قد تجاوز وتعدّى مرحلة البغض. لآتي قد أبغض شخصاً ما، لكن ليس بالضرورة أن أحاربه وأقاتله. بينما لو حاربت شخصاً ما فهذا يعني أَنَّ بغضي له أوصلني لمرحلة أصبحت لا أطيق وجوده في هذا العالم. وإذا كان علي عليه السلام لا يُقَارَنُ في علمه مع الأنبياء والرسل، (هذا ما صرح به علماء السنة بالأسانيد الصّحاح)، فإنّه بطريق أولى أن لا يُقَارَنَ مع غيرهم.

روى الخطيب البغدادي:

عن أبي الطفيل قال: شهدتُ عليّاً، وهو يخطب، وهو يقول: «سلوني، والله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلاَّ حَدَّثْتُكُمْ به»^(٤). وروى أيضاً:

قال علي عليه السلام: «سلوني عن كتاب الله، فوالله، ما مِن آيةٍ إلاَّ أَنِّي أَعْلَمُ أَلْبَلِيلٍ نَزَلَتْ أَمْ بنهار، أَمْ في سَهْلٍ أَمْ في جَبَلٍ»^(٥).

فالسند صحيح، والقائل هو نفس رسول الله وأخوه وَصِيّه وأُميرُ المؤمنين علي عليه السلام، بالتالي لا يُمكن لأحد رُدُّ هذه الروايات، وما علينا إلاَّ التّسليم لها والاحتذاء بها. وها هو علي عليه السلام يُقسم بالله أنّه يعلم مكانَ وزمانَ نُزولِ كلّ آيةٍ من القرآن الكريم،

١. سورة النساء: ٩٣.

٢. سورة الشعراء: ٢٧٧.

٣. المستدرک على الصحيحين بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية بيروت ج ٣/ ص ١٣٨، قال: صحيح على شرط الشيخين.

٤. كتاب الفقيه والمُتَفَقُّه للخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٢. تحقيق عادل بن يوسف العزازي. دار ابن الجوزي ج ٢/ ص ٣٥١. قال: إسناده صحيح. والمستدرک على الصحيحين مج ٤ ص ٤٢١ قال الحاكم: صحيح. ومصنف ابن أبي شيبة مج ٨ ص ٥٧٤.

٥. نفس المصدر السابق ج ٢/ ص ٣٥٢. قال: إسناده صحيح. وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٤٦٤ قال الزهري: إسناده صحيح. ومسند الشافعي ٩٦/٢.

أَقْبَلُ يُمكن لعاقلي مُنصفٍ أن يُقارن بين هذا الذي رُقِيَ العلمُ رَقاً، وبين من يجهل أحكام القرآن وتفسيره وناسخه من منسوخه ومُحكّمه من مُتَشَابِهه...؟
وقد ذكر ابن عبد البرّ هذه الرّواية بإضافةٍ حيثُ جاء:

عن أبي الطفيل قال: «شَهِدْتُ عليّاً رضي الله عنه وهو يخطب ويقول: «سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلّا حدّثْتُكم به، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما منه آيةٌ إلّا وأنا أعلمُ بليلٍ نزلت أم بنهار أم بسَهْلٍ نزلت أم بجبلٍ». فقام ابنُ الكوّاء وأنا ببينه وبين عليّ رضي الله عنه فقال: ما «والذاريات ذرواً، فالحاملات وقرأ، فالجاريات يسراً فالمقسمات أمراً»^(١)؟ قال ﷺ: «ويلك، سَلْ تَقْفُهَا وَلَا تَسَلْ تَعْتَأْ، الذاريات ذرواً: الرّيح والجاملات وقرأ: السّحاب. والجاريات يسراً: السُّفن. والمقسمات أمراً: الملائكة»^(٢).

وقد أخرج أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي في مسنده:
عن أبي الطفيل قال: قال عليّ بن أبي طالب: «سَلُونِي فَإِنكُمْ لَا تَسْأَلُون بَعْدِي مِثْلِي»^(٣).
روى ابن أبي شيبه في مصنّفه:

حدّثنا عَبْدُ اللَّهِ بن سليمان عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: قلْتُ لعطاء: كان في أصحاب رسول الله ﷺ أَحَدٌ أَعْلَمُ من عليّ ﷺ؟ قال: لا، والله ما أعلمه^(٤).
جاء في كتاب تخريج أحاديث إحياء علوم الدين:
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لفاطمة الزهراء ﷺ: «أما ترضين أنّي زَوْجُكَ أَقْدَمُ أَمْتِي سَلِمَاً وَأَكْثَرُهُمْ عِلْماً وَأَعْظَمُهُمْ حِلْماً»^(٥).

فكلّ هذه الأحاديث الصحيحة تصرّح بأنّ عليّاً ﷺ أعلم الناس.
وما عسانا أن نقول في رجل ورث علم النبيّ الأكرم ﷺ؟ وهذا ما رواه الحاكم في مستدرّكه:

١. سورة الذاريات: ٤١.
٢. جامع بيان العلم وفضله ليوسف بن عبد البرّ المتوفّى ٤٦٣. بتحقيق أبي الأشبال الزهيري. دار ابن الجوزي ج ١/ص ٥٦٤ قال: إسناده صحيح. وقد أخرجه الحاكم في المستدرّك ج ٢/ص ٤٦٦. ٤٦٧.
٣. مسند أبي سعيد الهيثم بن كليب الشاشي ج ٢/ص ٩٦. وأبو سعيد الشاشي توفّى سنة ٣٣٥. قال عنه الذهبي: الإمام الحافظ الثقة الرّحال أبو سعيد صاحب المُسند الكبير. وانظر المستدرّك على الصحيحين المجلد الرابع ص ٤٢١. قال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يُخرجاه. وصحّحه الذهبي.
٤. مصنّف ابن أبي شيبه، مكتبة الرشد ج ١١/ص ١٤٨.
٥. مجمع الزوائد ١٠٢/٩ قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني وفيه خالد بن طهّان وثقه أبو حاتم وغيره وبقيّة رجاله ثقات. ومصنّف ابن أبي شيبه [٣١٥١٤] والأحاد والمثاني لابن أبي عاصم [١٦٨] ومصنّف عبد الرزاق الصنعاني [٩٥٠٠] تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقي والسبكي والزبيدي، إستخراج محمود بن محمد الحداد ج ٤/ص ١٩٥٥. قال: إسناده صحيح. وهو حديث متواتر.

عن ابن عباس قال: كان عليٌّ يقول في حياة رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَفْانِ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، وَاللَّهُ لَا يَنْقَلِبُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ، وَاللَّهُ لَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَأَقَاتِلَنَّ عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ حَتَّى أَمُوتَ، وَاللَّهُ إِنِّي لِأَخُوهُ وَوَلِيَّهُ وَابْنُ عَمِّهِ وَوَارِثُ عِلْمِهِ، فَمَنْ أَحَقُّ بِهِ مِنِّي؟»^(١).

وروى أيضاً:

عن أبي إسحاق قال: سألت قثم بن العباس: كيف ورث عليٌّ رسولَ الله دونكم؟ قال: لَأَنَّهُ كَانَ أَوْلَانَا بِهِ لِحَوْقاً وَأَشَدَّنَا بِهِ لِرَوْقاً^(٢).

إِذْنٌ فَقَدْ ثَبِتَ أَنَّ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ وَارِثُ عِلْمِ النَّبِيِّ وَأَخُوهُ وَوَلِيُّهُ وَأَعْلَمُ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ. فَالْوَيْلُ لِمَنْ حَارِبَهُ وَعَادَاهُ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ نَصَبَ لَهُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَ. لَأَنَّهُ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. جَاءَ فِي طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ:

قال محمد بن منصور الطوسي: كُنَّا عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا تَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رُوِيَ أَنَّ عَلِيّاً قَالَ: «أَنَا قَسِيمُ النَّارِ»؟، فَقَالَ: وَمَا تُنْكِرُونَ مِنْ ذَا؟، أَلَيْسَ رُؤِينَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيْنَ الْمُؤْمِنُ؟ قُلْنَا: فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: فَأَيْنَ الْمُنَافِقُ؟ قُلْنَا: فِي النَّارِ، قَالَ: فَعَلِيٌّ قَسِيمُ النَّارِ^(٣).

قال ابن الأثير في التَّهْمَةِ:

وَفِي حَدِيثِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنَا قَسِيمُ النَّارِ» أَرَادَ أَنَّ النَّاسَ فَرِيقَانِ: فَرِيقٌ مَعِيَ فَهَمُ عَلَى هُدًى، وَفَرِيقٌ عَلَيَّ، فَهَمُ عَلَى ضَلَالٍ، فَتَنَصَّفُ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ، وَتَنَصَّفُ عَلَيَّ فِي النَّارِ. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: قِيلَ: أَرَادَ بِهِمُ الْخَوَارِجَ، وَقِيلَ: كُلُّ مَنْ قَاتَلَهُ^(٤).

١. المستدرک علی الصحیحین ج ٣/ ١٣٦. وجمع الزوائد ٩/ ١٣٤ قال الميمني: رواه الطهراني ورجاله رجال الصحيح.

٢. نفس المصدر السابق، قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص.

٣. طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى الفراء، بتحقيق أحمد عبيد ص ٢٣٢. وكتاب الأمالي للمرشد الحسيني الشجري الجرجاني ج ١/ ص ١٧٧. وبغية الطالب في تاريخ حلب لابن العديم ج ١/ ص ٢٨٩. وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى لأبي الفضل عياض البحصي ج ٢/ ص ٣٣٨. والفاثق في غريب الحديث للزحسري ج ٣/ ص ١٩٥.

٤. التَّهْمَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ٧/ ص ٣٣٩.

عليّ عليه السلام باب مدينة علم الرسول

أخرج الحاكم في مستدركه:

عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»^(١).

وقد ورد في كتاب «سبل الهدى والرشاد»:

قال ابن عباس: أعطني عليّ تسعة أعشار العلم، ووالله لقد شاركهم في العشر الباقي، وإن ثبت لنا الشيء عن عليّ لم يعدل عنه إلى غيره^(٢).

ذكر الفخر الرازي في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ

١. المستدرک علی الصحیحین ج ٣/ ص ١٣٨ قال: حدیث صحیح. وانظر الفوائد المجموعة لمحمد بن علي الشوكاني ص ٣٤٩ قال: حدیث حسن. واللائق المصنوعة للسيوطي ج ١/ ص ٣٠٥ قال: حدیث حسن. وكنز العمال للمتقي الهندي ج ١٣/ ص ١٤٩ قال: حدیث صحیح. والمعجم الكبير للطبراني ج ١١/ ص ٦٥ وجمع الزوائد للمهيمني ج ٩/ ص ١١٤ ورجالہ ثقات. وتاريخ دمشق لابن عساکر ج ٤٢/ ص ٣٨٠ قال: حدیث صحیح. وكتاب النقد الصحیح للعلائي ج ١/ ص ٥٥ قال: حدیث حسن. وتهذيب الآثار للطبري ج ٣/ ص ١٠٤ قال: حدیث صحیح. والمقاصد الحسنة للسخاوي بتحقيق عبد الله محمد الصديق ص ٩٨ قال: حدیث حسن بل صحیح. كما أخرجه ابن حجر الهيتمي في صواعقه وقد علّق عليه بالحديث الحسن لكثرة طرقه. وانظر كتاب مختصر المقاصد الحسنة للزرقاني ص ٧٩ قال: حدیث حسن. وانظر كتاب فتح الملك العلي بصحة حدیث باب مدينة العلم عليّ لأحمد بن محمد بن الصديق ص ٥ قال: هذا الحديث بمفرده على شرط الصحیح.

٢. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد يوسف الصالحی الشامي ج ١٢/ ص ٢٤٨. وانظر أيضا تهذيب الأسماء واللغات للحافظ النووي ج ١/ ص ٣٤٦. وانظر الاستيعاب ج ٣/ ص ٤٠، وأسد الغابة ج ٤/ ص ١٠٠ رقم ٣٧٨٣، والرياض النضرة ج ٣/ ص ١٤١.

عمرانَ على العالمين^(١)، قال: قال عليٌّ (عليه السلام): عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَاسْتَنْبَطْتُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ، قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِي: فَإِذَا كَانَ حَالُ الْمَوْلَى هَكَذَا، فَكَيْفَ حَالُ النَّبِيِّ ﷺ؟^(٢)

نقول: نعم، إذا كان هذا حالُ أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعلمه وفضله، فكيف حالُ سيّد البشر محمّدٍ ﷺ؟

عن عبد الله بن مسعود قال: إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، مَا مِنْهَا حَرْفٌ إِلَّا لَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) عِنْدَهُ عِلْمُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ^(٣).

قال أبو عبد الرحمن وهو عبد الله بن أحمد بن حنبل: وَجَدْتُ فِي كِتَابِ أَبِي بَخْطَ يَدِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ (حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ لِفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ)، قَالَ: أَوْ مَا تَرْضِيَنِ أَنِّي زَوَّجْتُكَ أَقْدَمَ أَمْتِي سِلْمًا، وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا، وَأَعْظَمَهُمْ جِلْمًا^(٤).

والحديث المذكور في ص ١٢٦ عن سعد بن أبي وقاص: «أَلَمْ يَكُنْ أَعْلَمَ النَّاسَ؟». فهذه شهادة صحابيٍّ على أن عليّاً (عليه السلام) أعلم الناس.

روى ابن سعد في طبقاته:

عن جبلة بنت المصفتح، عن أبيها: قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ (عليه السلام): يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ سَلْنِي عَمَّا قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَإِنَّا نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ^(٥). وَرَوَى أَيْضًا:

عن عبد الملك بن سليمان، قال: قُلْتُ لِعَطَاءٍ: أَكَانَ فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَعْلَمُ مِنْ عَلِيٍّ (عليه السلام)؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ^(٦).

وَجَاءَ فِي كِتَابِ الْعَمَالِ:

عن عليٍّ (عليه السلام) قَالَ: «وَاللَّهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ فِيمَا نَزَلَتْ وَعَلَى مِنْ نَزَلَتْ، إِنَّ رَبِّي وَهَبَ لِي قَلْبًا عَقُولًا وَلِسَانًا طَلْقًا سَوْلًا»^(٧).

١. سورة آل عمران: ٣٣.

٢. التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٨/ ص ٢١، وكنز العمال ج ١٣/ ص ١١٤ ح ٣٦٣٧٢. وانظر تاريخ دمشق ج ٢/ ص ٨٥ في ترجمة أمير المؤمنين عليٍّ (عليه السلام).

٣. ترجمة الإمام عليٍّ (عليه السلام) من تاريخ دمشق ج ٣/ ص ٣٢ ح ١٠٥٧، وفيض القدير ج ٣/ ص ٤٦.

٤. مسند أحمد ج ٥/ ص ٦٦٢ ح ١٩٧٩٦، وكنز العمال ج ١٣/ ص ١١٤ ح ٣٦٣٧٠. والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٠/ ص ٥٣٨.

٥. الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦/ ص ٢٤٠.

٦. أسد الغابة ج ٤/ ص ١٠٠ رقم ٣٧٨٣. والاستيعاب ج ٣/ ص ٤٠. وفيض القدير ج ٣/ ص ٤٧، والرياض النضرة ج ٣/ ص ١٤١.

٧. طبقات ابن سعد ج ٢/ ٣٣٨. وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٢/ ٣٥١. وتاريخ دمشق ج ٤٢/ ٣٩٨. وشواهد

وذكر ابن عساكر في تاريخه اعتراف عائشة بأعلمية علي عليه السلام، وهي نفسها التي خرجت عليه وحاربت في معركة الجمل، بعدما قرأت قوله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ»^(١).

عن عطاء عن عائشة قالت: «علي أعلم الناس بالسنة»^(٢).

وإن الإنسان المنصف ليقف وقفة تأمل وتدبر في علم هذا الإمام، لكننا نكتفي بقوله عز وجل: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»^(٣).

وقال أيضاً: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ»^(٤).

إذاً فمن أراد العلم فليأت الباب، ومن أراد دخول مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله بالدخول من باب أمير المؤمنين علي عليه السلام.

فلا ندري كيف عدل الصحابة عن باب مدينة علم الرسول الأكرم وتمسكوا بغيره حتى تاهوا وضلوا وأضلوا، وهذا ليس كلامنا نحن، إنما كلام سيد الخلق حينما وعدنا بعدم الوقوع في الضلال إن نحن تمسكنا بالثقلين، والعكس صحيح. وباليتم تمسكوا بهما، فوالله لو أنهم فعلوا ذلك لعاش المسلمون في رغد وهناء وأمن وسلام إلى يوم يُبعثون، ولما ظهرت الفرق والمذاهب والبدع والخرافات.

هذا هو علم الإمام عليه السلام، فدلونا على غيره ممن كان له هذا العلم حتى تتمسك به ونجعله إمامنا وقدوتنا.

نقول: هذا غيض من فيض، فإذا كان أبو بكر وعمر قد منعا تدوين حديث رسول الله، واستمر ذلك لمدة قرن تقريباً. وقد سار على نهجهم معاوية بن أبي سفيان الذي كان يلعن علياً عليه السلام على المنابر ويأمر الوضّاعين بوضع أحاديث تقدر في علي عليه السلام، بل وصل به الأمر إلى قتل كل من سعي علياً ومع ذلك فقد وصلنا من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ما لم يصلنا من فضائل غيره، وهذا تماماً ما صرح به أحمد بن حنبل والحاكم النيسابوري في مستدركه، قال تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نَوْرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»^(٥).

التنزيل للحسكاني ٤٥/١. والصواعق المحرقة ص ١٢٧. وكثر العيال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي

الهندي ج ١٣/ ص ١٢٨.

١. سورة الأحزاب: ٣٣.

٢. تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢/ ص ٤٠٨.

٣. سورة الزمر: ٩.

٤. سورة الأنعام: ٥٠.

٥. سورة التوبة: ٣٢.

زهد علي عليه السلام

١٠٧

لا يختلف اثنان في زهد الإمام علي عليه السلام، فهو الذي كان يُطعم المساكين واليتامى من ماله الخاص، وكان لا يترك مال بيت المسلمين ليوم غد، بل يوزّعه على الفقراء والمحتاجين، ويبيت جائعاً وهو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين.

ويكفيها شاهداً هنا ما أقرّ به سعد بن أبي وقاص حينما قال لذلك الرجل الذي كان يشتم علياً عليه السلام فقال له سعد: يا هذا على ما تشتم علي بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟^(١)

والشاهد هنا قول الصحابي: «ألم يكن أزهد الناس؟». فهذا تصريح جلي من صحابي كبير، والسند صحيح، بالتالي ثبت كون علي عليه السلام أزهد الناس.

روى هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بالخورنق، وكان فصل الشتاء وعليه خلق قطيفة هو يبرد فيها، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً وأنت تفعل ذلك بنفسك؟ فقال عليه السلام: «والله ما أرزأكم شيئاً، وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة»^(٢).

ولعمري إن الرجل لا يمكنه الوصول إلى هذه الدرجة من الزهد إلا إذا كان غارقاً في معرفة الله وطاعته، عارفاً بحقيقة هذه الدنيا الفانية، وقد شهد الكل بزهد علي عليه السلام حتى

١. المستدرک علی الصحیحین بتحقیق مصطفیٰ عبد القادر عطا ج ٣/ ص ٥٧١. قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص.

٢. تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢/ ص ٤٧٧، تحت رقم ٤٩٣٣. والكامل في التاريخ ج ٣/ ص ٤٠٠.

قال فيه عمر بن عبد العزيز: «أزهدُ الناس في الدنيا عليُّ بن أبي طالب»^(١).
وسنختم هنا بذكر ما قاله الحافظ النووي في كتابه «تهذيب الأسماء واللغات» في
علم عليٍّ عليه السلام وزهده، حيث قال: «وسؤال كبار الصحابة ورجوعهم إلى فتاويه وأقواله
في المواطن الكثيرة والمسائل المعضلات مشهور، وأما زهده فهو من الأمور المشهورة التي
اشترك في معرفتها الخاصُّ والعامُّ^(٢)».

١. تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٠٢. والمناقب للخوارزمي ص ١١٧. الفصل العاشر في بيان زهده عليه السلام.
والخوارزمي توفي سنة ٥٦٨. وهو تلميذ الزنجشري.
٢. تهذيب الأسماء واللغات للحافظ النووي ج ١/ ص ٣٤٦.

عصمة علي عليه السلام

قد يستغرب البعض حينما يسمع بعصمة علي عليه السلام، ويقول إن العصمة لا تكون إلا للأنبياء.

والمعروف أن على المدعي إقامة الدليل على دعواه وإلا صارت باطلة، ولذلك سنشرع بذكر بعض الأدلة العقلية والنقلية على عصمته عليه السلام.

الأدلة العقلية على وجوب كون الخليفة معصوماً،

- يجب كون خليفة رسول الله ﷺ معصوماً عن الخطأ حتى يكون قدوة للناس في كل شيء، فلو لم يكن كذلك لجاز منه الخطأ، وقد يأمر رعيته بذلك، كما قد يأمرهم بمعصية الله (ولو من غير قصد)، وهذا نقض الغرض الذي من أجله جعل الله لنا أئمة نقتدي بهم للوصول إلى طاعة الله وبر الأمان.

ولو قال قائل: لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قلنا: نعم، هذا صحيح في حال ما إذا عرفنا كل موارد العصيان. أي إذا علمنا دائماً بأن قيامنا بهذا الفعل مثلاً يُعدُّ معصية للخالق، أو أن تركنا لفعل ما يُعدُّ كذلك. لكن هذا ما لا يمكن وقوعه خارجاً، إذ إنه لا يمكننا دائماً معرفة أن هذا الإمام قد أخطأ، بالتالي يجب عصيانه ومخالفته، أو أنه أصاب فتجب طاعته، وإلا لما احتجنا إلى الأنبياء والرسل والأئمة إلا إذا كنّا في نفس مستواه العلمي أو أعلى منه. وكلتا الحالتين باطلة لأنه مادام الرعية والإمام في نفس المستوى العلمي يبطل كونه إماماً لهم وخليفة عليهم، ومثاله أن التلميذ لا يمكنه غالباً والحال هذه من معرفة ما إذا كان أستاذه قد

أخطأ أم لا، والسبب راجع إلى التفاوت العلمي الحاصل بينهما.
- يجب كونه معصوماً عن الخطأ حتى يكون حجةً على الخلق يوم القيامة، فلو لم يكن كذلك لجاز لنا الخطأ أيضاً، ثم حينما نُسأل يوم الحساب: لماذا أخطأتم؟ نقول وبكل بساطة: إن الإمام الذي أرسلته لنا قد أخطأ مثلنا، بالتالي إما أن لا نحاسب أو أن نحاسب إمامنا أيضاً، ولا أتصور عاقلاً يقول بأن الله تعالى سيحاسب رسله وأنبيائه. والإمام هو رسولٌ من الله لهداية البشر بعد النبي الأكرم ﷺ، (فكلُّ من يُرسل من السماء يُسعى رسولا).

- يجب كونه معصوماً حتى ترجع إليه الرعية في أمور دينها ودنياها، فلو لم يكن كذلك لوجب عليه هو الرجوع إليهم بالتالي بطل كونه خليفة وإماماً لهم.
- يجب كونه معصوماً حتى يحفظ دين الله وكتابه من التحريف والأباطيل، فلو لم يكن كذلك لجاز منه أن يحرف القرآن أو يزيد في الدين ما ليس منه، ولو من غير قصد. وهذا نفي الغرض من إرسال الأئمة لهداية الناس.

الأدلة النقلية على عصمة الإمام ﷺ

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١).
فإنه سبحانه نهانا عن المعصية، فلو لم يكن الإمام معصوماً لجاز أن يأمرنا بمعصية الله، بالتالي فلو أطعناه هنا نكون قد عصينا الله، حيث إنّه تعالى نهانا عن معصيته، ولو عصينا الإمام نكون أيضاً قد عصينا الله الذي أمرنا بطاعة الإمام (ولي الأمر)، بالتالي وجب كونه معصوماً.

والمُتَّفَق بين جميع المسلمين أنّه لم يكن أحدٌ من السلاطين الثلاثة الأوائل معصوماً ولا أحد من بني أمية أو بني العباس. بالتالي لا يصحّ كون أحدهم ولياً للأمر.
إذن فكلُّ من ثبت بالدليل أنّ النبي ﷺ عيّنه إماماً وولياً على المسلمين وجب كونه معصوماً. وسيأتي ذكر الدليل أن علياً عليه السلام هو ولي رسول الله ﷺ.

آية التطهير

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢).
الرِّجْسُ لغةً يأتي بمعنى الحرام والخطأ والعذاب، تقول: أتى رجساً: أي أتى عملاً

١. سورة النساء: ٥٩.

٢. سورة الأحزاب: ٣٣.

ذَينِئاً، قَذِراً، قَبِيحاً. تقول: رَجَسَ فلانٌ: عمل عملاً قبيحاً. والرجس هو الإثم والذنب^(١).

فإذا علمنا أَنَّ الرِّجْسَ هو الحرام والعمل الدنئ والقبيح والخطأ، فيلزم من هذا عصمة الشخص المجتنب لهذه الصفات، لأنَّ كل المسلمين مبتلون بالوقوع في الخطأ والحرام وعمل القبيح سوى المعصوم الذي عصمه الله وطهره من هذه الصفات القبيحة. وهذا الجزء من الآية الكريمة فيه تصريح من الله تعالى على أَنَّهُ أذهب الرجس عن أهل البيت^(عليه السلام)، بل وطهرهم تطهيراً. ومن طهره الله وأذهب عنه الرِّجْسَ لا يمكنه الوقوع في الحرام أو فعل القبيح، بالتالي وجب كونه معصوماً مطلقاً.

ولا يختلف اثنان في أَنَّ عَلِيّاً^(عليه السلام) من أهل البيت، وهو مشمول في هذه الآية، بالتالي وجب كونه معصوماً.

أما الدليل على أَنَّ الإرادة هنا تكوينية لا تشريعية:

أولاً: الحصر، فإنَّ كلمة (إنما) تستعمل في اللغة للحصر، وهذا يعني أَنَّ الله تعالى حصر إرادته التكوينية في هؤلاء، فلا تكون الإرادة هنا تشريعية لأنَّ الله يريد من جميع الناس أن يكونوا طاهرين مطهرين، ولا تختص هذه الإرادة (التشريعية) بفئة دون أخرى. ومثالها أَنَّ الله تعالى يريد من الناس جميعاً أن يصلوا ويصوموا و.... وليست إرادته هذه خاصة بأهل البيت عليهم السلام. والإرادة التشريعية قد تتخلف عن إرادة الله، بخلاف الإرادة التكوينية.

ثانياً: لو كانت الإرادة هنا تشريعية لقال تعالى مثلاً: «إنما يريد الله ليذهب عن الناس الرجس؟» أو «عن المسلمين» لأنَّ الله يريد من جميع الناس أن يكونوا طاهرين مطهرين. لكنه تعالى خصَّ أهل البيت^(عليه السلام) فقط بهذه الإرادة، ولا يمكن أن يقول قائل إنه تعالى أراد فقط من هؤلاء أن يكونوا طاهرين مطهرين.

ولو قيل: من هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؟ قلنا: قد وردت أسماء أهل البيت^(عليه السلام) صريحة في الصحاح وهاك بعضها: أخرج مسلم في صحيحه بسنده إلى عائشة قالت:

«خرج النبي^(صلى الله عليه وآله) غداةً وعليه مرطٌ مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليٍّ فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»^(٢).

جاء في كتاب «در السحابة»:

عن أم سلمة قالت: نزلت هذه الآية وأنا جالسة على باب النبي: «إنما يريد الله ليذهب

١. فتح القدير للشوكاني ١١٦٧/١ وفتح الباري ١/١٢١.

٢. صحيح مسلم ج ٧/ ص ١٣٠.

عَنْكُمْ الرَّجَسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»، وفي البيت رسول الله وعليٌ وفاطمة والحسن والحسين، فجعلهم بكساء وقال: «اللهم هؤلاء أهلُ بيتي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرَّجَسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً». فقلت: يا رسول الله ألسْتُ من أهل البيت؟ قال: «إِنَّكَ إِلى خَيْرٍ، أَنْتَ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ»^(١).

أنظر إلى قول النَّبِيِّ ﷺ: «اللهم هؤلاء أهلُ بيتي»، فإنَّ النَّبِيَّ خَصَّ أَهْلَ الْبَيْتِ بِهَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ. ولم يقل: «هؤلاء من أهل بيتي»، والعارفون باللغة لا يخفى عليهم هذا الفرق. و(إنما) تفيد الحصر في اللغة، فهذا يعني أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ في ذلك الوقت كانوا أربعة أشخاص (بالإضافة إلى النبي) لا أَقْلَ ولا أَكْثَرَ.

جاء في مسند أحمد بن حنبل:

عن أنس بن مالك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمُرُّ بِبَيْتِ فَاطِمَةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْفَجْرِ فيقول: «الصَّلَاةُ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ» (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)^(٢).

والسؤال هنا: إذا كانت نساء النبي من أهل بيته، فلماذا لم يرد حديث واحد في كتب القوم أن النبي ﷺ مرَّ يوماً ما على أحد بيوت أزواجه وتلى هذه الآية؟

ولماذا لم تدع واحدةً من نساء النبي ﷺ يوماً أنها من أهل البيت؟

جاء في صحيح سنن الترمذي:

عن عمر بن أبي سلمة (ريبب النبي ﷺ)، قال: لما نزلت هذه الآية على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً، فجعلهم بكساء وعليٌ خلف ظهره، فجعلهم بكساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرَّجَسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: «أَنْتِ عَلَى مَكَانِكَ وَأَنْتِ إِلى خَيْرٍ»^(٣).

ذكر الطحاوي^(٤) في كتابه "تحفة الأخيار" مايلي:

فدلَّ ما رويناه في هذه الآثار ممَّا كان من رسول الله إلى أم سلمة ممَّا ذكر فيها، لم يُرد به أنَّها كانت ممن أُريد به ما في الآية المتلوَّة في هذا الباب، وأنَّ المرادين بما فيها هم رسول

١. دَر السحابة في مناقب القراية والصحابه لمحمد بن علي الشوكاني. ص ٢٦٦.

٢. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق حمزة أحمد الزين ج ١١ / ص ٢٥٧، قال: إسناده حسن.

٣. صحيح سنن الترمذي ج ٥ / ص ٣٢٨، كتاب تفسير القرآن، دار الفكر، بيروت. قال الألباني: صحيح.

٤. أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، تفقَّه على المذهب الشافعي ثم تحوَّل حنفيًا. قال عنه الذهبي: كان الطحاوي ثبَّاً فقيهاً عاقلاً.

الله وعليّ وفاطمة وحسن وحسين عليهم السلام دون من سواهم^(١).

وقال عنه السيوطي: الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة.

فإذا كانت أم سلمة ليست داخلّة في أهل البيت الذين نزلت فهم آية التطهير مع أنّها كانت مطيعة لله ورسوله وقرّت في بيتها ولم تخرج لقتال أمير المؤمنين، فما بال غيرها من نساء النّبي صلى الله عليه وآله؟

جاء في كتاب "إرشاد الفحول":

قيل بأنّ سياق الآية يفيد أنّها في نسائه عليهم السلام، ويُجاب عن هذا: بأنّه ورد الدليل الصحيح أنّها نزلت في عليّ وفاطمة والحسّين. وقد أوضحنا الكلام في هذا في تفسيرنا الذي سمّيناه "فتح القدير"، فليرجع إليه^(٢).

وخير دليل على أن نساء النبي صلى الله عليه وآله لسن من أهل البيت هو أن مسلم بن الحجاج النيسابوري لم يذكر في باب فضائل أهل البيت عليهم السلام إلا حديثاً واحداً ألا وهو حديث الكساء الذي فضل السيدة فاطمة الزهراء والإمام علي والحسن والحسين عليهم السلام.

ولو كانت نساء النبي صلى الله عليه وآله داخلات في أهل بيته لكان مسلم قد ذكر فضائلهنّ تحت هذا الباب، وهذا ما لم يكن.

ثم إنّ لو كانت النساء داخلات في أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله لصار كلام رسول الله متناقضاً (وحاشاه).

إذ أن مسلم قد روى في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أوصيكم الله في أهل بيتي أوصيكم الله في أهل بيتي أوصيكم الله في أهل بيتي».

والمعلوم أن عائشة خرجت في معركة الجمل تقاتل علياً عليه السلام الذي هو من أهل البيت حتماً وبقيناً. فلو أنّا كنا حاضرين في تلك المعركة فلا يخلو أمرنا من إحدى حالات ثلاث:

الأولى: إما أن لا نشارك في الحرب أصلاً ونختار الحياد مثلما فعل سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وغيرهما، فهنا مشكلتان، الأولى هي عدم إطاعة خليفة المسلمين وولي أمرهم علي عليه السلام الذي أمر المسلمين بالمشاركة في هذه الحرب لقتال الناكثين، والله تعالى يقول في محكم كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. أما المشكلة الثانية فهي عدم الإمتثال لوصية النبي صلى الله عليه وآله حينما أوصانا خيراً في أهل بيته، فكيف يترك المسلم أهل البيت (الإمام علي وعائشة على حسب الزعم) في المعركة ولا ينصرهم؟

الثانية: أن نكون في جيش الإمام علي عليه السلام، وهنا نقع في محذور ألا وهو قتالنا لأهل

١. تحفة الأخيار بترتيب شرح مشكل الآثار. المجلد الثامن. ص ٤٧٦.

٢. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول لمحمد بن علي الشوكاني ج ١/ ص ٣٩٦.

البيت (عائشة على حسب الفرض) وهذا مخالف لوصية النبي الذي أوصانا خيراً بأهل بيته ولم يوصنا بقتالهم.

الثالثة: أن نكون في جيش عائشة ونحارب خليفة المسلمين علياً عليه السلام، وهنا الطامة الكبرى. فمن جهة نكون قد خالفنا كلام الله بوجوب طاعة ولي الأمر، ونكون قد خالفنا أيضاً وصية النبي حينما قال: "أوصيكم الله في أهل بيتي"، ونكون قد خرجنا من دائرة الإيمان إلى دائرة النفاق بقتالنا لعلي عليه السلام الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "أن لا يبغضك إلا منافق". فإن بغض علي عليه السلام كافٍ في صيرورة الإنسان منافقاً فما بالنا بقتاله وحره؟ ومن الواضح أن الإنسان قد يبغض شخصاً ما لكن ليس بالضرورة أن يدفعه هذا البغض إلى قتاله وإلى انتقال هذه الحالة القلبية إلى الفعل الخارجي. أما قتال الشخص فيكون مسبوقاً بالبغض قطعاً. وبالجملّة نقول:

ليس كل بغض يؤدي إلى قتال. لكن كل قتال يكون مسبوقاً ببغض.

إذاً فكل من قاتل علياً عليه السلام يكون قلبه قد امتلأ بغضاً للإمام علي. والنبي صلى الله عليه وسلم قال: يا علي لا يبغضك إلا منافق. فنسأل الله العافية وحسن الخاتمة.

هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من حمل علينا سلاحاً فليس منا" (١).

فهاهي عائشة قد حملت السلاح في وجه علي عليه السلام الذي هو من النبي حيث قال لعلي عليه السلام: "أنت مني وأنا منك" (٢).

فيما أنّ علياً عليه السلام من أهل البيت فإنه معصوم بصريح هذه الآية.

وأما الأحاديث الصحيحة في عصمته عليه السلام فكثيرة لا يسع المجال هنا لذكرها كلّها لكننا سنتعرض لبعضها والتي تدلّ صراحةً على عصمة الإمام علي عليه السلام.

١. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي من حمل علينا سلاحاً فليس منا. وهو حديث متواتر.

٢. صحيح البخاري ج ٥/ ص ٢٢. وهو حديث متواتر.

من أطاع علياً فقد أطاعني

روى الحاكم في مستدركه:

أخبرنا أبو أحمد محمد بن محمد الشيباني من أصل كتابه، ثنا علي بن سعيد بن بشير الرازي بمصر، ثنا الحسن بن حماد الحضرمي، ثنا يحيى بن يعلى، ثنا بسام الصيرفي، عن الحسن بن عمرو الفقيهي، عن معاوية بن ثعلبة، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني"^(١).

لقد قرن النبي الأكرم ﷺ طاعة علي عليه السلام بطاعته، ومعصيته بمعصيته، وطاعة الرسول من طاعة الله ومعصيته من معصية الله، إذا فمن أطاع علياً فقد أطاع الله، ومن عصى علياً فقد عصى الله، وبما أن طاعة علي عليه السلام مقرونة بطاعته عز وجل، فيلزم إذاً كون علي عليه السلام معصوماً من الخطأ والزلل، وهذه العصمة مطلقة لأن النبي لم يقيد في المقام، فلم يقل: من أطاع علياً في أمور السياسة أو الحرب مثلاً فقد أطاع الله. بل أطلق في كلامه، وهذا ما يدل على أن طاعة علي عليه السلام من طاعة الله مطلقاً.

ثم من هذا الشخص الذي إذا أطعناه نكون قد أطعنا الله، وإذا عصيناه نكون قد عصيناه الله، إلا أن يكون هذا الشخص معصوماً؟

وإنه لخير دليل على عصمة الإمام عليه السلام، ولا أتصور عاقلاً بعد هذا الحديث الصحيح ينكر عصمته سلام الله عليه، إلا من كان في قلبه مرض أو أعى الله بصره وبصيرته.

١. المستدرک علی الصحیحین ج ٣/ ص ٨٩. قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص. وانظر أيضاً كثر العمال للمتقي الهندي ج ١١/ ص ٦١٤.

الحق مع علي

١١٧

قال ابن تيمية: إن حديث «علي مع الحق» لم يروه أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم لا بإسناد صحيح ولا ضعيف..... ولو دار الحق مع علي حيثما دار لوجب أن يكون معصوما كالنبي صلى الله عليه وسلم.

فابن تيمية ينكر وجود هذا الحديث فضلا عن صحته. ويقول: لو صحَّ هذا الحديث لوجب كون علي عليه السلام معصوما كالنبي صلى الله عليه وسلم. فهل صحَّ هذا الحديث حتى يمكننا ادعاء العصمة لأمر المؤمنين عليه السلام؟

عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: لما سار علي إلى البصرة دخل على أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويودعها فقالت: "سر في حفظ الله وفي كنفه، فوالله إنك لعلی الحق والحق معك، ولولا أني أكره أن أعصي الله ورسوله فإنه أمرنا صلى الله عليه وسلم أن نفرّ في بيوتنا لسرت معك، ولكن والله لأرسلن معك من هو أفضل عندي وأعز علي من نفسي إبنی عمر" (١).

فهاهي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها تقسم بالله أن عليا عليه السلام مع الحق وأن الحق معه. ولولا أنها سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قالت ذلك. ثم نراها تقول بأنها لا تريد معصية الله ورسوله بالخروج من بيتها لأن الشارع نهاهن عن ذلك. ومنا هنا تبين أن المرأة التي خرجت لقتال أمير المؤمنين عليه السلام كانت عاصية لله ورسوله.

وفي مجمع الزوائد: عن أم سلمة رضي الله عنها أنها كانت تقول:

١. المستدرک للحاکم ٣/ ١٢٩ قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

”كان عليٌّ على الحقِّ، من اتَّبعه اتَّبع الحقَّ، ومن تركه ترك الحقَّ، عهدٌ معهود قبل يومه هذا“^(١).

وجاء في مسند أبي يعلى:

أخرج أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي في مسنده قال:

حدثنا محمد بن عباد المكي، حدثنا أبو سعيد، عن صدقة بن الربيع عن عمارة بن غزية، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد، عن أبيه قال: كنّا عند بيت النبي ﷺ في نَقَرٍ من المهاجرين والأنصار فخرج علينا فقال: ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى. قال: ”خياركم الموفون المطيّون، إنّ الله يحبُّ الخفيّ التقيّ، قال: ومَرَّ عليٌّ بن أبي طالب، فقال: ”الحقُّ مع ذا، الحقُّ مع ذا“^(٢).

كذلك جاء هذا الحديث على إطلاقه خالياً من التقيد، فلم يقل النبي ﷺ: الحقُّ مع عليٍّ في كذا أو في كذا، وهذا يعني أنّ الحقَّ مع عليٍّ مطلقاً، أي في كلّ زمان ومكان، وهذا ما لا يخفى على شخص له أدنى معرفة بعلم الأصول، ثمّ إن كان شخصٌ ما مع الحقِّ دائماً وأبداً فلا يمكن للباطل أن يأتيه، لا من بين يديه ولا من خلفه، لأنّ الحقَّ لا يأتيه الباطل. بالتالي ثبت كون عليٍّ عليه السلام معصوماً عصمةً مطلقة، ولا يحتاج هذا الحديث زيادة شرح وتوضيح، وذلك لوضوحه وقطعية دلالاته في عصمة الإمام عليه السلام. ومن هنا وبعدما ثبتت صحّة الحديث يتبيّن لنا اعتراف ابن تيمية بعصمة أمير المؤمنين عليه السلام ولو من حيث لا يشعر ولا يدري.

١. مجمع الزوائد ج ٩/ ص ١٣٤.

٢. مسند أبي يعلى الموصلي ج ٢/ ص ٣١٨ برقم: ١٠٥٢، وهذا الحديث أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧/ ص ٢٥٣ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات. وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ج ١١/ ص ٣٦٧ برقم: ٣٣٠١٨. وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ج ٩/ ص ٢٥٢ برقم: ٨٩٣١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ج ٤٢/ ص ٤٤٩.

عليّ مع القرآن والقرآن مع علي

١١٩

روى الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ"^(١).

وروى الحاكم في المستدرک بسنده عن أبي سعيد التيمي عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال:

كنت مع عليّ عليه السلام يوم الجمل^(٢)، فلما رأيت عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس، فكشف الله عني ذلك عند صلاة الظهر، فقاتلت مع أمير المؤمنين عليه السلام، فلما فرغ ذهبت إلى المدينة، فأتيت أمّ سلمة فقلت: إني والله ما جئت أسأل طعاماً ولا شرباً، ولكني مولى لأبي ذر، فقالت: مرحباً، فقصصتُ عليها قصّتي، فقالت: أين كنت حين طارت القلوب مصائرهما؟ قلتُ:

إلى حيث كشف الله ذلك عني عند زوال الشمس، قالت: أحسنت، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ"، لن يفترقا حتّى يردا على الحوض"^(٣).

لا يختلف اثنان من المسلمين في عصمة القرآن، وأنّ الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا

١. مجمع الزوائد ج ٩/ ص ١٣٤. والصواعق المحرقة لابن حجر الميمني ج ١/ ص ٣٦١. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٤٤.

٢. سُمّي كذلك لأنّ عائشة زوج النبي ﷺ خرجت من دارها على جمل تريد قتال أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عليّ عليه السلام. وقد اتجهت نحو البصرة بجيش جرّار، وانتهت المعركة بقتل الآلاف من أبناءها المؤمنين.

٣. المستدرک للحاكم ج ٣/ ص ١٢٤، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وأبو سعيد التيمي هو عقيضاء ثقة مأمون. ووافقه الذهبي. وانظر المعجم الأوسط للطبراني ج ٥/ ص ١٣٥.

من خلفه. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

وبما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَنَ عَلِيًّا ﷺ بِالْقُرْآنِ، فوجب كون عليٍّ ﷺ معصوماً، وإلا لما صحَّ أن يقرن النبيُّ شخصاً غيرَ معصوم بشيئ معصوم، لأنَّه من المتناقضات.

ثمَّ لو فرضنا عدم عصمة عليٍّ ﷺ، لأمكنه بالتالي أن يأمرنا بشيء يخالف القرآن، فلو أطعناه نكون قد خالفنا القرآن، ولو عصيناه نكون قد خالفنا أمر النبي الذي أمرنا بطاعة عليٍّ وَأَنَّ كلام عليٍّ كلام القرآن. وهذا هو التناقض. وحاشي النبي ﷺ أن يكون متناقضاً أو أن يأمرنا بذلك.

ودلالة هذا الحديث قطعيَّةٌ وواضحةٌ أيضاً في كون عليٍّ ﷺ معصوماً، والسند صحيح. والحمد لله رب العالمين.

وبعدما أثبتنا عصمة الإمام عليٍّ ﷺ، سننتقل إلى ذكر الأدلَّة النقلية التي نصَّت على إمامته ﷺ، وأنَّه الخليفة الشرعي بعد رسول الله ﷺ، وسنبداً بحول الله بعرض الأدلَّة من القرآن ثم نعقبها بأدلَّة السنَّة الشريفة.

إمامة علي عليه السلام في القرآن

١٢١

إمامة علي عليه السلام في القرآن

لقد ذكر القرآن الكريم عدّة آيات تدلّ على الإمامة العامة وأنها جعل من الله وليست جعلاً بالشورى ولا باختيار الناس، كما أنّ هناك آيات دلّت على الإمامة الخاصة، ونعني بها هنا إمامة علي عليه السلام. وسوف نبدأ بحثنا بذكر الإمامة العامة ثمّ نعقبها بالإمامة الخاصة والتي سنجمعها ونطرحها بطريقة منهجية توصلنا إلى نتيجة منطقية وعقلانية.

الإمامة العامة

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

يُستفاد من الآية الكريمة أنّ الإمامة مجعولة من قبل الله سبحانه وتعالى، لأنّ الآية قالت: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾، كما قال تعالى أيضاً: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢)، فالإمامة مجعولة من قبل الله سبحانه وتعالى وذلك كالنبوة والرسالة، لأنّه تعالى قال في سورة الأنعام: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٣). وكما قلنا سابقاً من أنّ الإمام مرسلٌ من الله للناس حتّى يرجعوا إليه بعد وفاة النبي ﷺ.

إذن نجد أنّ القرآن الكريم قد استعمل نفس الإصطلاح في الآيتين الأولىين ألا وهو الجعل.

١. سورة البقرة: ١٢٤.

٢. سورة البقرة: ٣٠.

٣. سورة الأنعام: ١٢٤.

وقد اتفقت كلمة علماء المسلمين، بل كلمة جميع الأديان السماوية أنّ النبوة أمر مجعول من قبل الله، لا يمكن أن تُنال بالإنتخاب ولا بالشورى ولا بأهل الحل والعقد ولا بأن: مُدَّ يدك حتى أبايعك. وذلك لأنّ النبوة أمر وعهد إلهي، ولذلك نجد أنّ القرآن الكريم قد استعمل نفس هذا الاصطلاح بالنسبة للإمامة الإبراهيمية.

إنّ الآية الكريمة: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ تدلّ على أنّ هذه الإمامة قد أُعطيت لإبراهيم عليه السلام بعد النبوة والخليفة، إذن فمن المحال أن تكون هذه الإمامة هي النبوة، باعتبار أنها تحصيل للحاصل، فالإنسان الذي كان نبياً لا معنى لأن يقول له الله: سأجعلك نبياً، ولا معنى لكونه نبياً ثمّ يتلبه الله بمجموعة من الإبتلاءات حتى يصبح نبياً. لأنّ الآية تقول: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَتْهُنَّ﴾، فهذه مجموعة من المراحل والإبتلاءات التي مرّ بها النبي إبراهيم عليه السلام حتى صار إماماً. والقرآن الكريم في سورة الصافات يقول: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾^(١) ذلك بعدما أمره بذبح ابنه إسماعيل وقد امتثل إبراهيم عليه السلام للأمر. ثم إنّه لا يُعقل أن تكون هذه الإمامة بمعنى القدوة والأسوة، فَنَبِيّ كإبراهيم من أنبياء أولي العزم وشيخ الأنبياء وشيخ التوحيد، فهو قدوة للناس وقومه بدون هذه الإبتلاءات، فالعالم يكون قدوة، والولي كذلك، فكيف بنبي من أنبياء الله العظام كإبراهيم الخليل الذي هو شيخ الموحّدين ونبي من أنبياء أولي العزم، فكيف يُعقل أنه إلى آخر عمره لم يكن أسوة وقدوة للناس؟ إذن فهذا المعنى غير مراد.

فإذا علمنا أن المراد من الإمامة هنا ليس النبوة ولا القدوة، إذن فهناك دور آخر وراء النبوة والقدوة، وهذا الذي نعتقد أنّ القرآن الكريم أشار إليه وهو أن هناك مقاماً في القرآن إسمه مقام الإمامة، له أدوار دينية وسياسية ومجموعة وظائف أكبر وأخطر من دور النبوة أشار إليها القرآن الكريم وذكرها كوظائف لمقام الإمامة.

ومن هنا صَحَّ القول إنّ مقام الإمامة أعظم من مقام النبوة، لأنّ إبراهيم كان نبياً ثمّ أصبح خليلاً وإماماً.

والإمامة عهد الله تعالى، لأنّ إبراهيم عليه السلام قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، فنرى أنّ إبراهيم عليه السلام طلب هذا الأمر لذريّته أيضاً، لكن الله لم يجبه بالنفي مطلقاً بأن قال مثلاً: إنّ الإمامة لا تكون لذريّتك. بل جاء الخطاب الإلهي: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. فنفى الله كونه الإمام ظالماً. وهذا مستمرٌّ إلى يوم القيامة. وفي المقابل فإنّ غير الظالمين من ذريّتك ينالون هذا العهد. وأمّا كون العهد هنا بمعنى الإمامة فقد اعترف بذلك جملة من كبار علماء أهل السنة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

قال الفخر الرازي في تفسيره: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ طلب للإمامة التي ذكرها الله تعالى، فوجب

أن يكون المراد بهذا العهد هو الإمامة لا النبوة ليكون الجواب مطابقاً للسؤال، وإلا إذا قلنا إن «عهدي» هي النبوة أو شيء آخر فلا يكون الجواب مطابقاً للسؤال لأن إبراهيم عليه السلام قال: «ومن ذريتي» يعني هذا الذي أعطيتني ووهبتني ومنحتني، أريد أن تعطيه لذريتي، فتصير الآية كأنه قال: (لا ينال الإمامة الظالمون) فهذا تصريح بهذا المعنى^(١).

كذلك ما ذكره الطبري في تفسيره قال: واختلف أهل التأويل ... وقال آخرون: معنى العهد: عهد الإمامة فتأويل الآية على قولهم: (لا أجعل من كان من ذريتك ظالماً إماماً لعبادي يُقتدى به)^(٢).

وهذا ما ذكره أيضاً ابن كثير في تفسيره لهذه الآية المباركة حيث قال: عن مجاهد قال: «(لا ينال عهدي الظالمين)» قال: لا يكون لي إمام ظالم^(٣).

إذن فقد تبين أن المقصود من العهد هنا هو الإمامة. بالتالي إذا كانت الإمامة عهداً بين الإمام وبين الله، هل يمكن أن تُنال بالانتخاب والشورى وأهل الحل والعقد ...؟، أو أن يأتي رجلٌ ويعين ستة أشخاص ويقول: إختاروا من بينكم أحداً يكون هو الإمام؟ فلا يمكن لعاقل بعد هذا أن يدعي أن الإمامة باختيار الناس ومشاورة بعضهم البعض.

ومن هنا تبين لنا أن هذه الإمامة الإلهية لا تكون بالشورى ولا بالسقيفة ولا بأهل الحل والعقد ولا بغيرها، وليس للناس فيها اختيار وجعل.

والأمر الآخر المستفاد من هذه الآية المباركة هو أنها تبين لنا أن الإمامة الإبراهيمية لا تكون إلا معصومة، وهذا لم يتفرد به أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام فقط، بل اعترف بذلك جملة من كبار مفسري أهل السنة.

ذكر الفخر الرازي في نفس الموضع من الآية ص ٣٩ يقول: أما الشيعة فيستدلون بهذه الآية على صحة قولهم، (يعني أن الإمامة لا بد أن تكون معصومة)، في وجوب العصمة ظاهراً وباطناً وأما نحن (يقصد غير الشيعة) فنقول: مُقتضى الآية ذلك، (يقول نعم ظاهر الآية أن الحق مع الشيعة)، إلا أننا تركنا اعتبار الباطن فتبقى العدالة الظاهرة معتبرة.

والسؤال هنا: لماذا ترك اعتبار العدالة والعصمة الباطنية مع اعترافه بدلالة الآية على ذلك؟

١. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للفخر الرازي ج ٤/ ص ٣٩.

٢. جامع البيان ج ٢/ ص ٥١١. تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، والطبري متوفى سنة ٣١٠ هجري.

٣. تفسير ابن كثير ج ٣/ ص ٢٠، في ذيل هذه الآية المباركة.



الجواب: لأنّه لا دليل لديه، فتكون دعواه مصادرةً دعوى بدون دليل، لأنّ ظاهر الآية يقول بأنّه لا بدّ أن يكون ظاهراً وباطناً معصوماً. ظاهراً وباطناً غير ظالم. ولذا نراه في موضع آخر يصرّح بهذا، فيقول: "الآية تدلّ على عصمة الأنبياء من وجه" إذن، بغضّ النظر في أنّه يذكر الإمامة أحياناً وأحياناً النبوة، ولكنّ المهم قوله واعترافه أنّ الآية تدلّ على وجوب عصمة الإمام. وهذا إقرار منه.

إذا فقد تبين أنّ الإمامة الإبراهيميّة مجعولة ومنصوصة من قبل الله تعالى، وأنّها غير النبوة، فإذا كان المراد من الإمام المعنى اللغوي، يعني من يؤتمّ به مطلقاً كما قال الفخر الرازي، نعم نحن نقبل هذا المعنى أي الذي يؤتمّ به في الدين وفي السياسة، وبعبارة أخرى: تجب الطاعة له، ويؤتمّ به تماماً كما أمرنا الله سبحانه وتعالى حينما قال: ﴿وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. إذن نحن لسنا مخيّرین في أن نتّخذة أسوة وقدوة، بل يجب علينا ذلك. والمعروف أنّ النبيّ وعليّاً هما من ذريّة سيّدنا إبراهيم عليه السلام التي طلب لها الإمامة، وذريّته باقيةً ومستمرة إلى قيام الساعة، كلّ ما في الأمر أنّ الظالمين من هذه الذريّة (ذريّة إبراهيم) لا ينالون الإمامة لأنّ الله تعالى قد منعها عن الظالمين، وقد أثبتنا سابقاً عصمة الإمام علي عليه السلام من القرآن والسنة، فبالتالي صحّ كونه إماماً.

وإن قيل: ما علاقة هذا البحث (الإمامة الإبراهيميّة) بإمامة علي عليه السلام؟

نقول: كلّما تحقّقت هذه الإمامة وهذه المواصفات في شخص أو أشخاص آخرين صحّ أن تأخذ نفس مواصفات وأحكام الإمامة الإبراهيميّة. فهذه الأخيرة (الإمامة الإبراهيميّة) يجب كونها معصومة كما يجب شرعاً الإلتزام بها مطلقاً في أمور السياسة والدين والأخلاق والأفعال وغيرها. وتلك أيضاً.

ومن هنا نستطيع الإستدلال بهذه الآية الكريمة على وجوب كون الإمام معصوماً، فلا ينال الإمامة ظالمٌ، حتّى لو كان ظالماً لنفسه ولولمة واحدة. وبالتالي فلا يصحّ أن يكون أبو بكر خليفة أو إماماً، وكذلك عمرو وعثمان بن عفان. فلم يكن أحدٌ منهم معصوماً. هذا مجمل ما يقال في الإمامة العامّة، والآن ننتقل إلى الإمامة الخاصّة.

الإمامة الخاصّة

وسنقوم هنا أولاً بطرح بعض الآيات الدالّة على الإمامة الخاصّة، ثمّ نبين وجه الإستدلال بها.

١. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(١).

ومن الواضح أَنَّ هذا الأمر الذي كُلِّفَ النبي ﷺ بإبلاغه الناسَ ليس أمراً من فروع الدين، لأنَّه لا يوجد شيء من فروع الدين يمكن أن يعادل الرسالة المحمَّديَّة، فالرسالة تتضمن التوحيد والنبوَّة والقرآن... الخ.

والدليل على ذلك هو تهديد الله لنبيِّنا الأكرم أَنَّهُ إن لم يبلغْ هذا الأمر فكأنَّما لم يبلغْ شيئاً. بالتالي راح عمله وتبليغه مدَّة ثلاثٍ وعشرين سنةً أدراج الرياح، ومن هنا نستكشف أهميَّة وعظمة ما قد أمر به نبيُّنا في هذه الآية الكريمة.

فما هو يا ترى هذا الأمر الذي عادل الرسالة وجعل الله يتكلَّم مع نبيِّنا الأكرم ﷺ بهذه الطريقة الخاصة؟.

٢. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١).

إذن نفهم أَنَّ ما كان الرسول مأموراً به هو جعل وليٍّ وخليفةٍ من بعده حتَّى يرجع إليه المسلمون في أمور دينهم ودنياهم، تماماً كما كانوا يرجعون إلى رسول الله ﷺ فترة حياته. فإذا علمنا أَنَّ الله قد عيَّن لنا من تجب علينا ولايتهم والرجوع إليهم، يأتي الخطاب الإلهي بوجوب الطاعة لهؤلاء الأولياء، كما في الآية التالية:

٣. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢). فإذا استجابت الأُمَّة لخطاب المولى وأطاعت الله ورسوله وأولي الأمر، جاءت الآية بإكمال الدين والرضى بهذا الإسلام.

٤. قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾^(٣).

وهذا يتحقَّق الرضى الإلهي بهذا الدين المحمَّدي، وهذا الرضى لا يتحقَّق إلا بطاعة الله ورسوله وأولي الأمر، أمَّا غير هذا فهو غير مرضيٍّ عند الله تعالى. فمَن لم يرضَ بهذا الإسلام وهذا الجعل الإلهي فلن يقبل الله عمله ويكون من الخاسرين يوم يقوم الحساب، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة:

٥. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤). ومن هنا سنشرع بالخوض في هذه الآيات والوقوف عند كلِّ آية منها ليتسَّي لنا معرفة من هؤلاء الذين عيَّتهم الشارحُ ليكونوا أئمة الهدى وخلفاء النبي من بعده.

١. سورة المائدة: ٥٥.

٢. سورة النساء: ٥٩.

٣. سورة النساء: ٣.

٤. سورة آل عمران: ٨٥.

أولاً: «يا أيها الرسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ».

قد بيّنا سابقاً أهمية وعظمة هذا الأمر الذي وجب على الرسول تبليغه، وإن لم يبلغه فكأنما لم يُبَلِّغ شيئاً من الرسالة.

ومن الواضح أنَّ الأحكام الفقهيّة لا يمكن أن تعادل الرسالة المحمديّة لأنّ هذه الأخيرة تتضمن أمور التوحيد والنبوة والمعاد إلى غير ذلك من أصول الدين وأركانه، كما لا يمكن للباري عزّ وجلّ تهديد نبيّنا الأكرم في هذا الخطاب: «وإنّ لم تفعل فما بَلَّغْتَ رسالته» بسبب عدم إبلاغه أمراً فرعياً أو حكماً فقهيّاً، وهو الذي جاهد بنفسه من أجل إقامة هذا الدين. ويبلغ رسالة ربّه، وتحمل في ذلك أشدّ أنواع البلاء والمصائب والمشقات في سبيل نشر هذه الرسالة طيلة ثلاثٍ وعشرين سنةً.

ثمّ إنّ النبيّ ﷺ كان قد بيّن للناس أحكام دينهم وعلمهم الصلاة بأجزائها والصوم بتفاصيله والزكاة وكم يخرج منها والحجّ والجهاد في سبيل الله و..

فهل يمكن بعد هذا كلّه أن يُحبط الله كلّ أعمال نبيّنا ﷺ طيلة هذه الفترة بسبب عدم إبلاغه أمراً فقهيّاً؟

أما قوله تعالى: «والله يعصمك من الناس» فواضح في أنّ إبلاغ هذا الأمر كان فيه خوف من جانب نبيّنا الأكرم في عدم قبول الأئمة له، وهذا ما حصل تماماً حينما ادّعى بعض الصحابة أنّ هذا الأمر هو من عند الرسول ﷺ لا من عند الله عزّ وجلّ، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على عظمة هذا الأمر وأهميته، وفي نفس الوقت خطورته على أصحاب القلوب المريضة والنفوس الضعيفة التي لطالما شكّت في أصل نبوة سيّد الخلق وكانت دائمة الاعتراض عليه خاصّة إذا تعلّق الأمر بالجانب السلطوي والحكم السياسي من بعده.

ولو علمنا سبب نزول هذه الآية وظرفها لفهمنا المقصود منها، وأنّ الله أمر نبيّه بجعل خليفة ووليٍّ أمرٍ يرجع إليه الناس من بعده، وهذه بعض أقوال علماء أهل السنة الشاهدة على ذلك.

أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: «يا أيها الرسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» على رسول الله ﷺ يوم غدیر خُم، في عليّ بن أبي طالب.

وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله: «يا أيها الرسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ أَنْ عَلِيّاً مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما

بَلَّغَتْ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يُعَصِّمُكَ مِنَ النَّاسِ»^(١).

وروى أيضاً:

عن ابن مسعود قال: كُنَّا نَقْرَأُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» أَنْ عَلَيْنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ^(٢).

جاء في شواهد التنزيل بلفظ مختصر:

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ»، قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبَلِّغَ فِيهِ، فَأَخَذَهُ بِيَدِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهِ وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ»^(٣).

جاء في أسباب النزول:

عن أبي سعيد الخدري قال: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» يَوْمَ غدير خُمٍ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٤).

وذكر الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ»، قَالَ: الْوَجْهَ الْعَاشِرُ: نَزَلَتْ الْآيَةُ فِي فَضْلِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِ عَلِيٍّ وَقَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهِ وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ». فَلَقِيهِ عُمَرُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فَقَالَ: «هَنِينًا لَكَ يَا بَنِي أَبِي طَالِبٍ، أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ». وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ^(٥).
فَإِذَنْ تَبَيَّنَ لَنَا مَا هُوَ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي كَلَّفَ اللَّهُ نَبِيَّنَا بِإِبْلَاغِهِ. أَلَا وَهُوَ الْإِبْلَاغُ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَعَلَهُ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَعْدِهِ.

ثَانِيًا، قَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ الصَّالَاتِ الَّذِينَ يَقِيمُونَ»^(٦).

لَا يَخْفَى عَلَى الْعَارِفِ بِاللُّغَةِ أَنَّ كَلِمَةَ (إِنَّمَا) تَفِيدُ الْحَصْرَ وَالِإِخْتِصَاصَ، فَقَدْ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَنْ تَجِبَ عَلَيْنَا وَلايَتُهُمْ، وَهُوَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، لَكِنْ هَلْ عَلَيْنَا

١. الدر المنثور للسيوطي ج ٢/ ص ٢٩٨.

٢. الدر المنثور للسيوطي ج ٥/ ص ٣٨٣.

٣. شواهد التنزيل للحسكاني، المجلد الأول، ص ٢٥٤.

٤. أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. عالم الكتب بيروت. ص ١٥٠. وانظر تفسير ابن أبي حاتم، المجلد الأول، ص ١١٧٢.

٥. تفسير الفخر الرازي ج ١٢/ ص ٥٣. وانظر كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢/ ص ٧٥٥. وانظر تفسير الثعلبي ج ٤/ ص ٩٢.

أن نوالي جميع المؤمنين؟

الجواب: كلاً، وذلك لسببين:

الأول: بما أنَّ كلمة (إنّما) تفيد الحصر والإختصاص، فلا يمكن أن تعمّ جميع المؤمنين، لأنّها تؤدي بالتّالي إلى نفي الغرض من هذا الإختصاص، بل الحقّ في وجوب كونها خاصةً بشخص أو أشخاص معيّنين.

الثاني: حتّى لا يشتبه الأمر علينا، فقد بيّن الله لنا صفات هؤلاء الذين تجب علينا ولايتهم، فقال: ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾.

وهذه الجملة: (وهم راكعون) واقعة في محلّ نصب حال للذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، أي أنّ هذا الوليّ قد أعطى زكاةً في حال ركوعه وهو في الصلاة.

وكما ذكرنا سابقاً أنّ لكلمة الوليّ معانٍ كثيرة، لكن لا يستقيم معنى هذه الآية الكريمة إلّا إذا كان الوليّ هنا بمعنى الرئيس والحاكم.

فلو قال قائل: لم لا يكون معناها هنا: المحبة والنصرة؟

قلنا:

أولاً: لو كانت هنا بمعنى النصرة لكانتفى الله بقوله: ﴿إنّا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾، ولم يقل: ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ لأنّه من المعلوم أنّ جميع المؤمنين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة.

لكنّه تعالى بذكره هذا القيد ﴿وهم راكعون﴾ أراد بذلك تخصيص الوليّ في من أعطى الزكاة حال ركوعه في الصلاة حتّى نزلت فيه هذه الآية الكريمة.

ثانياً: قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾، أي بعضهم أنصار بعض، فلو كان الوليّ في الآية الأولى أيضاً بمعنى النصرة والمحبة لوقع التناقض في كلام الله عزّ وجلّ (وحاشى ذلك) لأنّه في الآية الأولى خصّ وحصر الوليّ فقط في الذين يعطون الزكاة وهم راكعون، بينما في الآية الثانية قال: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾، فجاءت الولاية لعموم المؤمنين والمؤمنات، بالتالي لزم كون الوليّ في الآية الأولى فقط بمعنى الحاكم والرئيس والمتولّي شؤون الناس، وهم الموصوفون في الآية: ﴿يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾^(١).

ولو قيل: إنّ الآية الكريمة وردت بلفظ الجمع ولاسيّما في قوله تعالى: ﴿... والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾، فكيف يكون المراد منها شخصاً واحداً؟

قلنا:

أولاً: الآيات تفسّرها الروايات وهي مستفيضة في أنّ الآية نزلت في عليّ عليه السلام.

ثانياً: التعبير بلفظ الجمع وإرادة المفرد في المعنى ورد كثيراً في القرآن الكريم، من قبيل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿تَسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ﴾^(١)، وقد صحَّ أَنَّ المراد به حاطبُ بن أبي بلتعة في مكاتبتة قريشاً. وأيضاً قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَن رَجِعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَنُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذْلَ﴾^(٢)، وقد صحَّ أَنَّ القائل به عبد الله بن أبي بن سلول. وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾^(٣)، والسائل عنه كان واحداً.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾^(٤)، وقد ورد أَنَّ الْمُتْنَفِقَ كَانَ عَلِيًّا عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾^(٥)، والقائل هو عبد الله بن أبي، على ما روي في سبب نزولها وتلقؤه بالقبول.

ثالثاً: إِنَّ جُلَّ النَّاقلِينَ لأخبار نزول هذه الآية هم صحابة النبي صلى الله عليه وسلم والتابعون المتصلون بهم زماناً، وهم من زمرة العرب العرياء الذين لم تفسد لغتهم ولم تختلط ألسنتهم. ولو كان هذا النَّحو من الإستعمال لا تبيح اللغة ولا يعهده أهلها، لم تقبله طباعهم، ولكانوا أحقَّ بالإشكال والإعتراض عليه، ولم يؤثر من أحد منهم ذلك.

رابعاً: قال الزمخشري في تفسيره جواباً على الإشكال:

”فإن قلت: كيف صحَّ أن يكون لعلِّي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة؟ قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً لِيُرْغَبَ النَّاسَ في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، وَلِيُنَبِّهَ على أَنَّ سَجِيَّةَ الْمُؤْمِنِينَ يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرِّ والإحسان وتفقد الفقراء، حتَّى إن لزمهم أمرٌ لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها“^(٦).

فإن قيل: إِنَّ التَّصَدَّقَ بالخاتم لا يُسَمَّى زكاة.

قلنا: إِنَّ تَعَيَّنَ لَفْظُ الزَّكَاةِ في معناها المصطلح إِنَّمَا تَحَقَّقَ بعد نزول القرآن بوجوبها وتشريعها في الدين، وأما المعنى اللغوي فهو أعم، ويعني إنفاق المال لوجه الله لاسيما حين تقابل الصلاة، (الزكاة لغة هي الطهارة)، كما يظهر ممَّا وقع فيما حكاه الله عن الأنبياء السالفين. وهذه بعض أمثلتها:

١. الممتحنة: ١.

٢. سورة المنافقون: ٨.

٣. سورة البقرة: ٢١٥.

٤. سورة البقرة: ٢٧٤.

٥. سورة المائدة: ٥٢.

٦. الكشف للزمخشري ج ١/ ص ٦٢٣.

قوله تعالى في إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾^(١).

وقوله تعالى في سيدنا إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾^(٢).

وقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام في المهد: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(٣). ومن المعلوم أَنَّ الزَّكَاةَ المَالِيَّةَ في مصطلح الإسلام لم تكن في شريعة عيسى عليه السلام.
وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾^(٤). وقوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾^(٧).

وغير ذلك من الآيات الواقعة في السور المكيّة وخاصة السور النازلة في أوائل البعثة كسورة حم السجدة وغيرها، ولم تكن قد شُرِعت الزَّكَاةُ المصطلحة بعد، فما فهمه المسلمون من هذه الآيات في لفظ الزَّكَاةِ؟

وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾^(٨). تدلّ على أَنَّ الزَّكَاةَ من أفراد الصَّدَقَةِ، وإنَّما سُمِّيت زَكَاةً لكون الصَّدَقَةِ مُطَهِّرَةً مُزَكِّيَةً مطلقاً، وقد غلب استعمالها في الصَّدَقَةِ المصطلحة. فتبين من جميع ما قلناه أَنَّهُ لا مانع من تسمية مطلق الصَّدَقَةِ والإنفاق في سبيل الله زَكَاةً.

قال عماد الدين بن محمد الطبري في تفسيره للآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾ الآية. فبدلَ على أَنَّ العمل القليل لا يُبطل الصلاة، فَإِنَّ التَّصَرُّفَ بالخاتم في الركوع عملٌ جاء به في الصلاة، ولا يبطل الصلاة.

وقوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، يدلّ أيضاً على أَنَّ صدقة التطوع تُسَمَّى زَكَاةً، فَإِنَّ عَلِيًّا تَصَدَّقَ بخاتمته تطوعاً في الركوع، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ﴾، وقد انتظم النفل والفرض، فصار اسم الزَّكَاةِ شاملاً للفرض

١. سورة الأنبياء: ٧٣.

٢. سورة مريم: ٥٥.

٣. سورة مريم: ٣١.

٤. سورة الأعلى: ١٥.

٥. سورة الليل: ١٨.

٦. حم السجدة: ٧.

٧. سورة المؤمنون: ٤.

٨. سورة التوبة: ١٠٣.

والنفل، كاسم الصدقة واسم الصلاة ينتظم الأمرين^(١).

فإن قالوا: يُحتمل أن تكون الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ واواً عاطفة لا واو الحال، وحينئذٍ يسقط الإستدلال بالآية، لأنَّ الإستدلال بها يتوقف على كون هذه الواو حاليةً، فالذي أعطى الخاتم، أعطاه حال كونه راكعاً، وهو عليٌّ عليه السلام، أما لو كانت الواو عاطفةً يكون معنى الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، أي: هم يركعون، بمعنى أنهم يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُصَلُّونَ وَيَرْكَعُونَ، ولا علاقة للآية المباركة بقضية تصدَّق عليٌّ عليه السلام بالخاتم.

قلنا: إنَّ هذا الإحتمال يزول بمجرد نظرة سريعة إلى الروايات الواردة في قضية تصدَّق الإمام عليه السلام بالخاتم، وهي صريحة في كون الواو هنا للحال، فهي تقول: "تصدَّق عليٌّ وهو راكع". كما أن الكثير من المفسرين قالوا إنَّ الواو حاليةً، ومنهم الزمخشري صاحب تفسير الكشاف، وهو تفسیر لغويّ وبلاغيّ كما هو معروف.

وإنَّ أيَّ عربيٍّ منصف لما يقرأ الآية لوحدها ويغضُّ النظر عن الروايات، يعلم أنَّ الواو هنا للحال. أي أنَّ عليّاً عليه السلام تصدَّق حال كونه راكعاً. وهذا ما لا يُنكره أحدٌ من العرب الفصحاء، إلا من كان في قلبه مرضٌ أو كان حقه على عليٍّ عليه السلام قد بلغ أوجّه. ومثاله لو قلنا مثلاً: جاء زيدٌ وهو راكعٌ. فهل يحتملُ العربيُّ معنىً غيرَ أنَّ زيدا جاء في حال الركوب؟

وهل ينكر أحدٌ أنَّ الواو هنا للحال؟

فمالفرق إذاً بين هذه الجملة والآية الكريمة؟

والحمد لله الذي لم يجعل في قلوبنا غلاً لأهل بيت رسول الله الطاهرين المطهرين صلوات ربّي وسلامه عليهم أجمعين.

ولو قيل: يُفترض أن يكون عليٌّ عليه السلام في حال الصلاة منشغلاً بالله سبحانه وتعالى، منصرفاً عن هذا العالم، فكيف يسمع صوت السائل؟ وكيف يشير إليه ويومي بالتقدّم نحوه، ثم يرسل يده ليُخرج الخاتم من إصبعه؟

قلنا: لقد عُذَّت هذه القضية عند الله ورسوله وسائر المؤمنين من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، فلو كان لهذا الفعل أدنى إشكال لما عُذِّ من مناقبه سلام الله عليه.

ثمَّ إنَّ هذا الالتفات لم يكن من أمير المؤمنين إلى أمر دنيويٍّ، وإنَّما كانت عبادة في ضمن عبادة. فنفسُ تصدِّقه بالخاتم في الركوع يُعتبر عبادةً وتقرباً إلى الله تعالى.

أضف إلى ذلك أنَّ كثيراً من روايات السُنَّة ذكرت جواز الفعل اليسير في الصلاة وأنه

لا يبطلها. ومن بين هذه الروايات: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَتَحَ الْبَابَ يَوْمًا لِعَانِشَةٍ وَهُوَ يَصَلِّي" ^(١). وعن أبي سعيد الخدري قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم... ^(٢).

فإذا كان فتح الباب في الصلاة، وخلع النعلين، ووضعهما جانباً في الصلاة جائزاً، فإن الأولى أن يكون التصديق في الصلاة جائزاً وغير مُبطل لها، لأن التصديق على كل حال هو نوع عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه. بالإضافة إلى أن هذا الفعل لا يخرج الإنسان من هيئة الصلاة.

ولو قيل: لقد جاء لفظ (الولي) في عشرات الآيات، ولا علاقة له فيها بالإمامة أو الخلافة منها:

قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ ^(٣). وقوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ فُلْمِلَ وَإِيَّاهُ بِالْعَدْلِ﴾ ^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ ^(٥). فنقول: نحن لم ندع أن لفظ الولي ومشتقاته لا يمكن أن تأتي بمعنى الناصر في بعض المواضع، كما أن معنى الولي الذي نقوله في الآية التي نستدل بها هو الذي يملك حق التصرف أو ولاية التصرف، وبطبيعة الحال فإن هذا التصرف محدد بنوع الولاية، فالولاية على الأمة أو التصرف بشؤونها أوسع من الولاية على القاصر والتصرف بشؤونه، وهكذا.

أما قوله تعالى عن زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾، فنقول: أولاً: في هذه الآية يطلب زكريا عليه السلام من ربه أن يهب له ولياً بمعنى أن يكون له ولي عهد، تكون له ولاية التصرف في ميراثه. ولا يقال هنا: هل هذا الولي إمام على زكريا؟ نقول: إنه وإن كانت له ولاية التصرف فهي مقيدة بما بعد وفاة زكريا.

وثانياً: لا يمكن أيضاً لقائل أن يقول إن الولي هنا بمعنى المحبة والنصرة. وما يدل على قولنا هو قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: ﴿يُرِثْنِي وَيرِثُ مِنْ آلٍ يَعْقُوبُ﴾

١. سنن النسائي ج ٣/ ص ١١. وسنن الترمذي في حديث رقم [٦٠١] وحسنه الألباني. وسنن أبي داود في حديث رقم [٩٢٢].

٢. مستدرک الحاکم ج ١/ ص ٢٦٠ وابن حبان في صحيحه [٢١٨٥]. وانظر سنن أبي داود ج ١/ ص ٢٣١. والبيهقي ج ٢/ ٤٣١، قال النووي في المجموع: حديث حسن رواه أبو داود بإسناد صحيح ج ١/ ص ٩٥.

٣. سورة مريم: ٥.

٤. سور البقرة: ٢٨٢.

٥. سورة الإسراء: ٣٣.

واجعله رَبَّ رَضِيًّا^(١)، والوارث له حق التصرف بالميراث بعد وفاة من يرثه. وقوله تعالى: ﴿وِيرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ يدلّ على ميراث النبوة.

وقوله تعالى في الآية ١٢ من نفس السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا كِتَابَ بَقْوَةٍ وَآتِينَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ يدلّ على ولاية الحكم والتصرف، ولكن بعد وفاة زكريّا لأنّه وارث له.

أما الآية الكريمة: ﴿إِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَلِّغَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ فهذا أيضاً الولي بمعنى المتصرف لا بمعنى الناصر، لأنّ الولاية تكون على السفيه والضعيف والذي لا يستطيع أن يملّ، أي المغلوب على عقله كما قيل، فهذا يُحجر عليه، ووليّه إذن هو من يملك حقّ التصرف في شؤونه.

وقد ذكر أكثر علماء أهل السنّة نزول هذه الآية في عليّ عليه السلام، وإليك بعض من ذكر ذلك.

روى الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل:

عن ابن عباس: إنّ رسول الله ﷺ صَلَّى يوماً بأصحابه صلاة الظهر وانصرف هو وأصحابه فلم يبق في المسجد غير عليّ قائماً يصلي بين الظهر والعصر، إذ دخل المسجد فقيرٌ من فقراء المسلمين، فلم ير في المسجد أحداً خلا عليّاً، فأقبل نحوه فقال: يا وليّ الله بالذي تُصليّ له أن تتصدّق عليّ بما أمكنك، وله خاتم عقيق يمانيّ أحمر كان يلبسه في الصلاة في يمينه، فمدّ يده فوضعها على ظهره وأشار إلى السائل بزعفه، فتزعه ودعا له، ومضى، وهبط جبرئيل، فقال النبي ﷺ: لعليّ عليه السلام: لقد باهى الله بك ملائكته اليوم، اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ^(٢)﴾.

وقال الزمخشريّ في تفسيره:

﴿وَهُمْ زَاكِعُونَ﴾ الواو فيه للحال، أي يعملون ذلك في حال الركوع، وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا صلّوا وإذا زكّوا. وقيل هو حال من: ﴿يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة، وأتمّها نزلت في عليّ كرم الله وجهه حين سأله سائلٌ وهو راكعٌ في صلاته فطرح له خاتمه كأنّه كان مرّجاً في خنصره^(٣).

وذكر البغوي في تفسيره نقلاً عن ابن عباس والسدي أنّ قوله تعالى: ﴿وَهُمْ زَاكِعُونَ﴾ أراد به عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه مرّةً به سائلٌ وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه^(٤).

١. سورة مريم: ٦.

٢. شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني النيسابوري ج ١/ ص ٢١٢ في سبب نزول آية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...﴾.

وانظر الدر المنثور في التفسير بالأنوار لجلال الدين السيوطي ج ٣/ ص ١٠٤-١٠٦.

٣. تفسير الكشف للزمخشري ج ١/ ص ٦٨١-٦٨٣. وأيضاً ابن كثير في تفسيره ج ٢/ ص ٧٢.

٤. تفسير البغوي ج ٢/ ص ٤٧. وأيضاً السمعاني في تفسيره ج ٢/ ص ٤٧.

وهذا ما رواه الطبري في تفسيره في أول آرائه في تأويل الآية، ومن عاداته تقديم الرأي الراجح. فقال:

وأما قوله: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ».

فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به فقال بعضهم عُيِّيَ به عليٌّ بن أبي طالب، وقال بعضهم عُيِّيَ به جميعُ المؤمنين. ثم قال: عن السديّ وعن عتبة بن أبي حكيم وعن مجاهد أنها نزلت في عليٍّ ^(١).

وقد اعترف جملة من المفسرين بنزول هذه الآية في أمير المؤمنين ^(٢) (وهم راکعون): والآية عند معظم المحدثين نزلت في عليٍّ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَجْهَهُ ^(٣).

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر، عن سلمة بن كهيل قال: تصدَّق عليٌّ ^(٤) بخاتمه وهو راکع، فنزلت: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...» الآية ^(٥).

وروى المحبُّ الطبري:

عن عبد الله بن سلام قال: أُذِنَ لصلاة الظهر، فقام الناس يصلُّون، فمن بين راکع وساجد، وسائل يسأل، فأعطاه عليٌّ ^(٦) خاتمه، وهو راکع، فأخبر السائلُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقرأ علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» ^(٧).

وجاء في كثر العمال:

عن ابن عباس قال: تصدَّق عليٌّ ^(٨) بخاتمه، وهو راکع، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذلك الراكع، فأنزل الله فيه: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» الآية. قال: وكان في خاتمه مكتوباً (سبحان من فخرني بأنِّي له عبد)، ثم كتب في خاتمه بعد: (المُلْكُ لَهُ). قال: أخرجه الخطيب في المتفق. ورواه الهيثمي في مجمعهِ ^(٩).
 روى السيوطي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ»، الحمد لله الذي أتمَّ لعلِّي نِعَمَهُ، وهنيئاً لعلِّي بفضل الله إيَّاه» ^(١٠).

١. تفسير الطبري ج ٦/ ص ٢٨٨. وانظر جامع البيان ج ١٠/ ص ٤٢٠. والجامع لأحكام القرآن ج ٣/

ص ٢٢١٧. وروح المعاني ج ٢/ ص ٣٢٦.

٢. الجصاص في أحكام القرآن ج ٤/ ص ١٠٢.

٣. تفسير الثعلبي ٨١/ ٤.

٤. الرياض النضرة ج ٢/ ص ٣٠٢.

٥. كثر العمال ج ٦/ ص ٣١٩. وانظر مجمع الزوائد ج ٧/ ص ١٧.

٦. الدر المنثور في التأثير بالمأثور ج ٥/ ص ٣٦٢. وانظر أيضاً تفسير الكشاف ج ١/ ص ٦٢٤. والتدوين في

ثالثاً، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

جاء الخطاب الإلهي في هذه الآية بوجوب طاعة الله والرسول وأولي الأمر مطلقاً أي في كل شيء.. (و أولي الأمر) هنا معطوفة على (الرسول) لذلك تجب طاعتهم مطلقاً أيضاً، وهذا خلاف ما ذهب إليه البعض من أن طاعة الرسول وأولي الأمر لا تكون إلا في العبادات وأمر التبليغ.

فالله سبحانه وتعالى لم يقل لنا مثلاً: أطيعوا الرسول وأولي الأمر في كذا، وخالفوهم في كذا. بل أطلق في كلامه ولم يُقيّد، وهذا أوضح من الشمس في رابعة النهار. فإذا علينا بطاعة أولي الأمر في كل شيء لأن طاعتهم طاعة الله. ومعصيتهم معصية الله، ومن هنا وجب كونهم معصومين عصمة مطلقة، وإلا لوقع التناقض في كلام المولى عز وجل (وحاشي ذلك)، لأننا لو فرضنا عدم عصمتهم لوقعنا في التناقض على كلا التقديرين، فلو أمرنا أولو الأمر بشيء يخالف الشريعة وأطعنناهم، نكون بذلك قد عصينا الخالق عز وجل، ولو عصيناهم نكون قد خالفنا صريح قوله تعالى في وجوب طاعتهم.

فمن يا ترى هؤلاء المعصومون الذين وجبت علينا طاعتهم؟، أو على الأقل من هم هؤلاء الذين ادّعوا العصمة وثبتت لهم حتى تنطبق عليهم هذه الآية الكريمة؟

من الواضح أنه لم تنزل آية واحدة في عصمة أحد من الصحابة (سوى أهل البيت عليه السلام)، ولا يوجد حديث واحد في ذلك، بل العكس تماماً، فقد أثبتت الآيات والأحاديث وجود بعض المنافقين الذين كانوا من الصحابة، والتاريخ خير شاهد على هذا. روى ابن أبي حاتم في تفسيره:

عن ابن عباس قال: ما في القرآن آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إِلَّا أَنَّ عَلِيّاً شَرِيفُهَا وَسَيِّدُهَا وَأَمِيرُهَا، وَمَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا قَدْ عُوِّتَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يُعَاتَبْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ^(١).

لكن وكما ذكرنا آنفاً فإن آية التطهير لوحدها كافية في إثبات العصمة لأهل البيت، وعليه ﷺ من أهل البيت بالتالي ثبتت عصمته بالقرآن والسنة الشريفة، فيكون مصداقاً من مصاديق أولي الأمر الواجبة طاعتهم، بل هو المصداق الأول. خاصة إذا ثبت عندنا أنه خليفة المسلمين بالنص النبوي فتكون طاعته واجبة على جميع المسلمين.

أخبار قزوين ج ٣/ ص ٢١٢. والمعجم الكبير للطبراني ج ٧/ ص ١٣٠. وربع الأبرار ج ٢/ ص ١٤٧ وتفسير الطبري ج ١/ ص ٦٢٤. وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢/ ص ٤٠٩. والكشف والبيان للثعلبي ج ٤/ ص ٨١.

١. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب المجلد الثامن ص ٢٥٥١. وابن أبي حاتم توفي سنة ٣٢٧.

فهذه الآية إذن دليلٌ على إمامة عليٍّ عليه السلام، سابق أمته وأفضل أوصيائه.

جاء في فيض القدير:

أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾. قال: يوشع بن نون سبق إلى موسى، ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى، وعليُّ بن أبي طالب سبق إلى رسول الله ﷺ. وأخرج ابن مردويه أيضاً قال: نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبیب النجَّار الذي ذكر في يس، وعليُّ بن أبي طالب، وكلُّ رجلٍ منهم سابقٌ أمته، وعليُّ أفضلُهم سبقاً^(١). فإذا سلَّم المسلمون لأمر الله في وجوب طاعة أولي الأمر وامتنلوا ذلك، يأتي الخطاب الإلهي بإتمام الدين وإكمال النعمة والرضى بهذا الإسلام المحمدي الأصيل.

رابعاً، قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

المسلَّم عند جميع المسلمين أنَّ هذه الآية لم تكن آخر آية نزلت في القرآن، فكيف يقول الله عزوجل أنه أكمل لنا ديننا وأتم نعمته علينا؟

وما هو هذا الأمر المهم والضروري الذي اكتمل به ديننا ورضي الله لنا هذا الإسلام؟ خاصة وأن النبي ﷺ كان قد بلغ الرسالة والأحكام الشرعية خلال مسيرته التبليغية؟ وما هو هذا الأمر الذي بدونه كان ديننا ناقصاً ولم يكن هذا الإسلام مرضياً عند الله تعالى؟

من عادة الرؤساء والملوك أنهم إذا أرادوا الخروج من بلدهم أو مملكتهم، أن يُخلفوا فيها من ينوب عنهم في تسيير أمورهم السياسية والدينية وغيرها، حتى لا يبقى البلد خالياً من حاكم يحفظ أمن البلد فترة غياب الرئيس، وحتى لا يختل أمر المملكة وتعم الفوضى البلاد. هذا حال من يغيب فترة معينة ثم يرجع لبلده. وهذا حال عامة البشر والعقلاء، فكيف الحال بمن هو سيّد البشر وأعقلهم؟

فهل يمكن يا ترى لسيّد العقلاء أن يرحل من هذه الدنيا قبل تعيين خليفة له، يرجع إليه الناس في شتى أمورهم الدينية والدنيوية كما كان حال المسلمين مع الرسول الأكرم ﷺ في حياته؟

أو كان من الممكن عقلاً وشرعاً رحيل النبي الأكرم ﷺ إلى جوار ربه وتركه الأمة بلا راع يحكمها ويحفظ أمنها واستقرارها؟

أو كان يعقل أن النبي ﷺ الذي علّم أمته أحكام الفقه وجزئياته وكيفية الإستنجاء والإستبراء وغيرها من الأمور البسيطة، أن لا يُبين لهم خليفته وإمامهم من بعده؟

أولم يكن النبي الأكرم ﷺ يعلم أنه إذا لم يعين للناس إمامهم فسوف يؤدي ذلك إلى وقوع الفتنة بين المسلمين، وبالتالي تعمّ الفوضى وتُسفك الدماء ويخرب وضع الأمة بسبب التناحر والتنافس على السلطة والحكم؟

وأكانت حُجّة النبي علينا تامّة في حال عدم تعيين وصيّته وخليفته من بعده؟ وكيف يُعقل ذلك وهو الذي كان لا يخرج من المدينة حتّى يُخلف فيهم رجلاً ينوب عنه ويحيي المدينة فترة غيابه؟

وسنترك الإجابة على هذه الأسئلة للقارئ الكريم ذي الفطرة السليمة والعقلية المتأنّصة الباحثة عن الحق دائماً وأبداً.

واليك أقوال بعض علماء أهل السنة في سبب نزول هذه الآية الكريمة.

عن أبي سعيد الخدري قال: إنّ هذه الآية: { ... اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعَمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ... } نزلت بعد أن قال رسول الله ﷺ لعليّ (كرّم الله وجهه) في غدير خم: «من كنتُ مولاه فعليّ مولاه»، فلمّا نزلت، قال: «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء الرّب برسالي وولاية عليّ (كرّم الله وجهه) بعدي»^(١).

عن أبي هريرة قال: من صام ثمانية عشر من ذي الحجة كُتِبَ له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خمّ لما أخذ النبي ﷺ بيد عليّ عليه السلام فقال: «أَلَسْتُ وَلِيّ الْمُؤْمِنِينَ؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنتُ مولاه فعليّ مولاه»، فقال عمر بن الخطاب: يَخْ بَخْ لك يا ابن أبي طالب أَصَبَحْتَ مولاي ومولى كلّ مسلم، فأنزل الله: { ... اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }^(٢).

عن أبي سعيد الخدري قال: لما نصب رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّاً يوم غدير خم، فنادى له بالولاية، هبط جبريل عليه هذه الآية: { ... اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }^(٣).

فهذا عمر بن الخطاب يبائع عليّاً عليه السلام ويهتّنه على هذا المنصب الإلهي والإمامة الإسلامية.

نعم، إنّ الدين اكتمل والنعمة تمّت بهذه البيعة والولاية، وما حدث بعد ذلك هو انقلاب على البيعة الشرعية والإمامة الإلهية، وخير دليل على ذلك هو ما قاله عمر بن الخطاب لابن عباس.

روى الطبري في تاريخه:

١. روح المعاني للألوسي ج ٤/ ص ٩١، طبعة دار الفكر بيروت. والآلوسي توفي ١٢٧٠ هجرية.

٢. تاريخ دمشق لابن عسّاك: ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ج ٢/ ص ٧٨، طبعة دار الفكر بيروت. وانظر تاريخ بغداد ج ٨/ ص ٢٩٠. وتفسير ابن كثير ج ٢/ ص ١٥.

٣. الدرر المنثور للسيوطي ج ٣/ ص ١٩. وانظر الإنشقاق في علوم القرآن ج ١/ ص ٥٤ طبعة دار إحياء العلوم بيروت.

عن ابن عباس قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض أصحابه يتذاكرون الشعر، فقال بعضهم: فلانٌ أشعر، وقال بعضهم: بل فلانٌ أشعر، قال: فأقبلتُ، فقال عمر: قد جاءكم أعلمُ الناس بها، فقال عمر: من شاعر الشعراء يا ابن عباس؟ قال: فقلتُ: زهير بن أبي سلمى، فقال عمر: من شاعر الشعراء يا ابن عباس؟ قال: فقلت: زهير بن أبي سلمى، فقال عمر: هلم من شعره ما نستدل به على ما ذكرت، فقلت: إمتدح قوماً من بني عبد الله بن غطفان، فقال:

...قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم

طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

قومٌ أبوهم سنانٌ حين تنسجهم...

مرزؤون بها ليلٌ إذا حشدوا

إنسٌ إذا أمنوا، جنٌ إذا فرعوا...

لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

محدون على ما كان من نعم...

فقال عمر: أحسنت، وما أعلم أحداً أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم، لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرباتهم منه، فقلت: ووقتَ يا أمير المؤمنين، ولم تزل موقفاً، فقال: يا ابن عباس، أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد؟ فكرهتُ أن أجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري فأمر المؤمنين يُدريني، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة، فتبيحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابته ووقت. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن تأذن لي في الكلام، وتمطَّ عني الغضب تكلمت. فقال: تكلم يا ابن عباس.

فقلت: أمّا قولك يا أمير المؤمنين: إختارت قريش لأنفسها فأصابته ووقت، فلو أن قريشاً إختارت لأنفسها حيث إختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود.

وأما قولك: إتهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية فقال: «ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم».

فقال عمر: هيات والله يا ابن عباس، قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أفرك عنها، فتزيل منزلتك مني؛ فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه.

فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً.

فقلت: أمّا قولك يا أمير المؤمنين ظلماً، فقد تبين للجاهل والحليم، وأمّا قولك حسداً، فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون.

فقال عمر: هيات، أثبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً ما يحول، وضغناً وغشاً ما يزول.

فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم

تطهيراً بالحسد والغش، فَإِنَّ قَلْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُلُوبِ بَنِي هَاشِمٍ.
فَقَالَ عُمَرُ: إِلَيْكَ عَنِّي يَا ابْنَ عَبَّاسٍ.

فَقُلْتُ: أَفْعَلْ. فَلَمَّا ذَهَبَ لِأَقُومَ، اسْتَحْيَا مِنِّي فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَكَانَكَ، فَوَاللَّهِ إِنِّي
لِرَاعٍ لِحَقِّكَ مَحَبٍّ لِمَا سَرَّكَ.

فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ لِي عَلَيْكَ حَقًّا وَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ حَفَظَهُ فَحَفَظَهُ أَصَابَ،
وَمَنْ أَضَاعَهُ فَحَفَظَهُ أَخْطَأَ، ثُمَّ قَامَ فَمَضَى^(١).

أَقُولُ وَهَذَا الْكَلَامُ وَاضِحٌ وَصَرِيحٌ بِأَنَّ أَصْحَابَ السَّقِيفَةِ كَانُوا يَعْلَمُونَ مُسَبِّقًا بِالنَّصِّ
عَلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِكُتْمِهِمْ يَرُونَ أَنَّ مَصْلَحَتَهُمْ فِي انْتِقَاضِ الْعَرَبِ، وَفِي عَدَمِ اجْتِمَاعِ النُّبُوَّةِ
وَالْإِمَامَةِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهَذِهِ الْمَحَاوِرَةُ تَكْشِفُ عَنْ حَقْدِ دَفِينٍ كَانَ فِي صَدُورِ الْقَوْمِ
الَّذِينَ أَبَوْا أَنْ تَجْتَمَعَ النُّبُوَّةُ وَالْإِمَامَةُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَكَأَنَّهُمْ نَسُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٢). وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ
اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣).

وَلَا نَدْرِي كَيْفَ يَكْرَهُ الْقَوْمُ أَمْرًا اخْتَارَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَقَدْ قَالَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٤).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٥).
وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٦).

هَكَذَا ثُبِتَ قَرَأْنِيًّا النَّصُّ عَلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِهِ اكْتَمَلَ دِينُنَا وَتَمَّتْ نِعْمَةُ رَبِّنَا وَرَضِيَ
اللَّهُ لَنَا هَذَا الْإِسْلَامَ دِينًا.

لَكِنْ مِنْ لَمْ يَرْضَ بِهَذَا الدِّينِ وَهَذَا الْجَعْلَ الْإِلَهِي يَأْتِي الْخُطَابَ الْإِلَهِي فِي الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ لِيَقُولَ لَهُ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٧).

هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى وَرُودِ آيَاتٍ فِي الْكِتَابِ تَنْصَحُ أَيْضًا عَلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا:
١- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٨)، أَوْ مَا يُعْرَفُ بِحَدِيثِ الدَّارِ.

١. تاريخ الطبري ج ٢/ ص ٥٧٨.

٢. سورة الأنعام: ١٢٤.

٣. سورة القصص: ٦٨.

٤. سورة الحشر: ٧.

٥. سورة التغابن: ٦.

٦. سورة الأحزاب: ٣٦.

٧. آل عمران: ٨٥.

٨. سورة الشعراء: ٢١٤.

حيث جاء فيه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لقومه وعشيرته وهو أخذ برقبة عليٍّ عليه السلام: «هذا أخي ووصيِّي وخليفتي فيكم».

ذكر البغوي في تفسيره حيث قال:

روى محمد بن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب قال: «لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله ﷺ فقال: «يا عليّ إنّ الله يأمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضيقت بذلك ذرعاً وعرفت أنّي متى أبادهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتت عليها حتى جاءني جبريل، فقال لي: يا محمد إلّا تفعل ما تؤمّر يُعَذِّبَكَ ربُّك، فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتّى أبلغهم ما أمرت به».

قال علي رضي الله عنه: ففعلت ما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب، وحمة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعته، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبةً من اللحم، فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحيفة، ثم قال: «خذوا باسم الله» فأكل القوم حتّى ما لهم بشيء حاجة، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم لياكل مثل ما قدّمت لجميعهم، ثم قال: «إسق القوم»، فجئتهم بذلك العسّ، فشربوا حتّى رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال: سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: يا عليّ إنّ هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القوم فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فأعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم، ففعلت ثم جمعتهم فدعاني بالطعام فقزّيته، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا بني عبد المطلب إنّني قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة. وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأياكم يوازني على أمري هذا؟ ويكون أخي ووصيِّي وخليفتي فيكم». فأحجم القوم عنها جميعاً، فقلت: وأنا أحدثهم سنّاً أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. قال: فأخذ برقبتي ثم قال: «إنّ هذا أخي ووصيِّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»، فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لعليٍّ وتطيعه^(١).

روى أحمد في مسنده:

حَدَّثَنَا شَرِيكٌ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ الْمَنْهَالِ عَنْ عِبَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قَالَ: جَمَعَ النَّبِيُّ أَهْلَ بَيْتِهِ، فَاجْتَمَعَ ثَلَاثُونَ، فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا، قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ يَضْمَنُ عَنِّي ذِيْنَ وَمَوَاعِيدِي وَيَكُونُ مَعِي فِي الْجَنَّةِ وَيَكُونُ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِي؟» فَقَالَ رَجُلٌ لَمْ يَسْمَعْهُ شَرِيكٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْتَ كُنْتَ بَحْرًا، مِنْ يَقُومُ بِهَذَا؟ قَالَ: ثُمَّ قَالَ الْآخَرُ، قَالَ: فَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَنَا^(١).

فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ يَوْمٍ عَيَّنَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

وبهذا يثبت كون علي عليه السلام خليفة رسول الله وأخاه ووصيه.

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٢).

والمقصود من المنذر في هذه الآية: النبي محمد ﷺ، ومن الهادي: علي عليه السلام كما صرح بذلك جمعُ من العلماء^(٣).

فقد روى الحاكم في مستدركه بسنده عن عباد بن عبد الله عن علي عليه السلام: ﴿... إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، قال علي عليه السلام: «رسول الله ﷺ المنذر، وأنا الهادي^(٤).

ومن الواضح أنَّ المولى عزَّ وجلَّ أنزل القرآن هدايةً للمتقين.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٥).

فالغرض من إنزال القرآن للناس هو الهداية، والمعيار في كرامة الإنسان عند الله هو التقوى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٦).

فالأكرم عند الله تعالى هو التقى وليس من فتح البلدان أكثر أو سبى عددا أكبر من النساء...

١. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق أحمد محمد شاكر ج ١/ ص ٥٤٥. قال: إسناده حسن. وقال الهيثمي ج ٩/

ص ١١٣ إسناده جيد. وانظر كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٣/ ص ١١٤.

٢. سورة الرعد: ٧.

٣. شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج ١/ ص ٢٩٣ ٣٠٣ حديث: [٤١٦ ٣٩٨]. وتفسير الطبري ج ١٣/ ص ١٠٨. وتفسير ابن كثير ج ٢/ ص ٥٠٢. وتفسير الشوكاني ج ٣/ ص ٧٠. وتفسير الفخر الرازي ج ٥/ ص ٢٧١ دار الطباعة العامة بمصر. وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ٢/ ص ٤١٥ حديث: [٩١٣ و ٩١٤ و ٩١٥ و ٩١٦]. والفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي ص ١٠٧. والمستدرک للحاكم ج ٣/ ص ١٢٩ ١٣٠.

٤. المستدرک علی الصحیحین: ج ٣/ ص ١٢٩. قال: هذا حديث صحيح الإسناد.

٥. سورة البقرة: ٢.

٦. سورة الحجرات: ٣.

وبما أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام هو الهادي، والهداية تكون للمتقين، فوجب كون علي عليه السلام اتقاهم وبالتالي هو أكرمهم عند الله.

وبما أَنَّ الغرض من نزول القرآن هو هداية الناس، فوجب علينا التمسك بمن يكون لنا هادياً، ألا وهو أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وإلى هنا نكتفي بهذا القدر من الآيات القرآنية الدالة على إمامة علي عليه السلام، وسننتقل بحول الله تعالى إلى الإستدلال بالسنة الشريفة على ذلك ومن الله نسأل العون والتوفيق وهو على كل شيء قدير.

خلافة علي عليه السلام في السنة

حديث المنزلة

وهو الحديث المروي في الصحاح والمسانيد. وقد رواه أكثر من ثلاثين صحابياً وأكثر من خمسين محدثاً، وإليك جملة منهم:
البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ٢٥٦، في كتابه صحيح البخاري قال:

حدثنا شعبة عن سعد قال: سمعت إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»^(١).
وأخرجه أيضاً في موضع آخر من صحيحه:

عن مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟، قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي»^(٢).

روى مسلم في صحيحه:

روي عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(٣).

١. صحيح البخاري ج ٥/ ص ٨١، حديث ٢٢٥، طبعة دار القلم بيروت.

٢. صحيح البخاري ج ٦/ ص ٣.

٣. صحيح مسلم ج ٤/ ص ١٨٧٠، حديث ٢٤٠٤، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت. ومسند أحمد بن

وروى الحاكم الحسكاني عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني صدّقوا بالتوحيد، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ يعني في فرائضه، ﴿وَأَطِيعُوا الرُّسُلَ﴾ يعني في سنّته، ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) قال: نزلت في أمير المؤمنين حين خلفه رسول الله ﷺ بالمدينة، فقال: أُنْخَلَفُنِي عَلَى النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فقال: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى حين قال له: ﴿... أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ...﴾»^(٢).

فهذا الحديث يُثَبِّت أَنَّ لِعَلِيِّ (ع) كُلَّ مَا كَانَ لَهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا النَّبُوءَةَ. أما دلالات حديث المنزلة:

فمن أجل أن تتبيّن الخصائص التي تثبت للإمام عليّ (ع) في هذا الحديث لا بدّ لنا من معرفة خصائص هارون ومنزلته من موسى، وهذه الخصائص نصّ على بعضها الذكر الحكيم على لسان سيّدنا موسى وهو يدعو ربّه لأخيه، بينما يُسْتَنْتَج بعضها الآخر من طبيعة مكانة هارون من موسى وعلاقته به.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي﴾ هارون أخي* أشدّ به أزرى* وأشركه في أمري* كي نسبحك كثيراً* ونذكرك كثيراً* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً﴾^(٣). فاستجاب الله دعائه، فقال:

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾^(٤).

وقال أيضاً:

﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزيراً﴾^(٥).

وقد كان هارون نبياً مع أخيه موسى إذ أوحى الله إليهما بقوله: ﴿إِذْ هَبْنَا هَارُونَ وَأَخَاهُ هَارُونَ وَزيراً﴾^(٦).

وكان هارون أفضل أمة موسى عليهما السلام، إذ ليس في أمته أحدٌ بلغ هذه المرتبة (النبوة)، ولم يحظَ أحدٌ منهم بما حظي به من منزلة عنده، فهو أحقّهم إليه، وأقربهم إلى قلبه.

حبل ج ٣/ ص ٣٢. وانظر صحيح سنن الترمذي ج ٥/ ص ٦٤٠ - ٦٤١، حديث ٣٧٣٠ و ٣٧٣١، طبعة دار الكتاب العربي بيروت.

١. سورة النساء: ٥٩.

٢. سورة الأعراف: ٤٢.

٣. شواهد التنزيل ج ١/ ص ١٤٩، طبعة منشورات الأعلمي، بيروت.

٤. سورة طه: ٣٥.

٥. سورة طه: ٣٦.

٦. سورة الفرقان: ٣٥.

٧. سورة طه: ٤٢.

كما كان هارون وزيراً لموسى يسانده ويشاركه في جميع شؤون رسالته، ويشد أزره كما أنبأ الذكر الحكيم عن ذلك. وهو خليفته عند غيابه، قال تعالى:

﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾^(١).

ومن البديهي القول بأن الخلافة هذه ليست مقتصرة على غيابه عند ذهابه للمناجاة فقط، بل هو خليفته كلما غاب عن قومه، ولأي سبب كان غيابه، لأنه كان شريكاً له في أمره، وكان نبياً مُرسلاً معه، كما نصّ الذكر الحكيم. وكما يُقال من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وكان أعلم أمة موسى برسالته وما تضمنته من أحكام وأسرار، لأنه كان شريكاً له في أداء الرسالة وتبليغها.

وكان موسى وهارون عليهما السلام أخوين ينحدران من أب واحد، وأم واحدة. ومن تأمل حديث المنزلة يتضح له أن النبي صلى الله عليه وآله لم يستثن من خصائص هارون شيئاً سوى النبوة، ولو كان غيرها من الخصائص لا يثبت للإمام علي عليه السلام استثنائه، وبما أنه لم يفعل ذلك فإن جميع خصائص هارون الأخرى تثبت لعلي عليه السلام، أما أخوة النسب فهي مستثناة أصلاً ولا حاجة إلى استثنائها لوضوحها. مع أن علياً عليه السلام أخو النبي ﷺ كما أخبر الرسول بذلك.

وهذا يثبت أن الإمام علياً عليه السلام هو أفضل أمة محمد بعد نبينا المصطفى ﷺ، ومن تتبع ما جاء في الذكر الحكيم، وروي من السنة النبوية الشريفة مما أثبتته وأكد صحته المفسرون والحفاظ ورواه المحدثون من فضائل ومناقب لم يبلغها غيره، يتضح له وبدون أدنى شك بأنه أفضل هذه الأمة بعد نبينا ﷺ.

ونكتفي بالإستدلال على تقدّمه في الفضل بما جاء في آية المباهلة حيث قال تعالى: ﴿فمن حاكك فيه من بعد ما جاءك من العلم قلّ تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم تبتهل فنجعل لعدّ الله على الكاذبين﴾^(٢). جاء في كتاب معرفة علوم الحديث:

عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله عز وجل: قل تعالوا ندعوا أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم... إلى قوله... الكاذبين، نزلت على رسول الله ﷺ، وعليّ نفسه، ونساءنا ونساءكم في فاطمة، وأبناءنا وأبناءكم في حسن وحسين، والدعاء على الكاذبين نزلت في العاقب والسيد وعبد المسيح وأصحابهم.

ثم قال: وقد تواترت الأخبار في التفاسير عن عبد الله ابن عباس وغيره أن رسول الله ﷺ

١. سورة الأعراف: ١٤٨.

٢. سورة آل عمران: ٦١.

أخذ يوم المباهلة بيد علي وحسن وحسين وجعلوا فاطمة وراءهم ثم قال: هؤلاء أبناءنا وأنفسنا ونساءنا فهلّموا أنفسكم وأبناءكم ونساءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين^(١).

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:

قال جابر: «أنفسنا وأنفسكم»: رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب، «وأبناءنا» الحسن والحسين، «ونساءنا» فاطمة^(٢).

فقد أجمع المفسرون من الفريقين، وأجمع الرواة أنّ النبي ﷺ أحضر للمباهلة من الأبناء: الحسن والحسين، وأحضر من النساء ابنته الزهراء^(٣)، وأحضر معه الإمام علياً عليه وعليهم السلام. فكان المقصود بالأنفس هو عليّ سلام الله عليه.

وبما أن النبي ﷺ أفضل الخلق، فوجب كون نفسه أفضل الخلق مطلقاً بعده. فلو قال قائل: إن رسول الله خلف علياً^(٤) في المدينة حين ذهابه ﷺ إلى غزوة تبوك، بالتالي فإن خلافة علي^(٥) صحّت في تلك الفترة وفي المدينة فقط ولم تكن خلافة عامة حتى بعد وفاته.

نقول:

أولاً: لم يرد هذا الحديث حين غزوة تبوك فقط، بل قد ذكره رسول الله ﷺ في عدة ظروف ومناسبات منها^(٦):

يوم بدر ويوم المآخاة وفي غدير خم وفتح خيبر وغيرها.

ثانياً: إن في الحديث الشريف قرينة متصلة على أنّ المراد من كلام النبي ﷺ هو الخلافة المطلقة لعلي^(٧) من بعده، وهذه القرينة هي قوله: «إلا أنه لا نبي بعدي»، فقد أثبت النبي ﷺ لعلي^(٨) كلّ ما ثبت لهارون من موسى إلا النبوة، فإنها مستثناة، وبالتالي فإن كلّ الصفات عدا النبوة التي كانت لهارون ثبتت لعلي^(٩). ولو كان قصد النبي هنا الإستخلاف إلى حين رجوعه من تبوك فقط لم يكن لكلامه أي معنى حينما قال: «إلا أنه لا نبي بعدي».

ومن هنا يمكن القول بأنّ علياً^(١٠) كان أخاً ووزيراً وشريكاً وخليفةً للنبي المصطفى ﷺ. والثابت أيضاً أنّ هارون كان أعلم أهل زمانه بعد موسى^(١١)، وكذلك الإمام علي^(١٢). بالتالي ثبتت عندنا خلافة علي^(١٣) بعد النبي الأكرم بهذا النص الجلي الواضح.

ثم كيف يُعقل أنّ النبي صلى الله عليه وآله يستخلف شخصاً بمجرد خروجه من المدينة لأيام معدودة، ولا يستخلف حين يرحل نهائياً من هذه الدنيا؟

١. معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري ص ٥٠.

٢. تفسير ابن كثير ج ٢/ ص ٥٥. وانظر فتح القدير للشوكاني ج ١/ ص ٥٧٤.

٣. مناقب علي بن أبي طالب ص ١٥١. و الطبقات الكبرى ج ٣/ ص ٢٤. وصحيح البخاري ج ٦/ ص ٣٠٩.

لا يُوْذِي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِي

وَمُلَخَّصَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بِبَرَاءَةٍ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِعَلِيٍّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: خُذِ الْكِتَابَ فَاْمْضِ بِهِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ: فَلَحِقَهُ فَأَخَذَ الْكِتَابَ مِنْهُ، فَانْصَرَفَ أَبُو بَكْرٍ، وَهُوَ كَتِيبٌ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنْزَلَ فِي شَيْءٍ؟، قَالَ: لَا إِلَّا أَنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُبَلِّغَهُ أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي^(١).

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ أَهْلًا حَتَّى فِي إِبْلَاحِ سُورَةِ بَرَاءَةِ، فَكَيْفَ يَكُونُ أَهْلًا لِلْخِلَافَةِ وَقِيَادَةِ الْأُمَّةِ؟؟

رَوَى ابْنُ مَاجَةَ فِي سُنَنِهِ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلِيٌّ مَتَّى وَأَنَا مِنْهُ، وَلَا يُؤْذِي عَنِّي إِلَّا عَلِيٌّ»^(٢).

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُقَيِّدْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَإِنَّمَا أَطْلَقَ فِي قَوْلِهِ: «لَا يُؤْذِي عَنِّي إِلَّا عَلِيٌّ»، وَلَمْ يَقُلْ مِثْلًا: «يُؤْذِي عَنِّي فِي مَجَالِ السِّيَاسَةِ أَوْ التَّبْلِيغِ أَوْ الْحَرْبِ أَوْ.....». فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ عَلِيًّا ﷺ يُؤْذِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا مَا اسْتَنْثِي كَالنَّبْوَةِ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْخِلَافَةُ. لِذَلِكَ صَحَّ كَوْنُ عَلِيٍّ الْفَارُوقِ ﷺ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ الشَّرْعِيِّ.

جَاءَ فِي جَامِعِ الْأَحَادِيثِ:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي فِتْنَةٌ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالْزَمُوا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنَّهُ الْفَارُوقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ»^(٣).

فَثَبِتَ هَذَا الْحَدِيثَ كَوْنُ عَلِيٍّ ﷺ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

حَدِيثُ خَاصِفِ النَّعْلِ

رَوَى أَبُو يَعْلَى الْمُوَصِّلِيُّ فِي مَسْنَدِهِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا هُوَا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ عُمَرُ: أَنَا هُوَا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّهُ خَاصِفُ النَّعْلِ».

١. سنن النسائي، تهذيب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص ٤٨ - ٤٩.

٢. صحيح سنن ابن ماجة، المجلد الأول ص ٥٨. قال الألباني: هذا حديث حسن. وانظر سنن الترمذي. كتاب المناقب. ص ٥٢٢. حديث ٣٧١٩ قال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وانظر تاريخ دمشق لابن عساکر ج ١٢/ ص ١٥٠ ورجاله ثقات. وأحد في مسنده ج ٤/ ص ١٦٥.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤/ ١٧٠. وأسد الغابة لابن الأثير ٦/ ٢٧٠. ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٢. والإستيعاب لابن عبد البر ٤/ ١٧٠. جامع الأحاديث لجلال الدين السيوطي ج ٦/ ص ٣٠.

وكان أعطى علياً نَعْلَهُ يَخْصِفُهَا^(١).

وهاهو أبو بكر وعمر قد عَلِمَا أَنَّ الخلافة ليست من حَقِّهما، فكيف غصبا حقاً ليس لهما؟ خاصةً وأنهما قد سمعا من النبي مباشرة أَنَّ خاصف النعل (عليّاً ﷺ) هو الخليفة الشرعي من بعده.

ثم إن كان عليٌّ ﷺ هو من يقاتل على تأويل القرآن، فهذا يعني أَنَّهُ عالمٌ بكلِّ ما فيه، وأنَّ غيره لم يكن كذلك. بالتالي فكلُّ من حارب عليّاً ﷺ يكون قد حارب القرآن، ومن حارب القرآن فقد حارب الله تعالى.

والحمد لله على نعمة التمسك بالثقلين اللذين من تمسك بهما لن يضلَّ أبداً.

من كُنْتُ مَوْلَاهُ فعَلِيٌّ مَوْلَاهُ

هذا الحديث رواه جمهرة كبيرة من المحدثين والمؤرخين وبعده ألفاظ، وبأسانيد مختلفة.

وملخصه أنه حين أتمَّ رسولُ الله ﷺ حجة الوداع، خرج من مكة متجهاً نحو المدينة ومعه تلك الوفود التي لم تشهد مكة نظيراً لها آنذاك، ولما وصل إلى مكان قريب من منطقة الجُحفة يقال له: (غدير خم) وهو على مفترق طرق، وقبل أن يتفرق الناس كلٌّ إلى بلده الذي جاء منه، نزل ﷺ في ذلك المكان من الصحراء بعد أن أنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. فخطب فيهم خطبته المعروفة بخطبة الغدير ثم رفع يد عليٍّ ﷺ حتى بان إبطاهما، ثم قال: «من كُنْتُ مَوْلَاهُ فعَلِيٌّ مَوْلَاهُ». وقد قال النبيُّ هذا الحديث في أكثر من موضع وبألفاظ مختلفة.

رواه الترمذي في سننه بسنده عن شعبة عن سلمة بن كهيل قال: سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة - أوزيد بن أرقم، شك شعبة - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»^(٢).

١. خَصَفَ النَّعْلَ: خَرَزَهَا وَأَصْلَحَهَا.

٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦٣٩/٥ قال الألباني: صحيح. ومجمع الزوائد ٣٣٨/٥ قال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. وإتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ١٨٧/٧. والمستدرک على الصحيحين ١٤٩/٢ قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وصحيح ابن حبان ٣٧١/١٥. وسنن الترمذي ٢٩٨/٢ قال: حديث حسن صحيح. وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٨. ومسنند أحمد ٨٢/٣ قال شعيب الأرنؤوط: صحيح. ومسنند البزار ١٦٥/١. ومصنّف ابن أبي شيبة ٤٩٧/٧. ومسنند أبي يعلى الموصلي بتحقيق حسين سليم أسد ج ٢/٣٤٢. قال: إسناده صحيح.

٣. صحيح سنن الترمذي مج ٣/٥٢٢ قال الألباني: صحيح وصحّحه أيضاً شعيب الأرنؤوط. والمستدرک على الصحيحين ١٠٩/٣ قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. وصحيح سنن ابن ماجة مج ١/٥٦

وروى أحمد في مسنده:

عن بُرَيْدَةَ قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ عَلِيِّ الْيَمَنِ، فَرَأَيْتُ مِنْهُ جَفْوَةً، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَكَرْتُ عَلِيًّا فَتَنَقَّصْتُهُ، فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ يَتَغَيَّرُ، فَقَالَ: «يَا بُرَيْدَةُ، أَلَسْتُ أَوَّلَى الْمَأْمُونِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ»^(١).

وروى الحاكم في المستدرک بسنده عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع، ونزل غدير خم، أمر بدوحات فأقم، فقال: كَأَنِّي دُعِيتُ فَأُجِبْتُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَترتي، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَوْلَايَ، وَأَنَا مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللَّهُمَّ وَايَ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ»^(٢).

أَمَّا نَصُّ خُطْبَةِ الْغَدِيرِ فَطَوِيلٌ، وَقَدْ ذَكَرَهُ بَعْضُ مُحَدِّثِي وَمُؤَرِّخِي أَهْلِ السَّنَةِ، وَسَوْفَ نَقْتَصِرُ عَلَى مَحَلِّ الشَّاهِدِ.

ذكر ابن عساكر في تاريخه:

لَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْ حُجَّةِ الْوُدَاعِ قَامَ فِيهِمْ خُطْبِيًّا إِلَى أَنْ قَالَ: «أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ جَنَّتَهُ حَقٌّ، وَنَارَهُ حَقٌّ، وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَأَنَّ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ؟»، قَالُوا: بَلَى نَشْهَدُ بِذَلِكَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ». ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنِّي أَوَّلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَايَ مَنْ وَالَاهُ وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ»^(٣).

-
- قال الألباني: صحيح. ومسند أحمد ١٤١/٢ قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح. والبداية والنهاية ٦٦٨/٧ قال ابن كثير: قال شيخنا الذهبي: حديث صحيح. والسنن الكبرى للنسائي [٨٤٦٤]. وهو حديث متواتر كما اعترف بذلك جملة من العلماء منهم الألباني في سلسلته الصحيحة مج ٤/ ص ٣٤٣. والمحدث إسماعيل بن محمد العجلوني الجزارحي في كشف الخفاء حيث قال: حديث متواتر أو مشهور ٣٦١/٢. والذهبي في سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٣٥ قال: متواتر. والأمير الصنعاني في توضيح الأفكار ١/ ٢٤٣ قال: وقد عدّه أئمة من المتواتر.
١. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق شعيب الأرنؤوط ج ٣٨/ ص ٣٢، قال: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وانظر سنن ابن ماجه ج ١/ ص ٤٥. وسنن الترمذي ج ٥/ ص ٦٣٤، قال: هذا حديث حسن صحيح. وانظر كتاب الشريعة للأجري، قال زيد بن أرقم: «ما بقي في الدوحات رجلٌ واحدٌ إلّا قد سمعه بأذنيه ورآه بعينه». المجلد الرابع، حديث رقم ١٥٢٣. قال: إسناده صحيح.
٢. المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٣/ ص ١٠٩. قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص. وانظر البداية والنهاية لابن كثير بتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ج ٧/ ص ٦٦٨، قال: حديث صحيح.
٣. تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٤٢/ ص ٢٢٠.

قال ابن حجر العسقلاني:

وأما حديث «من كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ» فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابنُ عقدة في كتابٍ مفرد، وكثيرٌ من أسانيدِها صحاحُ وحسان، وقد رويناهُ عن الإمام أحمد قال: ما بلغنا عن أحدٍ من الصحابة ما بلغنا عن عليٍّ بن أبي طالب^(١).

أما دلالة الحديث الشريف فإنها تدلُّ على أنَّ الرسول ﷺ كما أنَّه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو سيِّدهم ووليُّ أمرهم المتصرف في شؤونهم، فنفس هذه الأمور تثبت للإمام عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام. إذ هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم وسيِّدهم ووليُّ أمرهم المتصرف في شؤونهم. وهذا فرع كونه إمامهم وخليفتهم.

وقد يقال: إنَّ كلمة (مولى) كما تفيد معنى السيِّد المتصرف في شؤون عبده تفيد أيضاً معنى المحبِّ والناصر، فيكون معنى الحديث: (من كنتُ ناصرهُ فإنَّ عليّاً ناصرهُ، أو من كان يحبُّني فعليُّه أن يحبَّ عليّاً)، فلا معنى لتخصيص اللفظ بالمعنى الأول.

والجواب: إنَّ هذا يحتمله من قصر نظره على هذه الجملة: (من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه) فقط دون النظر إلى ما احتفَّ بها من القرائن، فضلاً عن النظر في بقيَّة الروايات الصحيحة المفسِّرة لمعناها، فالرواية السابقة فيها قرينة واضحة على أنَّ الولاية هنا تعني الولاية على المؤمنين من أنفسهم، وهي تقديمه ﷺ قوله: «إنَّ الله مولاي وأنا وليُّ كلِّ مؤمن» على قوله: «من كنت وليُّه، فهذا وليُّه» الذي يُبيِّن أنَّ المعنى المقصود هو: من كنتُ أولى به من نفسه فعليٌّ أولى به من نفسه.

والأمر أكثر وضوحاً في رواية أخرى صحيحة السند يتبيَّن منها أنَّ جملة: «فعلي مولاه» تعني أنَّ عليّاً عليه السلام ووليُّ أمره وأولى به من نفسه، وهذا في صحيح سنن ابن ماجة للألباني، حيث جاء:

عن البراء بن عازب قال: أقبلنا مع رسول الله في حجة الوداع التي حجَّ، فنزل في الطريق، فأمر: الصلاة جامعةً، فأخذ بيد عليٍّ عليه السلام، فقال: أَلَسْتُ بأولى المؤمنين من أنفسهم؟، قالوا: بلى، قال: أَلَسْتُ بأولى بكلِّ مؤمن من نفسه؟، قالوا: بلى، قال: فهذا وليُّ من أنا مولاه. اللهم والي من والاه وعادي من عاداه^(٢).

وهذا الحديث الصحيح دليلٌ قاطع على أنَّ معنى كلمة (المولى) هنا تعني: (الأولى به من نفسه وسيِّده المتصرف في شؤونه)، كما هو شأن ولاية النبي ﷺ على المؤمنين، وقد أكَّد

١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٧/ ص ٩٢.

٢. صحيح سنن ابن ماجة ج ١/ ص ٥٦. حديث رقم: ٩٤. وعلّق عليه الألباني بقوله: صحيح. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ح ١٧٥٠.

رسول الله ﷺ على هذا المعنى مرتين بقوله: «ألسْتُ بأولى المؤمنين من أنفسهم؟، ألسْتُ أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسه؟ فهذا وليُّ من أنا مولاه».

وروى الحاكم في المستدرک:

عن النبي ﷺ أنه قال: «إني تاركٌ فيكم ما لن تضلّوا بعده، كتاب الله عزّ وجلّ»، ثم قام فأخذ بيد عليٍّ رضي الله عنه فقال: «يا أيّها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «من كنْتُ مولاهُ فعليُّ مولاه»^(١).

إنّ لكلمة (مولى) معان عديدة^(٢)، منها المحبّ والعبد والمنعم والصاحب والناصر والمعتق والتابع والمالك والسيد وهو كلّ من وليّ أمراً. لكن لا يكون لهذا الحديث معنى إذا حملنا كلمة (مولى) على المحبّ والناصر، خاصّة مع وجود قرآن متصلة ومنفصلة في المقام.

فكيف يُعقل للنبيّ وهو الحكيم، بل سيّد الحكماء أن يوقّف أصحابه في ذلك الهجير بعدما أمر السابقين بالرجوع والمتخلفين باللاحق، ليقول لهم في الأخير: أحبّوا عليّاً وأنصروه؟

ثم هل كان الصحابة يجهلون وجوب حبّ عليٍّ ﷺ ونصرته قبل ذلك اليوم؟ أولم يكونوا قد سمعوا قول النبيّ ﷺ لعليٍّ ﷺ أنه لا يحبّك إلّا مؤمناً ولا يبغضك إلّا منافقاً؟

جاء في صحيح مسلم:

عن عليٍّ ﷺ قال: «لقد عهد إليّ النبيّ أن لا يُحبّك إلّا مؤمناً ولا يبغضك إلّا منافقاً»^(٣). أوليس رسول الله هو القائل: «من أحبّ عليّاً فقد أحبّني ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله»^(٤)؟

بلى، ليس هناك من الصحابة من كان يجهل أن حُبّ عليٍّ ﷺ واجبٌ على كلّ مسلم ومسلمة، وأنّ كلّ من أبغضه فهو منافقٌ بدليل هذا الحديث الصحيح والصريح.

١. المستدرک على الصحيحين ج ٣/ ص ٦١٣. قال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وانظر إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري المجلد السابع ص ٢١٠، قال: رواه إسحاق بسند صحيح.

٢. معجم المعاني الجامع.

٣. أخرجه مسلم في صحيحه ج ١/ ص ٦٠. والترمذي في صحيحه ج ٥/ ص ٣٠٦. وابن الأثير في جامع الأصول ج ٨/ ص ٦٥٦، قال: وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي. وانظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج ٤/ ص ٢٧١. وأحمد بن حنبل في أكثر من موضع في مسنده ج ١/ ص ٨٤، ٩٥، ١٢٨، وفي فضائل الصحابة ج ٢/ ص ٨٠٧. والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٢/ ص ٢٥٥.

٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، المجلد الثالث ص ٢٨٧. وأيضاً المعجم الكبير للطبراني ج ٢٣/ ص ٣٨١. وأيضاً أخرجه الحاكم في مستدركه ج ٣/ ص ١٣، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين.

ومجرد بغض عليٍّ ﷺ يُصَيِّر صاحبه مُنافقاً، فما بالنا بالذين حاربوه وقتلوه وشتموه ولعنوه؟؟؟

روى ابن ماجة في سُننه:

عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاويةٌ في بعض حجّاته فدخل عليه سعدٌ، فذكروا عليّاً فقالَ مِنْهُ^(١).

نعم هاهم الصحابة يَسْتَوْنَ عليّاً ﷺ لا لشيءٍ إلا لأنّه قتل آباءهم وإخوانهم المشركين في بدر وأُحد.

فإذا حاشاه النبي ﷺ أن يوضّح الواضحات للمسلمين وخاصةً في ظرف كهذا، حيث أن الحُجّاج كانوا عائدين من موسم الحجّ في حالة تعب وإرهاق شديدين.

وقول النبي: «ألسْتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» لخير دليل على أن مراده من كلمة: «فعليٌّ مولا» هو الخلافة وحقّ التصرف في شؤون المسلمين وأنّه أولى بهم من أنفسهم، وإلا لما كان لكلام النبي: «ألسْتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» أي معنى، لأنّ هذه الجملة لا علاقة لها بالمحبّة والنصرة، بل هي مرتبطة بإخباره أنّه من سوف يعيّنه الآن سيكون له نفس هذا الحقّ وهو كونه أولى الناس بهم من أنفسهم كما كان النبي صليّ الله عليه وآله تماماً.

ثم لو كانت كلمة (مولى) هنا بمعنى المحبّة والنصرة فلماذا لم يأمر النبي الناس بمحبّة جميع الصحابة؟ ولماذا خصّها بعليٍّ ﷺ؟

ولماذا لم يقل النبي: «من كنْتُ مولاَ فهؤلاء الصحابة مواليه»؟

أو كان النبي يرضى أن يحبّ المسلمون عليّاً ﷺ ويبغضوا باقي الصحابة؟

وقول النبي: «ألسْتُ تشهدون أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقٌّ، وناره حقٌّ، وأنّ الموت حقٌّ وأنّ البعث بعد الموت حقٌّ، وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟». هذا كلّ لا يناسب مقام التذكير بمحبّة عليٍّ ﷺ ونصرتة. بل هو مقام التذكير بأصول الدين وعقائد المسلمين.

فلقد بدأ النبي بتذكيرهم بأصول الدين من التوحيد والنبوة والمعاد، ثمّ ختم كلامه ب: «من كنْتُ مولاَ فعليٌّ مولا»، وهذا ما يدلّ على وجوب الرّبط والعلاقة بين الكلامين، وإلا صار كلام النبي لغواً وعبثاً، (وحاشى سيّد الخلق ذلك).

ثم هل يمكن لإنسان عاقل أن يقول مثلاً: «أيّها الناس، إتقوا ربكم، إن يوم الساعة يوم عظيم»، ثم يقول: «عليكم بالنوم باكراً»!!؟

١. صحيح سنن ابن ماجة المجلد الأول ص ٥٨. قال الألباني: صحيح. ثمّ علّق عليه بقوله: نال منه: أي نال معاوية من عليٍّ وتكلّم فيه.

بالطبع لا يمكن صدور هذا الكلام من إنسان عادي، لأنّ ذلك سيجعله إمّا مجنوناً أو مُستهزّأً. والسبب في ذلك هو عدم وجود أيّ عُلقة وربط بين معنى الجملة الأولى والجملة الثانية.

إذا كان هذا الكلام لا يصدر من إنسان عادي فكيف يصدر من نبيٍّ من أنبياء الله؟ بل هو سيّد الأنبياء والعقلاء.

وهناك عدة أدلّة في القرآن والسنة تفيد أن كلمة (المولى) تأتي كثيراً بمعنى (الأولى). وإليك بعضها:

ذكر الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾^(١). قال: أي أحقُّ بالمؤمنين من أنفسهم، أن يحكّم فيهم بما يشاء من حكم، فيجوز ذلك عليهم.

ثمّ قال: كما حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن بريد: ﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾، كما أنت أولى بعبدك، ما قضى فيهم من أمرٍ جازٍ، كما كلّما قضيت على عبدك جازاً^(٢).

وقد قال ابن تيمية: ليس هناك من كتب التفسير أصحّ من تفسير الطبري. جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وأواكم النار هي مولاكم﴾:

قال: ﴿هي مولاكم﴾، أي أولى بكم من كلّ منزل على كفركم وارتيا بكم^(٣). فقد وردت كلمة (المولى) هنا بمعنى (الأولى) وليس بمعنى المحبة والنصرة. وكذلك ذكر هذا المعنى البخاري في صحيحه:

عن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمنٍ إلّا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة. إقرأوا إن شئتم: ﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾، فأيّما مؤمنٍ ترك ما لا فليزته عَصَبَتُهُ مَنْ كانوا، فإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مَولاه»^(٤). وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ (الولي):

عن النبي ﷺ قال: «أنا أولى الناس بالمؤمنين في كتاب الله عزّ وجلّ، فأَيُّكُمْ ما ترك ديناً أو ضيعَةً فادعوني فأنا وَلِيُّهُ، وَأَيُّكُمْ ما ترك ما لا فليورث عصبته من كان»^(٥).

١. سورة الأحزاب: ٦.

٢. تفسير الطبري بتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ج ١٩ / ص ١٥. وانظر تفسير البغوي ج ٦ / ص ٣١٨.

٣. تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي المجلد الثالث عشر ص ٤١٢.

٤. صحيح البخاري، كتاب التفسير في تفسير سورة الأحزاب ص ٢٠٦.

٥. صحيح مسلم، كتاب الفرائض ج ٦ / ص ٢٧٧.

وبما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوَّلِيّ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَكَذَلِكَ عَلَيَّ ﷺ.

إِذْ أَبَيَّنَ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْمَوْلَى هُنَا هُوَ الْخَلَافَةُ وَلَيْسَتْ الْمَحَبَّةُ وَالنَّصْرَةُ. وَلَا مَعْنَى لَأَنْ يُذَكِّرَهُمُ النَّبِيُّ بِالتَّوْحِيدِ وَالنَّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ ثُمَّ يُعَقِّبَ كَلَامَهُ بِشَيْءٍ خَارِجٍ كَثِيرًا عَنْ مَوْضُوعِ كَلَامِهِ وَيَقُولَ: أَحَبُّوْا عَلِيًّا وَانصُرُوهُ.

فَمَنْ قَالَ بَعْدَ هَذَا بِأَنَّ كَلِمَةَ (مَوْلَى) هُنَا يُقْصَدُ بِهَا الْمَحَبَّةُ وَالنَّصْرَةُ، فَهُوَ بِهَذَا يَنْسَبُ اللَّغْوِيَّةُ وَالْهَذْيَانِ لِنَبِيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ.

وَلِسْنَا مِنَ الْقَائِلِينَ بِلَغْوِيَّةِ كَلَامِ النَّبِيِّ وَعَبَثِيَّتِهِ وَبِأَنَّهُ يَهْجُرُ وَيَغْلِبُهُ الْوَجَعُ وَ..
فَخِلَاصَةُ الْكَلَامِ أَنَّ النَّبِيَّ أَوَّلِيّ بِالتَّصَرُّفِ فِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَيَبْثُثُ ذَلِكَ أَيْضًا لِعَلِيِّ ﷺ مِنْ خِلَالِ هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ وَالْمُتَوَاتِرِ.
وَفِي الْآخِرِ نَقُولُ بِأَنَّ هَذَا مَا أَرَادَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَكِنْ النَّاسُ أَرَادُوا غَيْرَهُ. فَوَقَعُوا فِيهِ.

جاء في كتاب «الجامع لأحكام القرآن» في تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾: قيل: إِنَّ السَّائِلَ هُنَا هُوَ الْحَارِثُ بْنُ النُّعْمَانَ الْقَهْرِيُّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» رَكِبَ نَاقَتَهُ، فَجَاءَ حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ بِالْأَبْطَحِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَرْتَنَا عَنْ اللَّهِ أَنْ نَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَأَنْ نَصَلِّيَ خَمْسًا، فَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَنَزِكِي أَمْوَالِنَا فَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَأَنْ نَصُومَ شَهْرَ رَمَضَانَ فِي كُلِّ عَامٍ، فَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَأَنْ نَحُجَّ، فَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ، ثُمَّ لَمْ تَرْضَ بِهَذَا حَتَّى فَضَّلْتَ ابْنَ عَمِّكَ عَلِينًا أَفْهَذَا شَيْئًا مِنْكَ أَمْ مِنَ اللَّهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا هُوَ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَوَيْلٌ لِلْحَارِثِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. فَوَاللَّهِ مَا وَصَلَ إِلَى نَاقَتِهِ حَتَّى رَمَاهُ اللَّهُ بِحَجَرٍ، فَوَقَعَ عَلَى دِمَاغِهِ فَخَرَجَ مِنْ دُبُرِهِ فَقَتَلَهُ، فَانْزَلَتْ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(١).

مبايعة عمر بن الخطاب لعليّ ﷺ

ذكر الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، قَالَ: الْوَجْهَ الْعَاشِرُ: نَزَلَتْ الْآيَةُ فِي فَضْلِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِ عَلِيٍّ وَقَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادَ مَنْ عَادَاهُ»، فَلَقِيَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «هَنِيئًا لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ». وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ^(٢).

١. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي بتحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ج ٢١ / ص ٢١٩.

٢. تفسير الفخر الرازي ج ١٢ / ص ٥٣. وانظر كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل بإستاد حسن لغيره ج ٢ /

وجاء في البداية والنهاية:

عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمانى عشرة من ذى الحجة كُتِبَ له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدیر خُم، لما أخذ النبي بيد علي بن أبي طالب فقال: «أَلَسْتُ وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، فقال عمرُ بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كُلِّ مُسْلِمٍ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١).

روى الثعلبي في تفسيره للآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾. قال: لما نزلت هذه الآية أخذ النبي ﷺ بيد علي فقال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، إلى أن قال: «هذا مولى من أنا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمرُ فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كُلِّ مؤمن ومؤمنة^(٢).

روى أحمد في مسنده:

عن البراء بن عازب قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله ' تحت شجرتين فصلَّى الظهر وأخذ بيد علي رضي الله تعالى عنه فقال: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟» قالوا: بلى، قال: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟» قالوا: بلى، قال: فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادْ مَنْ عَادَاهُ» قال: فلقيه عمرُ بعد ذلك فقال له: «هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كُلِّ مؤمن ومؤمنة»^(٣).

فماذا تعني تهنئة عمر لعلي ﷺ إذا كانت (المولى) بمعنى المحبة والنصرة؟

وماذ يعني قول عمر لعلي ﷺ: «أصبحت وأمسيت مولى كُلِّ مؤمن ومؤمنة»؟

فعلى من قال بأن المراد من المولى هنا هو المحبة والنصرة، فقد وضع نفسه بين أمرين اثنين لا ثالث لهما، وهذا حصرٌ عقليٌّ:

فإما أن يقول بأن عمر لم يكن يُحِبُّ علياً ﷺ قبل هذا اليوم، لأن كلمة (أصبحت) و(أمسيت) تعني أنك لم تكن كذلك في الماضي. بالتالي فهو ينسب النفاق لعمر من حيث لا يشعر، وذلك لأن عمر كان يعرف علياً ﷺ، فلماذا لم يكن يحبه قبل ذلك اليوم؟ والمعلوم أن كُلَّ من أبغض علياً ﷺ فهو منافق بصريح الحديث الشريف المروي عن علي ﷺ حينما

ص ٧٥٥.

١. البداية والنهاية لابن كثير ج ١١/ ص ٧٤.

٢. تفسير الثعلبي ج ٤/ ص ٩٢.

٣. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق حمزة أحمد الزين ج ١٣/ ص ١٨٥ ١٨٦. قال: إسناده صحيح. وانظر ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى لمحِبِّ الدين الطبري، بتحقيق أكرم البوشي ص ١٢٥، قال: هذا حديث صحيح. وعِبِّ الدين الطبري تُوِّفِّي سنة ٦٩٤.

قال: «والذي فلق الحَبَّةَ وبرأ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لعهدُ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ إِلَيَّ أَنْ لَا يَحْتَجِيَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغِضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»^(١).

وإِذَا أَنْ يَعْتَرَفَ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْمَوْلَى هُنَا هُوَ الْخَلَافَةُ وَالْإِمَامَةُ وَلِذَلِكَ هُنَاكَ عَمْرٌ بِهِذِهِ الصِّفَةِ.

إِسْتِشْهَادُ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِحَدِيثِ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ»

إِنَّ خَيْرَ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْمَوْلَى هُنَا هُوَ الْخَلَافَةُ لَا غَيْرَ، هُوَ مَا اسْتَشْهَدَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّاسِ يَوْمَ بُوَيْعٍ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ أَيَّ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَثِيرًا مَا يُذَكِّرُهُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ حَتَّى يُلْزِمَهُمْ بِهِ وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَحَقِّيَّتَهُ فِي الْخَلَافَةِ، وَأَنَّ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ قَدْ غَضِبُوا مِنْهُ. فَقَدْ اسْتَشْهَدَ بِهِ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي يَوْمِ الْجَمَلِ وَفِي مَسْجِدِ الرَّحْبَةِ كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ.

جاء في أنساب الأشراف في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام بإسناده عنه، قال: قال علي عليه السلام على المنبر: «نَشَدْتُ اللَّهَ رَجُلًا سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍ: «اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَآلِهِ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ إِلَّا قَامَ فَشْهَدُ» وَتَحْتَ الْمَنْبَرِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَأَعَادَهَا، فَلَمْ يُجِبْنِي أَحَدًا!! فَقَالَ: «اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ هَذِهِ الشَّهَادَةُ وَهُوَ يَعْرِفُهَا فَلَا تُخْرِجْهُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَجْعَلَ بِهِ آيَةً يُعْرَفُ بِهَا».

قال: فَتَرَى أَنَّ أَنَسَ، وَعَبِيَّ الْبَرَاءِ، وَرَجَعَ جَرِيرٌ أَعْرَابِيًّا بَعْدَ هِجْرَتِهِ^(٢).

وقد ذكره الفخر الرازي في كتابه نفحات الأزهار حيث قال:

إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَهُ فِي الشُّورَى، عِنْدَمَا حَاوَلَ ذِكْرَ فَضَائِلِهِ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ، فَقَدَّمُوا إِنْكَارَهُمْ لِذَلِكَ مَعَ تَوْفُّرِ الدُّوَاعِي عَلَى الْقَدَحِ، فِيمَا يَفْتَخِرُ بِهِ الْإِنْسَانُ عَلَى غَيْرِهِ دَلِيلٌ صَحَّتْهُ^(٣).

وقال الخوارزمي الحنفي في مناقبه:

إِنَّ أَبَا الطَّيْفِ عَامِرَ بْنَ وَائِلَةَ قَالَ: كُنْتُ عَلَى الْبَابِ يَوْمَ الشُّورَى مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهُمْ: «فَأَنْشَدُكُمْ اللَّهَ، هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ؟»^(٤).

وقد نصَّ أحمد بن حنبل على أَنَّ عِدَّةَ الشُّهُودِ يَوْمَ الرَّحْبَةِ كَانَتْ ثَلَاثِينَ صَحَابِيًّا،

١. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. رقم الحديث ١١٣.

٢. البرص: مرض غير مُعْدٍ يصيب جلد الإنسان.

٣. أنساب الأشراف للبلاذري، رقم ١٦٩.

٤. نفحات الأزهار ج ٩/ ص ٣٦.

٥. المناقب: ص ٣١٣ ح ٣١٤.

وأخرجه الحافظ الهيثمي في مجمع^(١) وصحّحه، وتجده في تذكرة سبط ابن الجوزي^(٢).
وتاريخ الخلفاء للسيوطي^(٣).

وروى أحمد في مسنده:

حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت سعيد بن وهب قال: نَشَدَ عليُّ النّاسَ، فقام خمسةٌ أو ستّةٌ من أصحاب النبي ﷺ فشهدوا أنّ رسول الله قال: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»^(٤).

وروى أيضاً:

جمع عليٌّ رضي الله عنه النّاسَ في الرّحبة ثمّ قال لهم: أنشدُ الله كلّ امرئٍ مسلمٍ سمع رسولَ الله يقول يوم غدیر خمّ ما سمع لمّا قام، فقام ثلاثون من النّاس. وقال أبو نعيم: فقام ناسٌ كثيرٌ فشهدوا حين أخذ بيده فقال للنّاس: «أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «من كنتُ مولاه فهذا مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه»^(٥).

وجاء أيضاً:

حدّثني زياد بن أبي زياد، سمعت عليّ بن أبي طالب ينشد النّاس، فقال: أنشد الله رجلاً مسلماً سمع رسولَ الله يقول يوم غدیر خمّ ما قال. فقام اثنا عشر بدرّاً فشهدوا^(٦).
جاء في سلسلة الأحاديث الصحيحة:

عن أبي أيوب الأنصاري، يرويه رباح بن الحارث قال: جاء رهطٌ إلى عليٍّ بالرحبة، فقالوا: السلام عليك يا مولانا، قال: كيف أكون مولاكم، وأنتم قومٌ عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله يوم غدیر خم يقول: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه». قال رباح: فلمّا مضوا تبعهم

١. مجمع الزوائد ج ٩/ ص ١٠٤.

٢. تذكرة الخواص ص ٢٩.

٣. تاريخ الخلفاء ص ١٥٨.

٤. مسند أحمد ج ٣٨/ ص ١٩٣.

٥. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق شعيب الأرناؤوط. ج ٣٢/ ص ٥٦. قال: إسناده صحيح. وانظر كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢/ ص ٦٨٢. وقال: إسناده صحيح. وأيضاً كشف الأستار عن زوائد البزار للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ج ٣/ ص ١٩١، قال: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

٦. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق شعيب الأرناؤوط ج ٢/ ص ٩٤. قال: صحيح لغيره. وأورده الهيثمي في المجمع ج ٩/ ص ١٠٦. وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات، وانظر المستدرک على الصحيحين ج ٣/ ص ١٠٩. قال: صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يتعقبه الذهبي بإقرار ولا إنكار خلافاً لعادته، إذ لم يستطع أن يجد علّة في إسناده. ومتن الحديث صحيحٌ مشهور كما تقدّم.

فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: نَفَرٌ من الأنصار فهم أبو أيوب الأنصاري^(١).

فلو كانت المولى هنا بمعنى المحبة والنصرة، لم يكن لعلي^{عليه السلام} أن يستشهد بالحديث في هذا المقام، لأن موضوع المحبة والنصرة يختلف تماماً عن موضوع الإمامة والخلافة. ولو كانت المولى بمعنى المحبة والنصرة لقام الصحابة والتابعون وقالوا لعلي^{عليه السلام} في الرحبة: ما علاقة هذا الحديث في أمر الخلافة؟ أو لكانوا قد قالوا له: نحن نحبك مُذْ عرفناك، فما علاقة هذا الحديث بموضوع الخلافة؟

لكن هذا كله لم يحصل، بل حصل العكس تماماً. إذ أن كثيراً من الصحابة والتابعين قاموا وشهدوا له بذلك، وهذا ما يدل على أن المولى هنا بمعنى الخلافة والأولى بالتصرف. ولا علاقة لها بالمحبة والنصرة.

إلا إذا كان هناك من ينسب الهجر والبهديان لعلي^{عليه السلام} والصحابة الذين قاموا وشهدوا، فيقول بأنهم أصبحوا يستشهدون بأشياء خارجة عن محل البحث والنزاع. وبهذا ثبت كون علي^{عليه السلام} إمام المسلمين بعد النبي ﷺ.

أنت ولي كل مؤمن بعدي

الرسول ﷺ لم يكتف بذكر حديث المنزلة. فكان كثيراً ما يُذكر أصحابه بولاية علي^{عليه السلام}، وأنه خليفته من بعده، وذلك في مواضع كثيرة وبألفاظ شتى، حتى لا يبقى لدى المسلمين أدنى شك في أن الخليفة من بعده علي^{عليه السلام}.

روى الترمذي في سننه بسنده عن عمران بن حصين قال:

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب^{عليه السلام}، فمضى في السرية فأصاب جارية، فأُنكروا عليه، وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إذا لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخبرناه بما صنع علي^{عليه السلام}، وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدأوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلموا عليه، ثم انصرفوا إلى رجالهم، فلما قدمت السرية سلموا على النبي صلى الله عليه وسلم، فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله، أَلَمْ تَرَ إلى علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قام الثاني فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثم قام الثالث فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، والغضب يُعرف في وجهه، فقال: «ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ إن علياً

١. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني. المجلد الرابع ص ٣٤٠. قال: هذا إسنادٌ جيدٌ رجاله ثقات.

مَنِي، وأنا منه، وهو وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بعدي»^(١).

إِنَّ أولئك الذين قالوا في حديث المنزلة بآئه كيف يكون عليٌّ عليه السلام خليفةً في زمن النبي ﷺ. هاهو النبي يُبَيِّن لهم هنا أَنَّ علياً عليه السلام خليفةُهم وأولى بهم من أنفسهم بعد وفاة النبي ﷺ.

فمن ذا الذي يستطيع القول بأنَّ المقصود من الوليِّ هنا هو المحبة والنصرة؟ ثم لماذا يأمرهم النبي ﷺ بمحبة عليٍّ عليه السلام من بعده؟ وهل يعني هذا أَنَّهُ جَوَزَ لهم بغضه في حياته؟ وهم الذين يعلمون أَنَّ بغض عليٍّ عليه السلام نفاق؟

ولماذا لم يُعَيِّنْها على جميع الصحابة، وخصَّها بعليٍّ عليه السلام؟

أكان يُجَوِّزُ للمسلمين بغض باقي الصحابة؟

ثم إِنَّ كلمة (بعدي) هنا لخير دليل على أَنَّ المقصود منها هو الخلافة والحكم، والألَّا لما كان للحديث معنى.

جاء في تاريخ بغداد:

عن عليِّ بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: "سَأَلْتُ اللهَ فَيَك خَمْساً فَأَعْطَانِي أَرْبَعاً وَمَنْعَنِي وَاحِدةً، سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي فَيَك أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنْتَ مَعِي، مَعَكَ لَوَاءُ الْحَمْدِ، وَأَنْتَ تَحْمِلُهُ، وَأَعْطَانِي أَنْتَ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِي"^(٢).

وأخرج الألباني في سلسلته الصحيحة:

أَنَّ رسول الله ﷺ قال لعليٍّ عليه السلام: «أَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي». قال: صحيحٌ. وقد أخرجه الحاكم في مستدركه ووافقه الذهبي وهو كما قالاً. ثم قال (أي الألباني): فمن العجيب حقاً أن يتجرأ شيخ الإسلام ابن تيمية على إنكار هذا الحديث وتكذيبه في منهاج السنة ج ٤/ص ١٠٤، إلى أن قال: فلا أدري بعد ذلك وجه تكذيبه للحديث، إلا التسرع والمبالغة في الرد على الشيعة^(٣).

١. صحيح سنن الترمذي ج ٢/ص ٢٩٧، قال الألباني: صحيح، وانظر مسند أحمد بن حنبل ج ٤/ص ٤٣٧. وصحيح ابن حبان بتحقيق شعيب الأرنؤوط، المجلد الخامس عشر ص ٣٧٤، قال: إسناده قوي. وانظر المعجم الكبير للطبراني ج ٢٢/ص ١٣٥. وخزانة الأدب لعبد القادر بن عمر البغدادي بتحقيق عبد السلام محمد هارون ج ٦/ص ٧١. ومسند أبي داود الطيالسي ج ٢/ص ١٦٩، قال: حديث حسن. وتهذيب خصائص الإمام عليٍّ عليه السلام للنسائي بتحقيق أبي إسحاق الحويني، رقم الحديث: ٨٤، قال: إسناده صحيح. والمصنّف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ج ٦/ص ٣٧٢. والسنن الكبرى للنسائي ج ٧/ص ٤٤١. وكتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢/ص ٦٨٤ بتحقيق وصي الله بن محمد عباس، قال: إسناده حسن. وكتاب السنة لأبي بكر بن أبي عاصم بتحقيق الألباني ج ٢/ص ٥٦٥، قال: إسناده حسن. والمستدرک على الصحيحين ج ٣/ص ١٤٣ بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، قال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ووافقه الذهبي في التلخيص.

٢. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٥/ص ١٠٠.

٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، المجلد الخامس ص ٢٦٤. وانظر إتحاف الخيرة المهرة للبوصري ج ٩/

بل نقول: إنّ ابن تيمية لم يردّ على الشيعة فحسب، بل ردّ على رسول الله ﷺ، لأنّ هذا الحديث صحيح عند جميع المسلمين ولا يمكن لأحدٍ رده أو إنكاره، ولكن لأنّ ابن تيمية شرب بغض عليٍّ عليه السلام وأهل بيت النبي، نراه دائماً يحاول تضعيف الأحاديث الواردة في فضائل أهل البيت عليهم السلام. ولعمري كأنه لم يقرأ الحديث الصحيح عن عليٍّ عليه السلام أنّه: "لا يبغضني إلّا منافق". أو حديث: "قلو أنّ رجلاً صَفَنَ^(١) بين الركن والمقام فصلّى وصام ثمّ لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمّد دخل النار"^(٢)، أو حديث النبي إلى عليٍّ عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين: "أنا حربٌ لمن حاربكم وسلّمٌ لمن سالمكم"^(٣).

كما جاء في البداية والنهاية أنّ النبي ﷺ قال لعليٍّ عليه السلام: "أنت وليّ في كلّ مؤمنٍ بعدي"^(٤). وروى الحاكم في مستدركه: أنّ النبي ﷺ قال لعليٍّ عليه السلام: "أنت وليّ في الدنيا والآخرة"^(٥). وقد قال النبي ﷺ لعليٍّ عليه السلام: "يا علي أنت سيّد في الدنيا سيّد في الآخرة، حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي وعدوي عدوّ الله، والويل لمن أبغضك بعدي"^(٦).

فلو كان الوليّ هنا بمعنى المحبة والنصرة، لما قال النبي ﷺ كلمة (بعدي). لأنّ هذه الأخيرة خير دليل على أنّ المراد منها الخلافة والإمامة. لأنّه لا يُعقل أن يقول النبي ﷺ: أحبّوا عليّاً بعدي. أو على الأقل كان ينبغي على النبي ﷺ مثلاً أن يقول: الصحابة أولياؤكم بعدي. فلماذا خصّ الولاية بعليٍّ عليه السلام دون غيره؟

روى البخاري في صحيحه:

قال عمر بن الخطاب: "ثمّ تُوفّي النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أنا وليّ رسول الله ﷺ". إلى

ص ٢٤٥، قال: رواه أبو داود الطيالسي بسند صحيح.

١. صَفَنَ الرجل: صَفَّ قَدَمَيْهِ.

٢. المستدرک على الصحيحین ج ٣/ ص ١٤٩. قال: هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم.

٣. المستدرک على الصحيحین ج ٣/ ص ١٤٩. قال: هذا حديث حسن.

٤. مسند أبي يعلى ١/ ٢٩٣ قال: رجاله رجال الصحيح. وصحيح ابن حبان ١٥/ ٣٤٧ قال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي. والأحاديث المختارة ١٣/ ٣٠ وقد التزم المؤلف بتخريج الصحيح فقط في كتابه. وخصائص الإمام علي للنسائي ص ٧٧ قال أبو إسحاق الحويني: إسناده صحيح. وسبل الهدى والرشاد ١١/ ٢٩٦ قال: صحيح. وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٩٩ قال نذير حمدان: إسناده قوي. والبداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ج ١١/ ص ٤٥. وهو حديث متواتر لأنه مروى عن ستة من الصحابة، وعند ابن حزم أن رواية أربعة من الصحابة تفيد التواتر، وعند الطحاوي أن خمسة منهم يوجب ذلك.

٥. المستدرک على الصحيحین ج ٣/ ص ١٤٣. قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

٦. المستدرک على الصحيحین ج ٣/ ص ١٢٨. قال: صحيح على شرط الشيخين. وانظر فضائل الصحابة لأحمد

بن حنبل ج ٢/ ص ٧٩٦ تحقيق وصي الله بن محمد عباس، قال: رجال الإسناد ثقات.

أن قال عمر: "ثُمَّ تَوَقَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: "أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ وَأَبِي بَكْرٍ"^(١).

فلماذا باء البخاري تجرُّ وباء الترمذي والنسائي وغيرهم لا تجرُّ؟
ولماذا تكون كلمة الولي في أبي بكر وعمر بمعنى الخلافة. وتكون في عليٍّ عليه السلام بمعنى المحبة والنصرة؟.

وهذا الحديث الصحيح والمتواتر ثبتت إمامة عليٍّ عليه السلام. والحمد لله رب العالمين.

لا ينبغي أن اذهب إلا وأنت خليفتي

لقد صرح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مراراً وتكراراً بخلافة عليٍّ عليه السلام، وهاهو الآن يُصرِّح مرةً أخرى وبلفظ لا يدع مجالاً للشك.
جاء في كتاب السنة:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَلِيمٍ أَبِي بَلَجٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأُبْعِثَنَّ رَجُلًا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَا يُخْزِيهِ اللَّهُ أَبَدًا»، قَالَ: فَاسْتَشْرَفَ لَهَا مَنْ اسْتَشْرَفَ، قَالَ: فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟» قَالَ: فِدَعَاهُ وَهُوَ أَرْمَدُ مَا يَكَادُ أَنْ يُبْصِرَ، فَتَقَفْتُ فِي عَيْنَيْهِ ثُمَّ هَرَّ الرَّايَةَ ثَلَاثًا فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَجَاءَ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُجَيْبٍ، وَبَعَثَ أَبَا بَكْرٍ بِسُورَةِ التَّوْبَةِ فَبِعَثَ عَلِيًّا خَلْفَهُ فَأَخَذَهَا مِنْهُ وَقَالَ: «لَا يَذْهَبُ بِهَا إِلَّا رَجُلٌ هُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ»، وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: «لَبِئْسَ عَمَلٌ» أَيْكُمْ يُؤَالِيَنِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ فَأَبَوْا، فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: أَنَا أَوَّلُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ: «أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». قَالَ: وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَعَلِيًّا وَقَاطِمَةَ وَمَدَّ عَلَيْهِمْ ثَوْبًا ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي، فَأَذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا». قَالَ: وَخَرَجَ النَّاسُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: أَخْرُجْ مَعَكَ، قَالَ: لَا، قَالَ: فَبَكَى، قَالَ: «أَفَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ وَأَنْتَ خَلِيفَتِي فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنِّ بَعْدِي». قَالَ: وَسُدَّتْ أَبْوَابُ الْمَسْجِدِ غَيْرَ بَابِ عَلِيٍّ عليه السلام، فَكَانَ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ وَهُوَ جُنُبٌ وَهُوَ طَرِيقُهُ لَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ غَيْرُهُ. قَالَ: وَقَالَ: «مَنْ كُنْتُ وَلِيُّهُ فَعَلِيٌّ وَلِيُّهُ»^(٢).

١. صحيح البخاري، دار ابن كثير، كتاب المغازي ص ١٤٨٠. حديث [٣٨٠٩]. وصحيح مسلم، دار طيبة.

كتاب الجهاد والسير، الباب الخامس عشر ص ٨٤٠، حديث [١٧٥٦].

٢. أخرجه ابن أبي عاصم في كتابه «السنة» بتحقيق باسم بن فيصل الجوابرة ج ١/ ص ٨٠٠. قال: إسناده حسن. وأيضاً بتحقيق الألباني صفحة ٥٦٥ قال: إسناده حسن. وأخرجه الحاكم النيسابوري في مستدركه ج ٣/ ص ١٤٣ قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي في التلخيص. وانظر كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل بتحقيق وصي الله بن محمد عباس ج ٢/ ص ٦٨٤ قال: إسناده حسن. وانظر مسند أحمد ج ٥/ ص ٢٥ بتحقيق أحمد شاكر، قال: إسناده صحيح.

فهذا الحديث صريحٌ في تعيين عليٍّ عليه السلام خليفةً من بعده، فكلمة «أنت خليفتي» صريحة بالخلافة، ولا يمكن لشخصٍ أن يقول بأن المقصود منها هو المحبة والنصرة، وكلمة «بعدي» هي الأخرى صريحة أيضاً في أن المراد هو الخلافة لا غير، ولو كان قصد الرسول استخلاف عليٍّ عليه السلام فقط في غزوة تبوك لما ذكر كلمة «بعدي» لأن هذه الأخيرة قرينة واضحة في أن مراده كان الخلافة من بعده.

ثم هل يُعقل أن يُعيّن النبي ﷺ شخصاً يخلفه مدة غيابه عن المدينة شهراً أو شهرين، ولا يُعيّن من يخلفه من بعده حين الرحيل الأبدي من هذه الدنيا؟ وإلى هنا نكون قد قدّمنا أحاديث الخلافة بمختلف ألفاظها حتى لا يبقى مجالٌ للشك في نفوس القُرّاء الكرام، فأتينا بكلمة المولى والولي والخليفة توضيحاً للمسألة وزيادة بيان. والحمد لله رب العالمين

عليّ وصيّتي ووارثي

ذكر ابن عساکر في تاريخه:

حدّثنا محمد بن حمّيد، حدّثنا عليّ بن مجاهد، عن عليّ بن إسحاق، عن شريك بن عبد الله النخعي، عن أبي ربيعة الأيادي، عن ابن بُريدة، عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيًّا وَوَارِثًا، وَإِنَّ عَلِيًّا وَصِيًّا وَوَارِثًا»^(٣).

قول الإمام الحسين عليه السلام لعمر: إنزل عن منبر أبي

أهل السنة يعتقدون بعدالة جميع الصحابة حتى أولئك الذين شربوا الخمر في الإسلام وقتلوا الصحابة ولعنوا بعضهم البعض وسرقوا و.....

إذن كل هؤلاء الصحابة عدول، وبالتالي فقولهم حجة، فما بالنا إذا كان القائل هو سبط الرسول وابن فاطمة البتول وعليّ أمير المؤمنين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؟ إنه سيّد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام.

فإذا كنّا نأخذ بأقوال عموم الصحابة (حتى أولئك الذين ثبت فسقهم ونفاقهم في القرآن والسنة) فالأولى أن نأخذ بقول من طهره الله في القرآن وطهره النبي في حديث الثقلين الذي مرّ ذكره آنفاً، وقد استدللنا به على عصمة أهل البيت عليهم السلام، والإمام الحسين عليه السلام من أهل البيت.

جاء في سير أعلام النبلاء:

حدّثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عُبيد بن حُنين، عن الحسين بن علي، قال:

صعدت المنبر إلى عمر، فقلت: إنزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك. فقال عمر: إنَّ أبي لم يكن له منبر، فأقعدني معه، فلما نزل، قال: إي بُني، من علمك هذا؟ قلت: ما علمنيه أحد. قال: إي بُني، وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلا الله ثم أنتم؟ ووضع يده على رأسه وقال: إي بُني، لو جعلت تأتيننا وتغشانا^(١).

فالسند صحيح، والقائل هو الإمام الحسين (عليه السلام)، وهذه شهادة منه في غضب عمر حقَّ أبيه أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ونرى في نفس الوقت أنَّ عمر لم يُنكر على الإمام الحسين قوله، بل اعترف بذلك وأقر، والإقرار سيّد الأدلة.

فلا يبقى مجالاً للشك في أنَّ الخلافة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت لعلي (عليه السلام). جاء في كتاب "أنساب الأشراف":

حدثني روح بن عبد المؤمن، عن أبي عوانة، عن خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة:

إنَّ علياً أتاهم عائداً فقال: ما لقي أحدٌ من هذه الأمة ما لقيت، تُوفي رسول الله وأنا أحقُّ الناس بهذا الأمر^(٢).

وآخر سؤال طرحه هنا هو:

هل يجوز تقدّم المفضول على الفاضل؟

وهنا احتمالان لا ثالث لهما.

فإن قالوا: نعم يجوز.

قلنا: هذه مخالفة صريحة لقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «من تقدّم على قوم من المسلمين يرى أنَّ فهم من هو أفضل منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»^(٣).

والحديث متواتر في كتب السنة كما صرح بذلك الباقلاني.

جاء في البداية والنهاية أنَّ أبا بكر لما بوع في السقيفة تكلم فقال:

أما بعد، أيها الناس فإنّي قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم...^(٤).

ولا يقول قائل إنَّ كلام أبي بكر هذا كان من باب التواضع، لأنَّ التواضع شيء والإقرار بالإعتراف أمام الناس شيء لآخر.

١. سير أعلام النبلاء للذهبي بتحقيق شعيب الأرناؤوط ج ٣/ ص ٢٨٥ قال: إسناده صحيح. وأخرجه أيضاً ابن حجر العسقلاني الشافعي في كتابه «تهذيب التهذيب» بسند صحيح ج ١/ ص ٤٢٦. وأيضاً السيوطي في تاريخه بسند صحيح ص ١١٦.

٢. أنساب الأشراف للبلاذري ص ٩٠٤. والبلاذري توفي ٢٧٩.

٣. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني ص ١٩٠.

٤. البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق محمد حسن عبيد ج ٧/ ص ٦. قال: إسناده صحيح. دار ابن كثير. دمشق بيروت.

فالتواضع هو أن يقف المسلم بين يدي الله عز وجل في صلاته أو قيامه الليل، ويتضرع إليه سبحانه ويذكر ذنوبه ومعاصيه ويستسمح الله ويستغفره.

بينما الإقرار والإعتراف هو أن يقف الرجل أمام الناس ويقول مثلاً: إني أجهل الأمر الكذائي، أو أنا سريع الغضب أو كثير الظلم... الخ.

فالتواضع يكون أمام الله تعالى. بينما الإقرار يكون أمام الناس، كحال المجرم مثلاً حينما يقف أمام المحكمة القضائية.

ولذلك يقول ابن حزم الأندلسي:

قد صَحَّ أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه خطب الناس حين وُلِّيَ بعد موت رسول الله ﷺ فقال: أيُّها الناس إني وليتكم ولست بخيركم، فقد صَحَّ عنه رضي الله عنه أنه أعلن بحضرة جميع الصحابة رضي الله عنهم أنه ليس بخيرهم، ولم ينكر هذا القول منهم أحد، فدلَّ على متابعتهم له^(١).

أما إن قالوا: لا يجوز تقدُّم المفضول على الفاضل نقول:

لقد ثبت بالأدلة القطعية اليقينية أنه لم يَأْتْ لصحابيٍّ من فضائل مثلما أُوتِيَ لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام.

روى الحاكم في مستدركه بسنده عن محمد بن منصور الطوسي يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ وسَلَّمَ من الفضائل ما جاء لعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه^(٢).

إذن فعليُّ عليه السلام هو أكثر الصحابة فضائل فوجب كونه خليفة رسول الله ﷺ بحديث النبي صَلَّى الله عليه وآله.

ثم إن علياً عليه السلام نفس رسول الله، والمسلم أن النبي ﷺ أفضل الخلق مطلقاً، فوجب كون نفسه الأفضل بعده مطلقاً.

قال النبي ﷺ: «الحَسَنُ والحُسَيْنُ سيِّدا شباب أهل الجنة وأبوهما خَيْرٌ منهما»^(٣). والمعلوم أن كلَّ أهل الجنة شباب، والحسن والحسين سيِّدا شبابها، إذن هما أفضل من فيها. ومادام أن عليّاً عليه السلام خَيْرٌ منهما، فهو خَيْرٌ من سيِّدي شباب أهل الجنة، فوجب كونه الأفضل مطلقاً بعد النبي ﷺ.

والحمد لله ربِّ العالمين

١. الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري الأندلسي، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة ج ٤/ ص ٢٠٩.

٢. المستدرک على الصحيحين ج ٣/ ص ١٢٣. من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مما لم يخرج.

٣. صحيح الجامع الصغير وزيادته لناصر الدين الألباني، المجلد الأول ص ٦٠٧.

وإلى هنا نكون قد أثبتنا إمامة وخلافة عليٍّ عليه السلام من العقل والقرآن والسنة. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

وأخراً يمكننا قوله هنا، إِنَّ الأُمَّةَ لَوِ اتَّبَعَتِ الثَّقَلَيْنِ لَمَا افْتَرَقَ الْمُسْلِمُونَ إلى طوائف وفرق ومذاهب، ولما وصلنا إلى هذه المرحلة التي أصبح فيها المسلم يقتل أخاه المسلم، ولُعاشَ المسلمون عيشاً رغداً في أمن وسلام، ولهنَّنا بطيب الحياة والسعادة والمحبة والأخوة، لأنَّ النبي الذي لا ينطق عن الهوى كان قد وعدنا في حديث الثقلين أنَّه لو تمسكنا بالقرآن وأهل البيت سوف لن نضلَّ إلى يوم القيامة.

ومن هنا أنصح كلَّ إنسان مسلم أن يتبعد عن التعصُّب الأعمى الذي هو سبب دخول النار والعياذ بالله، وأنصح به مراجعة نفسه وعقيدته قبل أن يأتي يومٌ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كما علينا جميعاً توخِّي الحذر تجاه من يحاول تقسيم ديننا وأوطاننا واللَّعب على الفتنة الطائفية التي لا تخدم الإسلام والمسلمين، بل تُرجعهم إلى عصر ما قبل ظهور الإسلام. وتخدم في المقابل البلدان المستعمرة لخيراتها وأراضيها وعلى رأسها الشيطان الأكبر أمريكا وإسرائيل ومن سار على نهجهم وأكل من سؤرهم.

ونسأل الله عزَّ وجلَّ أن يحفظ أوطاننا، ويُوَجِّدَ كلمتنا، ويجمع شملنا، وأن يرزقنا شفاعة محمد وآله الطيبين الطاهرين.

ولا فرق بين سني وإباضي وشيعي ومالكي وصوفيٍّ وأشعريٍّ ومعتزليٍّ.....

قال الإمام عليٌّ عليه السلام في وصيته لمالك الأشر: "الناسُ صِنْفان، إمَّا أَحَ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ".

فما بالناس لو كان الطرف الآخرُ أخاً لنا في الدين ونظيراً لنا في الخلق؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

مصادر المراجع

١. أسباب النزول للواحدي النيسابوري المتوفى ٤٦٨، عالم الكتب بيروت.
٢. روح المعاني للآلوسي المتوفى ١٢٧٠، طبعة دار الفكر بيروت.
٣. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية المتوفى ٧٢٨، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد.
٤. صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري المتوفى ٢٥٦، طبعة دار الفكر.
٥. صحيح البخاري، المكتبة السلفية، القاهرة.
٦. كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادى المتوفى ٤٦٢، تحقيق عادل يوسف العزاوي، دار ابن الجوزي.
٧. المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري المتوفى ٤٠٥، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت.
٨. مسند أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١، تحقيق حمزة أحمد الزين، دار الحديث القاهرة.
٩. منهاج السنة النبوية لابن تيمية المتوفى ٧٢٨، تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة ١٤٠٦.
١٠. الولاية على النفس للدكتور حسن الشاذلي، القاهرة، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٩٩.
١١. تاريخ دمشق لابن عساكر المتوفى ٥٧١، طبعة دار الفكر بيروت.
١٢. الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري المتوفى ٦٣٠، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.
١٣. مسند أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.